



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَرْهُومَةٌ
عَلَى السَّلَامِ
مِنْ فِقْرِ الشُّهْرَاءِ

الجزء الثالث

المُرجِعُ الدُّعْوَى الرَّاحِلُ
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ بْنُ الشَّيْخِ النَّبِيِّ



دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

كاتب:

آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي

نشرت في الطباعة:

موسسة المجتبي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
22	الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 3
22	هوية الكتاب
22	اشارة
26	مقدمة المؤلف
28	ثم قالت: أيها الناس
28	اشارة
28	نداء الناس
31	من أحكام النداء
34	اعلموا أني فاطمة
34	اشارة
34	التعريف بالنفس
40	وأبي محمد
40	اشارة
40	لماذا (وأبي محمد)؟
43	أقول عوداً وبلوياً
43	اشارة
43	التأكيد والتكرار
45	ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا افعل ما أفعل شططاً
45	اشارة
45	عصمتها (عليها السلام)
46	حرمة القول بالغلط
48	لقد جاءكم رسول من أنفسكم

48 لماذا رسول من أنفسكم؟

49 عزيز عليه ما عنتم

49 اشارة

49 من مواصفات القائد

50 حريص عليكم

50 اشارة

50 حريص عليكم

50 الحرص على الرعية

52 بالمؤمنين رؤوف رحيم

52 اشارة

52 بين الرأفة والرحمة

54 فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسانكم

54 اشارة

54 التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله)

56 الاتسباب إلى الرسول

57 وأخا ابن عمي دون رجالكم

57 اشارة

57 وأخا ابن عمي دون رجالكم

57 أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)

59 ذكر فضائل علي (عليه السلام)

62 ولنعم المعزي إليه

62 اشارة

62 الفخر بالاتسباب للرسول (صلى الله عليه وآله)

65 فبلغ الرسالة

65	اشارة
65	تبليغ الرسالة
68	صاعداً بالندارة
68	اشارة
68	الإنذار أبداً
71	ماتلا عن مدرجة المشركين
71	اشارة
71	الميل عن طريقة المشركين
72	التشبه بالكفار
73	ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم
73	اشارة
73	التركيز على أئمة الكفر
74	منهج التصدي للأعداء
75	استعراض قوة الإسلام
77	داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة
77	اشارة
77	الدعوة بالحكمة
79	يكسر الأصنام وينكث الهام
79	اشارة
79	القضاء على الأصنام
80	القضاء على أئمة الضلال
81	تخليد ذكرى القائد
83	حتى انهزم الجمع وولوا الدبر حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه
83	اشارة
83	مواصلة المعركة

84 الحقيقة الكاملة
88 ونطق زعيم الدين
88 اشارة
88 اسناد زعماء الدين
89 وخرست شقاشق الشياطين
89 اشارة
89 إسكات أصوات الشياطين
92 وطاح وشيظ النفاق
92 اشارة
92 القضاء على النفاق
94 وانحلت عقد الكفر والشقاق
94 اشارة
94 حل مراكز قوى الأعداء
95 وفهتتم بكلمة الإخلاص
95 اشارة
95 وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلاص
97 في نفر من البيض الخماص
97 اشارة
97 التقوى والزهد من المقومات
100 وكتتم على شفا حفرة من النار
100 اشارة
100 تذكر النعم السابقة
102 وجوب الإنقاذ
105 مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطن الأقدام
105 اشارة

105	حرمة إذلال المؤمن نفسه ..
109	العزة في كل شؤون الحياة ..
110	الإرشاد لمواطن الضعف ..
110	حرمة الاستسلام للاستعمار ..
112	تشربون الطرق ..
112	اشارة ..
112	كراهة شرب الطرق ..
114	وتقتادون القد ..
114	اشارة ..
114	كراهة أكل القد والورق ..
116	أذلة خاسئين ..
116	اشارة ..
116	الذلة النفسية والسياسية ..
119	انتهاج منهج الجاهليين ..
122	تخافون ..
122	اشارة ..
122	ضمانات للمستقبل ..
127	أن يتخطفكم الناس من حولكم ..
127	اشارة ..
127	حرمة الاختطاف والعنف ..
129	لا يتخطفوك ..
131	فأتقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ..
131	اشارة ..
131	إنقاذ المسلمين ..
132	الإنقاذ من الله وبالعمل بمنهجه ..

- 137 التنبيه على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله)
- 140 بعد اللتيا والتي
- 140 اشارة
- 140 المخرج من المشاكل
- 144 وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب
- 144 اشارة
- 144 بهم الرجال وذؤبانهم
- 145 مذمومية الصفات السبعية
- 147 ومردة أهل الكتاب
- 147 اشارة
- 147 المعارضة علماء وجهلة
- 150 استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله)
- 152 كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله
- 152 اشارة
- 152 حرمة إشعال الحروب
- 153 وجوب إطفاء الحرب
- 155 التعلل لعدم التدخل
- 156 أصالة السلم
- 157 الحروب الدفاعية
- 159 إسناد الأفعال لله
- 163 أو نجم قرن الشيطان
- 163 اشارة
- 163 إعداد العدة
- 164 المبادرة
- 165 ترصد الفتن

168	أوفغرت فاغرة من المشركين
168	اشارة
168	الموقف المناسب
169	الأدب التصويري
171	قذف
171	اشارة
171	التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به
172	التهلكة
174	وجوب التضحية
175	بين التخصص والتنوع
176	التصلي بسرعة
177	أخاه
177	اشارة
177	التضحية بالمهم
178	التركيز على مركز الفساد
178	التضحية حتى بالأحب
179	انتخاب الكفاء
182	ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله)
184	الشهادة الثالثة في الأذان
185	اللهوات
186	فلا ينكفي حتى يطأ جناحها بأخمصه
186	اشارة
186	التراجع
187	الأقل والأكثر الارتباطيان
188	إذلال الكفار

190	إذلال رؤوس الفتن ..
191	ويخمد لهبها بسيفه ..
191	أشارة ..
191	إخماد لهب النيران ..
192	علم التاريخ ..
195	مكبودا في ذات الله ..
195	أشارة ..
195	الكذ حسن أم قبيح؟ ..
198	الكذ في ذات الله ..
199	وجه الاستدلال على الخلافة ..
201	مجتهدا في أمر الله ..
201	أشارة ..
201	أصالة الأسوة ..
203	من صفات القائد ..
206	قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ..
206	أشارة ..
206	القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ..
209	سيدا في أولياء الله ..
209	أشارة ..
209	ذكر الفضائل ..
209	مقتضى السيادة المطلقة ..
212	الإخبار في مقام الإنشاء ..
213	مشمراً ناصحاً ..
213	أشارة ..
213	على أهبة الاستعداد ..

214	النصيحة لله
219	مجدا كادحا
219	اشارة
219	الجد والكبح
222	وأتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون
222	اشارة
222	هل الرفاهية مذمومة؟
223	مواساة الشعب للقائد
228	لا تأخذه في الله لومة لائم
228	اشارة
228	أقوى من العلامة
233	تربصون بنا الدوائر
233	اشارة
233	تربص الدوائر بالمؤمنين
236	وتتوكفون الأخبار
236	اشارة
236	التجسس والتحسس والتوكف
239	وتتكصون عند النزال
239	اشارة
239	الإحجام عن المعركة
240	من حقوق المعارضة
242	وتفرون من القتال
242	اشارة
242	الفرار من الزحف
245	الإرشاد للنواقص

246	معاتبة القائد والامة
248	فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفياه
248	اشارة
248	تكاملية الدنيا والآخرة
250	الإحياء والإمامة بيد الله
251	ظهر فيكم حسيكة النفاق
251	اشارة
251	أقسام النفاق
253	إظهار النفاق محرم
258	وسمى جلباب الدين
258	اشارة
258	المحافظة على نضارة الدين
261	ونطق كاظم الغاوين
261	اشارة
261	تستر أهل الضلالة
262	لزوم الحذر
262	الفاعل والساكت الراضي
264	ونبع خامل الاقلين ، وهدر فيق المبطلين
264	من أساليب المبطلين
265	دراسة سنن الحياة
267	فخطر في عرصاتكم
267	اشارة
267	الشیطان في مسرح القلوب
268	مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام)
270	وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتماً بكم

270	اشارة
270	فسح المجال لقوى الشر
272	مكامن الشيطان
276	فألفاكم لدعوته مستجيبين
276	اشارة
276	الاستجابة للشيطان
278	الثبات على العقيدة
278	أرضية الاستجابة مسألة
280	وللغرة فيه ملاحظين
280	اشارة
280	الاعتزاز الفكري والعاطفي
282	التراجع عن الدين
284	هل الأصحاب كالنجوم؟
286	ثم استنهضكم فوجدكم خفافا
286	اشارة
286	وقور عند الهزاهز
288	الأصل: النهضة أم التحفظ؟
291	واحمشكم فألفاكم غضابا
291	اشارة
291	من أسلحة الشيطان
292	الشيطان وسياسة الخطوة خطوة
294	فوسمتم غير ابلكم، ووردتم غير شريكم
294	اشارة
294	التصرف في ملك الغير
295	وجهان للقضية

296	مصادرة الحقوق
299	جواز الكناية
300	هذا والعهد قريب
300	إشارة
300	حرمة نقض العهد
302	والكلم رحيب
303	والجرح لما يندمل
303	إشارة
303	وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)
305	التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)
307	والرسول (صلى الله عليه وآله) لما يقبر
307	إشارة
307	عدم دفن الرسول (صلى الله عليه وآله)
308	إشارات
310	ابتداراً زعمتم خوف الفتنة
310	إشارة
310	المسارعة للشر
313	تبرير المعصية
314	مثلث المعصية
317	ألا في الفتنة سقطوا
317	إشارة
317	السقوط في الفتن
340	وإن جهنم لمحيطة بالكافرين
340	إشارة
340	الكفر موضوعاً وحكماً

344	نافذة نحو العالم الآخر
346	فهيئات منكم
346	اشارة
346	محتملات (هيئات)
350	وكيف بكم، وأنى توفكون
350	اشارة
352	وكتاب الله بين أظهركم
352	اشارة
352	جمع القرآن
352	عدم تحريف القرآن
353	حجية الكتاب
354	أموره ظاهرة
354	اشارة
354	القرآن كالشمس
356	وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة
356	اشارة
356	الأحكام الزاهرة
357	من العلامات القرآنية
362	وزواجه لائحة
362	اشارة
362	من النواهي الإلهية
363	وأوامره واضحة
363	اشارة
363	اشارة
363	ومن الأوامر الإلهية

- 364 من ميزات القانون الإلهي ..
- 366 وقد خلفتموه وراء ظهوركم
- 366 اشارة
- 366 هجر القرآن وتركه
- 367 اتباع من هجر القرآن
- 369 أرغبة عنه تريدون؟
- 369 اشارة
- 369 الرغبة عن القرآن
- 371 أم بغيره تحكمون؟
- 371 اشارة
- 371 الحكم بغير القرآن
- 377 «بئس للظالمين بدلاً»
- 377 اشارة
- 377 بئس للظالمين
- 378 أقسام الظلم
- 381 «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»
- 381 اشارة
- 381 أصول الدين
- 386 الطريق إلى الله
- 387 الخلافة والظلم
- 390 ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها
- 390 اشارة
- 390 ومكروا ومكر الله
- 392 الحيلة من أهل الباطل
- 393 أقسام المكر

- 395 ثم أخذتم توروبن وقدتها، وتهيجون جمرتها ..
- 395 اشارة
- 395 الإعانة على الإثم ..
- 396 التفكيك بين الظلم والظالم ..
- 398 الرضا بفعل الظالم ..
- 399 تقوية شوكة الظالمين ..
- 401 ما يؤدي إلى الغضب ..
- 403 وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ..
- 403 اشارة
- 403 الاستجابة لهتاف الشيطان ..
- 405 التحذير من مساوى الشيطان ..
- 407 استجابتهم المطلقة للشيطان ..
- 409 مقتضى الأصل في هتاف الشيطان ..
- 410 وإطفاء أنوار الدين الجلي ..
- 410 اشارة
- 410 إطفاء نور الدين ..
- 411 الدين جلي واضح ..
- 414 وإهمال سنن النبي الصفي (صلى الله عليه وآله) ..
- 414 اشارة
- 414 إلغاء سننه (صلى الله عليه وآله) محرم ..
- 416 إلغاء السنن يوجب الفسق ..
- 417 تشربون حسواً في ارتغاء ..
- 417 اشارة
- 417 هل المكرم محرم؟ ..
- 419 حسن الحذر والاحتياط ..

- 420 وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء
- 420 إشارة
- 420 حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام)
- 422 من هم الأهل
- 424 ونصير منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا
- 424 إشارة
- 424 وجوب الصبر في الجملة
- 425 إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام)
- 430 مما يستحب للمظلوم
- 431 المظلوم والرأي العام
- 432 صبر القائد
- 433 أسلوب مواجهة الطغاة
- 434 بيان مظلوميتهم
- 436 الساكت على الظلم
- 437 وأتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟
- 437 إشارة
- 437 تطويق الباطل
- 438 متى يجوز النقل بالمضمون
- 438 الحكم بفسقهم
- 439 أحكام الله لا تتبدل
- 440 لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام)
- 441 ابتغاء حكم الجاهلية
- 443 لا أحد أحسن من الله حكماً
- 444 لا حسن في غير حكم الله
- 448 بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته

448 إشارة

448 من أساليب الدعوة .

450 الفهرس

467 تعريف مركز .

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام) المجلد 3

هوية الكتاب

الفقه موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الثالث : خطبتها عليها السلام في المسجد 2

المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته)

ص: 1

إشارة

الطبعة الأولى

1439 هـ 2018 م

تهميش وتعليق:

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

كربلاء المقدسة

ص: 2

الفقه

من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الثالث

خطبتها عليها السلام في المسجد

القسم الثاني

ص: 3

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين

وصلی الله علی محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله علی أعدائهم أجمعين

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الصِّدِيقَةُ الشَّهِيدَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الرَّضِیَّةُ الْمَرْضِیَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْفَاضِلَةُ الزَّكِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْحَوْرَاءُ الْإِنْسِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا النَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُحَدَّثَةُ الْعَلِيْمَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمَظْلُومَةُ الْمَعْصُوبَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ أَيَّتُهَا الْمُضْطَهَدَةُ الْمَقْهُورَةُ

السَّلَامُ عَلَیْكَ يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللّٰهِ

وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ

البلد الأمين ص 278. مصباح المتعجب ص 711

بحار الأنوار ج 97 ص 195 ب 12 ح 5 ط بيروت

ص: 4

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فهذا الجزء الثالث من كتاب (من فقه الزهراء) صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله سبحانه التوفيق والقبول، إنه سميع مجيب.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ص: 5

نداء الناس

مسألة: ربما يقال بأنه ينبغي نداء الناس في مطلع كل حديث مهم، وقد خاطب الله سبحانه الناس بقوله: «يا أيها الناس»⁽¹⁾ و«يا أيها الذين آمنوا»⁽²⁾ في كثير من آيات الذكر الحكيم⁽³⁾، كما خاطب أيضا بقوله تعالى: «يا بني آدم» فإنه ذكر خمس مرات فيالقرآن الكريم⁽⁴⁾. وجاء في بعض الآيات: «قل يا أيها الناس»⁽⁵⁾.

وكذلك الأمر في كثير من الأحاديث القدسية⁽⁶⁾ والروايات التي تبدأ ب (يا ابن آدم) أو شبهه.

ص: 7

- 1- راجع مثلاً: سورة البقرة: 21 و168، وسورة النساء: 1 و170 و174، وسورة يونس: 23، وسورة الحج: 1 و5 و..
- 2- راجع مثلاً: سورة البقرة: 104 و153 و172 و183 و178 و208، وسورة آل عمران: 100 و102 و118 و130 و149 و156 و200، وسورة النساء: 19 و29 و43 و59 و71 و94 و..
- 3- جاء قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» 89 مرة في القرآن، و«يا أيها الناس» 20 مرة.
- 4- راجع سورة الأعراف: الآيات 26 و27 و31 و35 وسورة يس الآية 60.
- 5- انظر مثلاً: سورة يونس: 104 و108. ولا يخفى ما في كلمة «قل» من الدلالة.
- 6- راجع (كلمة الله) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).

وشواهد الرجحان وأدلة الأسوة قد تدل على الاستحباب وإن احتمل كون ذلك جرياً على العادة الجارية في العرف، فليس من المستحب بل من المباح، لكن الأول أقرب (1)، فتأمل.

قال تعالى: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» (2). وقال سبحانه: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» (3).

وقال تعالى: «قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله» (4).

وقال سبحانه: «قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم» (5).

وقال تعالى: «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير» (6).

وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان» (7).

ص: 8

-
- 1- من الواضح ان خطاب الجمهور يوجب شد الأسماع وتركيز الأفكار فيكون الحديث أقوى في التأثير.
 - 2- سورة البقرة: 21.
 - 3- سورة الأعراف: 158.
 - 4- سورة يونس: 104.
 - 5- سورة يونس: 108.
 - 6- سورة النمل: 16.
 - 7- سورة البقرة: 208.

وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»(1).

وقال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين»(2).

وفي الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: «يا بن آدم اطعني فيما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك»(3).

ص: 9

1- سورة النساء: 29.

2- سورة النساء: 144 .

3- الخرائج والجرائح: ص 249 - 250. وهناك روايات أخرى ورد فيها الخطاب ب (يا بن آدم) مثل: سئل الإمام الحسين (عليه السلام) عن أصوات الحيوانات، فقال (عليه السلام): «إذا صاح النسر فانه يقول: يا ابن آدم عش ما شئت فأخره الموت.. وإذا صاحت السمانة تقول: يا بن آدم ما أغفلك عن الموت...»، الخصال: ص 4 ح 8. وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «يا ابن آدم انك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نفسك...» الحديث، مشكاة الأنوار: ص 246، الفصل الأول: في عيوب النفس ومجاهدتها.

من أحكام النداء

مسألة: هناك أحكام وآداب ترتبط بالنداء المذكورة في محلها، فمن النداء ما هو واجب ومنه مستحب ومنه حرام ومكروه ومباح، كل في مورده، قال تعالى: «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون»(1).

وقال تعالى: «ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم»(2).

وقال سبحانه: «وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فردا وأنت خير الوارثين»(3).

وقال تعالى: «ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون»(4).

وقال سبحانه: «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون»(5).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وسلمان وأبا ذر بأن ينادوا بأعلى أصواتهم أنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه

ص: 10

1- سورة الصافات: 75.

2- سورة آل عمران: 193.

3- سورة الأنبياء: 89.

4- سورة الزخرف: 51.

5- سورة الحجرات: 4.

.....
فنادوا بها ثلاثاً»(1).

وفي شعر حسان بن ثابت يوم الغدير:

يناديهم يوم الغدير نبيهم *** بنخم وأسمع بالنبى مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم *** فقالوا ولم يبدوا هنالك التعاديا

إليك مولانا وأنت ولينا *** ولا تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإنني *** رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

هناك دعا اللهم وال وليه *** وكن للذي عادى علياً معاديا(2)

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصدقات، فقال (عليه السلام): «أقسمها فيمن قال الله عز وجل ولا تعط من سهم الغارمين الذين ينادون بنداء الجاهلية شيئاً، قلت: وما نداء الجاهلية، قال: هو الرجل يقول يا بني فلان، فيقع بينهما القتل والدماء»(3).

وفي الحديث: إن من أسماء فاطمة الزهراء (عليها السلام): (محدثة) لأن الملائكة كانوا ينادونها يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، وتحديثهم(4).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«يمثل لفاطمة رأس الحسين (عليه السلام) متشحطاً بدمه، فتصيح واولداه، واثمة

ص: 11

1- مشكاة الأنوار: ص 215 الفصل العاشر في حق الجار.

2- المناقب: ج 3 ص 26 - 27 فصل في قصة يوم الغدير، وخصائص الأئمة: ص 42.

3- مستطرفات السرائر: ص 607.

4- العدد القوية: ص 226 نبذة من أحوال الصديقة الطاهرة (عليها السلام) وكيفية ولادتها.

فؤاده، فتصيح الملائكة لصيحة فاطمة (عليها السلام) وينادون أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة..

قال: فيقول الله عز وجل: أفعل به...» الحديث (1).

وقولها (2) صلوات الله عليها: (ثم) (3) لا- يقصد به وجود فاصل زمني بين الكلامين بل الفصل الرتبي، حيث كان الكلام حتى هذا المقطع يدور حول الأصول والفروع، والكلام من هنا يبدأ حول قضية حقها المسلوب حيث جاءت (عليها السلام) إلى المسجد لإثبات الحق وإحقاقه.

ص: 12

-
- 1- ثواب الأعمال: ص 219 عقاب من قتل الحسين (عليه السلام).
 - 2- أي قول السيدة زينب (عليها السلام) التي روت الخطبة.
 - 3- حيث قالت (عليها السلام): (ثم قالت: اعلموا اني فاطمة...).

التعريف بالنفس

مسألة: يستحب أن يعرف الإنسان نفسه للناس إذا كان فيه الفائدة، ولذا عرف الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) نفسه في يوم كربلاء، حيث قال بأعلى صوته: «أنشدكم الله هل تعرفونني.. أنشدكم بالله هل تعلمون أن جدي رسول الله... أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب... أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى.. وان جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً... وأن حمزة سيد الشهداء عم أبي.. وأن جعفر الطيار عمي...»(1).

وقال (عليه السلام):

أنا الحسين بن علي *** أحمي عيالات أبي

آليت أن لا أنثني *** أمضي على دين النبي(2)

وكذلك الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) في المسجد الجامع في الشام، حيث قال (عليه السلام): «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا بن محمد المصطفى...»(3).

ص: 13

1- اللهوف: 86 - 87.

2- المناقب: ج4 ص109 فصل في مقتله (عليه السلام).

3- الاحتجاج: ص311، احتجاج علي بن الحسين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

وعن أبي ذر أنه قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: علي (عليه السلام) قائد البررة، علي قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ملعون من جحد ولايته» الحديث(1).

من غير فرق بين أن يكون التعريف بالاسم أو بالوصف، وقد جاء في القرآن الحكيم: «إني رسول الله إليكم جميعاً»(2) وما أشبه ذلك(3). ومن هذا الباب ما ورد من حديث المفاخرة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وولده الحسين (عليه السلام) وما أشبهه، فقد ورد:

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فدخل الإمام الحسين (عليه السلام) فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله) وأجلسه في حجره...»

فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله أينما أحب إليك؟...

فقال الحسين: يا أبتى من كان أعلى شرفاً كان أحب إلى النبي.

قال علي (عليه السلام) لولده: أتفاخرنى يا حسين.

قال: نعم يا أبتاه إن شئت.

ص: 14

1- إرشاد القلوب: ص 220.

2- سورة الأعراف: 158.

3- وانظر أيضاً سورة الصف: 5 و 6، وفيها: «وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون إني رسول الله إليكم...»، و«وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصداقاً...».

فقال علي (عليه السلام): أنا أمير المؤمنين، أنا لسان الصادقين، أنا وزير المصطفى... أنا قائد السابقين إلى الجنة... أنا حبل الله المتين الذي أمر الله تعالى خلقه أن يعتصموا به في قولهم تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»(1)..

أنا نجم الله الزاهر... أنا الذي قال الله سبحانه فيه: «بل عباد مكرمون Q لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»(2)، أنا عروة الله التي لا انفصام لها، أنا باب الله الذي يؤتى منه.. أنا بيت الله من دخله كان آمناً، فمن تمسك بولايتي ومحبتي أمن من النار...

أنا «عم يتساءلون»(3) عن ولايتي يوم القيامة... أنا النبأ العظيم...

أنا حي على الصلاة، أنا حي على الفلاح، أنا حي على خير العمل...

- إلى أنا قال (عليه السلام): - أنا قسيم الجنة والنار.

فعندها سكت علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام):

أسمعت يا أبا عبد الله ما قاله أبوك وهو عشر عشير معشار ما قاله من فضائله ومن ألف ألف فضيلة، وهو فوق ذلك أعلى...

فقال الحسين (عليه السلام): يا أبت أنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وأميفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وجدي محمد المصطفى سيد بني آدم أجمعين، لا ريب فيه، يا علي إن أمي أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين،

ص: 15

1- سورة آل عمران: 103.

2- سورة الأنبياء: 26 - 27.

3- سورة النبأ: 1.

.....
وجدي خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين...

- إلى أن قال: - يا علي أنت عند الله تعالى أفضل مني، وأنا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد» الحديث(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يفتخر يوم القيامة آدم بابنه شيث وافتخر أنا بعلي بن أبي طالب»(2).

وفي كتاب سليم عن أبي ذر وسلمان والمقداد قالوا: «إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: أي أخي فاخر العرب فأنت أكرمهم ابن عم وأكرمهم أباً وأكرمهم أخاً وأكرمهم نفساً وأكرمهم نسباً وأكرمهم زوجة وأكرمهم ولداً وأكرمهم عمماً وأعظمهم عناءً بنفسك ومالك»(3).

كما يستحب الانتساب إلى الأب أيضاً، ولذا قالت (عليها الصلاة والسلام): (وأبي محمد).

وهكذا نجد في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) المتقدم وكلام غيرهما. وقبل ذلك قال تعالى: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها»(4) ..

أما تعريف النفس لا بالقصد المذكور بل لأغراض شيطانية، فمن الرذائل.

ص: 16

1- الفضائل: ص 83 - 85.

2- المناقب: ج 3 ص 242.

3- كتاب سليم بن قيس: ص 93.

4- سورة التحريم: 12.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم»(1).

وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

أيها الفاخر جهلاً بالنسب *** إن الناس لام ولأب

هل تراهم خلقوا من فضة *** أم حديد أم نحاس أم ذهب

هل تراهم خلقوا من فضلهم *** هل سوى لحم وعظم وعصب

إنما الفخر لعقل ثابت *** وحياء وعفاف وأدب (2)

وأيضاً:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً *** يغنك محموده عن النسب

فليس يغني الحسيب نسبه *** بلا لسان له ولا أدب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا *** ليس الفتى من يقول كان أبي (3)

وأيضاً:

ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً *** نعماً قليل يحتويك ترابها (4)

قولها (عليها السلام): (اعلموا أنني فاطمة) تعريف بنفسها الشريفة، كي لا يبقى أي مجال للتشكيك بشخصية المتحدث، سواء لدى كل فرد فرد من الجمهور

ص: 17

1- شرح النهج: ج 9 ص 107 يوم نهاوند.

2- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 69.

3- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 69.

4- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص 69.

الغفير الحاضر في المسجد، أو عند الغائبين الذين يصلهم هذا الحديث والاحتجاج في المدينة المنورة وسائر البلدان، في ذلك الجيل أو الأجيال اللاحقة..

وبذلك فإنها (عليها السلام) قد قطعت الطريق على أية محاولة تشكيكية بصدور هذا الحديث الصاخب منها.

فلا يمكن بعد ذلك للطغاة ومرزقتهم من ذوي الأقلام المسمومة وأصحاب الضمائر المنحرفة أن (يجهضوا) مفعول ذلك الحديث عبر سلاح (التكذيب) و(الإنكار): فمن قال إن هذا الحديث لفاطمة؟

أو من قال: إنها فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)؟ (1).

ص: 18

1- كما أنكر البعض وشكك آخرون في صحة نسبة عدد من خطب وكلمات نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أو جهل مدى صحة نسبة عدد من الكلمات إلى العديد من المعصومين (عليهم الصلاة والسلام)، بل إن قسما من الخطب والكلمات انتحلها أمثال معاوية لنفسه!.

لماذا (وأبي محمد)؟

قولها (عليها السلام): (وأبي محمد (صلى الله عليه وآله))، حيث إن المسلمين كانوا قد سمعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول كراراً: (فاطمة بضعة مني) (1).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هي نور عيني وثمره فؤادي» (2).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هي مني وأنا منها» (3).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله تعالى فطم منأحبها من النار» (4).

وفي حديث: «لأنها فطمت هي وشيعتها من النار» (5).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة مني من أذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل» (6).

ص: 19

1- الأماي للشيخ الصدوق: ص 102 المجلس 22 ح 3.

2- الامالي للشيخ الصدوق: ص 486 المجلس 73 ح 18.

3- راجع علل الشرائع: ص 185 ح 2 باب العلة التي من أجلها دفنت فاطمة (عليها السلام) بالليل ولم تدفن بالنهار.

4- علل الشرائع: ص 178 ح 1 ب باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

5- علل الشرائع: ص 179 ح 5 باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

6- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 273.

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة مني يسخطها من يسخطني ويرضيني ما أرضاها»(1).

وفي حديث: «فمن أغضبها فقد أغضبني»(2).

وفي حديث: «من سرها فقد سرني ومنساءها فقد ساءني»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة أعز البرية عليّ»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله) وهو آخذ بيد فاطمة (عليها السلام): «من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقربين وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» الحديث(6).

إلى عشرات الأحاديث الأخرى، فكانفي الإشارة إلى ذلك(7) إلفاتاً إلى

ص: 20

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 16 ص 278.

2- المناقب: ج 3 ص 232 فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها، عن البخاري.

3- المناقب: ج 3 ص 332 فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها.

4- المناقب: ج 3 ص 332 فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها.

5- كشف الغمة: ج 1 ص 466.

6- روضة الواعظين: 149 مجلس في ذكر مناقب فاطمة (عليها السلام).

7- أي إلى أنها (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

حقيقة توجب لكلماتها (عليها السلام) وقعاً أكبر في النفوس، فهي (عليها السلام) بنت ذلك النبي الذي أنقذكم من الظلمات إلى النور ومن أسفل درجات الذلة إلى أرفع درجات العزة، وكلماتها امتداد لتلك المسيرة، وكما ضل من ضل بإعراضه عن كلامه (صلى الله عليه وآله) سيضل من سيعرض عن كلماتها (عليها السلام).

ولذلك (1) وجه آخر أيضاً: فالإشارة إلى هذه العلاقة السببية يثير عادة في النفوس عاطفة أقوى - خاصة والنبي (صلى الله عليه وآله) قد توفي منذ فترة قصيرة والعواطف شديدة التأجج والالتهاب - مما يدفع الناس إلى تقبّل أقوى لمواعظها وإنذارها (2).

ص: 21

1- أي: للسر في قولها (عليها السلام): (وأبي محمد).

2- وقد ذكر الإمام المؤلف (قدس سره) وجهاً ثالثاً لذلك قبل قليل تحت عنوان (اعلموا أي فاطمة).

أقول عوداً وبدواً (1)

التأكيد والتكرار

مسألة: يستحب التأكيد والتكرار بشكل تفصيلي أو بنحو إجمالي للمطالب المهمة، لما يتضمن من التأثير الأكبر في تقبل المستمع للموعظة والإنذار، كما قالت (عليها السلام): (عودا وبدوا). ومن هذا الباب بعض التكرار في القرآن الكريم وان كان لدى الدقة غير الأول.

ومنه أيضا ما كرره رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التأكيد على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه الخليفة من بعده وذلك في أماكن عديدة وفي مناسبات مختلفة، كما في حجة الوداع حيث جمع الصحابة وكرر عليهم (أست أولى بكم من أنفسكم) ثلاثاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي (عليه السلام) وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار)(2).

ومنه أيضا ما كرره (صلى الله عليه وآله) عند ما أمر أصحابه بتجهيز جيش أسامة حيث قال: «أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه» وكرر ذلك(3).

ص: 22

1- وفي بعض النسخ: (أقول عوداً على بدء) والمعنى واحد.

2- الصوارم المهرقة: ص 176.

3- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 52، وشرح النهج ج 17 ص 175.

وكذلك ما ورد في تكرار بعض الأدعية مثل قوله (عليه السلام): «من كان به علة فليقل عليها في كل صباح أربعين مرة مدة أربعين يوماً: بسم الله الرحمن الرحيم...» الحديث(1).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا حدث الحديث أو سئل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه»(2). ثم إنه لا فرق في التكرار بين: التكرار باللفظ كقول ابن مالك: (كالضيغم الضيغم يا ذا السادي).

أو بالمعنى.. أو ما يدل على التكرار، كقولها (عليها الصلاة والسلام): (عودا وبدوا). وإنما قدمت (عودا) مع أن الأول أسبق في الأسلوب والتسلسل الخارجي(3) لأن الكلام مكان العود وما هو المكان له يقدم كما ذكره علماء البلاغة(4)، كأنها (عليها السلام) تريد أن تقول: إني أقول مكرراً، ثم قالت: (وبدوا) تصريحاً بما يدل عوداً عليه تلويحاً.

قولها (عليها السلام): (عودا وبدوا) أي: أولاً- وآخراً، أي إن كلامي الأخير هو ذات كلامي الأول، لا أن أقول شيئاً ثم أتكلم بما يناقضه ويعارضه كما هو شأن كثير من السياسيين وأرباب السلطات ومن أشبههم.

ص: 23

1- انظر مصباح الكفعمي: ص 15 الفصل 18، وغيره.

2- مكارم الأخلاق: ص 20.

3- إذ (بيدا) الإنسان بشيء ثم (يعود) إليه مرة أخرى.

4- أي إن كلامها (عليها السلام) لأهميته جدير بان يعاد مؤكداً، فهو (محل) و(محطة) لان يعاد ويكرر.

عصمتها (عليها السلام)

مسألة: إن كلامها (عليها السلام) هذا مضافاً إلى سائر الأدلة (1) يدل على عصمتها (عليها السلام)، فإن المعصوم لا يخطأ ولا يغلط ولا يشطط، والشطط هو الابتعاد عن الحق.

والفرق بين القول والفعل واضح، والكلام وإن كان في القول هنا لكنها (عليها السلام) ذكرت الفعل أيضاً تأكيداً من باب الأولوية العرفية فمن لا يكون فعله شططاً لا يكون قوله غلطاً. وهناك وجه آخر وهو أن (القول) لدى الدقة من مصاديق (الفعل) (2).

قولها (عليها السلام): (ولا أقول ما أقول غلطاً) أي أن كلامي لم يصدر إلا عن بصيرة وحكمة وهو مطابق للواقع، إذ كثيراً ما يقول القائل شيئاً ثم إذا رأى المحذور فيه قال إنه أخطأ في كلامه، وتنازل عن مقالته بهذه الحجة.

ص: 24

1- راجع مقدمة الجزء الأول من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)) حديث الكساء.

2- فيكون (لا أفعل) تأكيداً ل(لا أقول).

حرمة القول بالغلط

هنا مسألتان:

أ: القول الغلط قد يكون حراما.

وقد يكون مرجوحا لا يمنع عن نقيضه.

وقد يكون غير ذلك(1).

إذ أن الغلط قد يقصد به العمد، وقد يراد به السهو، والقول الغلط إذا أريد به العمد(2) قد يكون محرما كما في الأحكام الشرعية أو الأمور العقائدية أو ما أشبه ذلك، وقد يكون مرجوحا، كما إذا كان فيما لم ير الشارع لمعرفته موضوعية(3) ولا تترتب على الغلط فيه محذور ولا انطبق عليه عنوان محرم كالكذب، فتأمل.

وأما القول الغلط - إذا أريد به السهو - فهو تابع في حكمه للتقصير في مقدماته. ب: وكذلك الأمر في كل فعل شط عن الصواب وابتعد وكان من مصاديق الظلم للنفس أو للغير، عمداً أو سهواً كما سبق.

ص: 25

1- إشارة إلى الخطأ سهواً، الذي لا ينطبق عليه حكم من الأحكام الخمسة لخروجه عن مقسمها.

2- أي قال قولاً غير مطابق للواقع عمداً.

3- أي لا مثل الشؤون الاعتقادية.

و(شططاً) أي: ظلماً وابتعاداً عن الحق، والمراد من الفعل في قولها (عليها السلام): (ولا أفعل ما أفعل) هو مجيئها المسجد ومناصرتها علياً (عليه الصلاة والسلام)، والفعل يشمل الكلام أيضاً، كما أن القول يشمل الفعل أيضاً، وإن كان ذلك على نحو الحقيقة وهذا على نحو المجاز.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المستبد متهور في الخطأ والغلط»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «من كثر مراؤه لم يأمن الغلط»⁽²⁾.

وفي الحديث عنه (عليه السلام): «انه قضى في امرأة تزوجها رجل على حكمها فاشتتت عليه، فقضى أن لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط»⁽³⁾.

وفي القرآن الكريم: «وانه كان يقول سفيهاً على الله شططاً»⁽⁴⁾.

وقال تعالى: «فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً»⁽⁵⁾.

وقال سبحانه: «إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط»⁽⁶⁾.

ص: 26

1- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 65 الفصل 12.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 464 الفصل 8.

3- دعائم الإسلام: ج 2 ص 222 فصل ذكر المهور ح 831.

4- سورة الجن: 4.

5- سورة الكهف: 14.

6- سورة ص: 22.

لماذا رسول من أنفسكم؟

مسألة: يلزم في حكم العقل ومن باب قاعدة اللطف أن يكون النبي من البشر، وقد قال سبحانه: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» (1) أي مثلكم في الخلقة.

وقال تعالى: «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون» (2).

وذلك لأن البشر في مظان أن يكون أسوة وقدوة للناس (3)، أما الملك فلا، إذ الناس يقولون انه ملك وهو مجرد من دواعي المعصية وله قوى لا-نملكها وله أحكام غير أحكامنا فلا يكون لنا قدوة، وكذلك إذا كان من الجن، أو من جنس آخر. ويمكن القول بان جعله بشراً من باب اللطف ولكن ليس كل لطف واجبا، فليس سبحانه ملزما بذلك، إذ الإلزام - فيما ألزم به تعالى نفسه - إنما يكون في اصل تبليغ الرسالة، سواء كان بسبب البشر أم بسبب غير البشر، كما قرر في علم الكلام.

ص: 27

1- سورة التوبة: 128.

2- سورة الأنعام: 9.

3- فهو يصلح ان يكون أسوة في تبليغه الرسالة رغم المصاعب، وفي التزامه بأوامره جل وعلا وتجنبه ارتكاب المعاصي رغم انه - كسائر الناس - مركب من روح وجسد ورغم وجود القوة الغضبية والشهوانية .. فيه، الى غير ذلك.

من مواصفات القائد

مسألة: يلزم أن يكون القائد بحيث يعز عليه ويشق عليه ما عنت وشق وصعب على رعيته، كما يعز على الأب ما يجري على ابنه، إذ القائد هو الأب الروحي، ولأنه إذا لم يكن يهتم برعيته حتى يشق عليه ما يشق عليهم لا يصلح ان يكون ذلك الذي يقود سفينة الرعية نحو شاطئ السلام في خضم التيارات وأمواج الفتن وأعاصير البلاء.

ولمكانة (ما) يدل على عزة ذلك على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولو كان من أدنى درجات العنت، لان الطبيعة سارية من الصغيرة الى الكبيرة، كما قرر في علم المنطق.

قولها (عليها السلام): (ما عنتم) أي ما عنتكم أي ما صعب وشق عليكم، فإنه (صلى الله عليه وآله) كان يشق عليه كل ما شق على أمته في حال حياته وبعد مماته، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) لعزرائيل (عليه السلام) عند حضوره لقبض روحه: (شدد عليّ وخفف على أمّتي)، على عكس الحكام الدنيويين وطلاب القوة والسلطة الذين لا يهمهم إلا أمر أنفسهم وإلا المزيد من الأموال والقدرة والشهوات، وان كان كل ذلك على حساب الأمة واقتطاعاً من أقواتها وحقوقها.

وهكذا كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ورد أنه (عليه السلام) نظر إلى فقير انخرق كم ثوبه، فخرق كم قميصه وألقاه إليه (1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كان علي بن أبي طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل» (1).

حريص عليكم

الحرص على الرعية

مسألة: يلزم أن يكون القائد والراعي - في أية درجة ومنزلة كان، وسواء اتسعت دائرة رعيته أم تضيق (2) - حريصاً على شؤون أتباعه ورعيته. ومعنى الحرص عليهم الحرص على هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وتقديمهم في شتى الأبعاد الجسمانية والروحية، المادية والمعنوية، وذلك لأن حذف المتعلق يفيد العموم.

ومن الواضح إن الحرص - وهو شدة الاهتمام والتمسك والتعلق بشيء - على الخيرات حسن ممدوح، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «المؤمن على الطاعات حريص وعن المحارم عفيف» (3).

ص: 29

1- بحار الأنوار: ج 40 ص 327.

2- أي سواء كان قائداً لامة أم لشعب أم لقبيلة أم لحزب أم لعائلة أم لفرد واحد.

3- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 90 ح 1537.

أما المذموم فهو الحرص على الدنيا الفانية وشهواتها الدنية.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أربع من علامات النفاق قساوة القلب وجمود العين والإصرار على الذنب والحرص على الدنيا»(1).

وقال (عليه السلام): «هالك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد»(2).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «وياكم والحرص فإن آدم (عليه السلام) حملته الحرص على أن أكل من الشجرة»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسين (عليه السلام): «أي بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب... الحرص علامة الفقر»(4).

وقال (عليه السلام): «خير الناس من أخرج الحرص من قلبه»(5).

هذا وفي بعض الروايات الواردة في تأويل الآية المباركة أنه (عليه السلام) تلا هذه الآية: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» قال: (من أنفسنا)، قال: «عزيز عليه ما عنتم» قال: ما عنتنا، قال: «حريص عليكم» قال: علينا، «بالمؤمنين رؤوف رحيم» قال: بشيعتنا رؤوف رحيم، فلنا ثلاثة أرباعها ولشيعتنا ربعها(6).

ص: 30

1- الاختصاص: ص 228.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 571.

3- إرشاد القلوب: 119 ب 40.

4- تحف العقول: ص 88 - 90.

5- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 241 ح 4873.

6- تفسير العياشي: ج 2 ص 118 ، والآية في سورة التوبة: 128.

بين الرأفة والرحمة

مسألة: يلزم أن يكون القائد رؤوفاً رحيمًا، والفرق بينهما أن الصفة الأولى تتعلق بالعمل والجوارح، والثانية ترتبط بالقلب والجوانح، في قبال اللفظ الذي يعكس خشونة الأفعال وهي حالة خارجية، وغلظ القلب وهي حالة داخلية، كما في الآية الكريمة: «ولو كنت فظا غليظ القلب»⁽¹⁾..

أما «الرحمن الرحيم» في قوله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم»⁽²⁾ فالأول خارجي يتعلق بالظواهر والمظاهر، والثاني قلبي، وكلاهما من مادة الرحمة وبمعنى واحد، لا أن لهما معنيين كما قاله بعض المفسرين. ولذا يقال: فلان رحيم القلب، ولا يقال: رحمان القلب، وربما يقال بإطلاق كل منهما على الآخر لو انفرد كما قالوا بذلك في (المسكين والفقير) و(الظرف والجار والمجرور) والتفصيل في المفصلات.

فالمراد: ظاهره رحيم وباطنه رحيم، لا كبعض الناس حيث ترى الغلظة في ظاهره وباطنه، أو في ظاهره فقط، أو في باطنه فقط، فإن الغلظة إذا كانت في الظاهر لا تنفع معها - عادة - الرقة الباطنية، وإذا كانت الغلظة في الباطن كان الظاهر الرقيق تصنعًا لا واقعية له، والتصنع قد ينفع في خداع الناس لفترة، إلا أنه

ص: 31

1- سورة آل عمران: 159.

2- سورة الفاتحة: 1.

ليس بدائمي ولا شمولي إذ إن الجوهر يصنع ما يصنع، ففي الخلوات - مثلاً - تصنع الغلظة صنعتها في تلك المؤامرات التي تحاك خفية والخطط الشيطانية التي سرعان ما تنكشف للناس فتفضح تلك السرية الشريفة وتلك الضمائر الخبيثة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علم... فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرفقة همها الرحمة قلبه» الحديث(1).

وفي الدعاء: «الذي أوجبه على نفسك من الرفقة والرحمة»(2).

وأيضاً: «يا معروفاً بالإحسان والرفقة والرحمة»(3).

وأيضاً: «وأسألك باسمك الذي خلقت به ملائكة الرفقة والرحمة»(4).

قولها (عليها السلام): (بالمؤمنين) تخصيصهم بالذكر من جهة أن الصفتين السابقتين(5) كانتا تشتملان المؤمن والمنافق، فالرسول (صلى الله عليه وآله) ما كان يريد حتى عنت المنافقين، وكان حريصاً على إيمانهم وهدايتهم وإنقاذهم وكان يقول حتى بالنسبة إلى الكافرين: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)(6)، أما راقته ورحمته فمصبتها (المؤمنون).

ص: 32

1- الخصال: ص 427، إن الله تبارك وتعالى قوى العقل بعشرة أشياء.

2- الإقبال: ص 73.

3- الإقبال: ص 491.

4- البلد الأمين: ص 414، الأسماء الحسنى.

5- وهما (عزیز علیه ما عنتم) و(حريص عليكم).

6- إعلام الوری : ص 83.

فإن تعزوه وتعرفوه (1) تجدوه أبي دون نساكنم

التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب التعرف على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والقضية الشرطية في كلامها (عليها السلام) وإن كانت صحتها لا تتوقف على صدق المقدم بل ولا على إمكانه، إلا أن حكم المقدم هنا يستفاد من الخارج، كما هو بين لدى الالتفات.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد بيان لزوم معرفة الله وحدوده: «وبعد معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله) والشهادة له بالنبوة، وأدنى معرفة بالرسول الإقرار بنبوته وإن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهى فذلك عن الله عز وجل...» الحديث (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «لم يبعث الله نبياً يدعو إلى معرفة ليس معها طاعة، وإنما يقبل الله عز وجل العمل منالعباد بالفرائض التي افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم إليه فأول ذلك معرفة من دعا إليه وهو الله الذي لا إله إلا هو وحده والإقرار بربوبيته، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصي (عليه السلام) ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذي افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهلهم...» (3).

وعنه (عليه السلام): «من زعم أنه يحل الحلال ويحرم الحرام بغير معرفة النبي (صلى الله عليه وآله)

ص: 33

1- وفي بعض النسخ: فإن تعزوه وتوقروه.

2- كفاية الأثر: ص 262.

3- دعائم الإسلام: ج 1 ص 52 - 53.

.....
لم يحل لله حلالاً ولم يحرم له حراماً...»(1).

قولها صلوات الله عليها: (تعزوه) أي تنسبوه بذكر النسب منه وإليه.

و(تعرفوه) تعرفون شخصه ونسبه، بالمعنى الأعم من النسبة إليه، حتى يعرفوا أن فاطمة (عليها الصلاة والسلام) منسوبة إليه (صلى الله عليه وآله).

و(أبي) تمهيد لكون فذك لها، لأن فذك حتى إذا لم تكن نحلة - فرضاً - تكون إرثاً، لأن فاطمة (عليها السلام) هي ابنته التي ترثه.

لا يقال: إذا كانت فذك إرثاً كانت للزوجات حصّة أيضاً؟

لأنه يقال: الزوجات كن يعترفن بأن فذك ليست لهن فلم يبق إلا هي (صلوات الله عليها). كما إذا مات زيد وكان في حوزته كتاب، واعترف الأبناء بأنه ليس لهم وادعاه أحدهم فقط فإنه يصبح له وحده، فهذه الجملة(2) كالتمهيد على حسب كلام البلغاء.

ثم إن قولها (عليها السلام): (تجدوه أبي دون نساتكم) هل يدل على أنها (صلوات الله عليها) هي البنت الوحيدة للرسول (صلى الله عليه وآله)؟

قال بذلك بعض.

ص: 34

1- علل الشرائع: ص 250 باب علل الشرائع وأصول الإسلام ح 7.

2- أي: (تجدوه أبي).

الانتساب إلى الرسول

مسألة: يستحب لذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يبينوا نسبهم للناس ولا شك أن النسب والقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضيلة عظيمة في الدنيا والآخرة، والاستحباب إنما يكون إذا لم يتوقف حكم شرعي على ذلك وإلا وجب البيان، كما بالنسبة إلى المرأة الهاشمية القرشية حيث إنها تبلغ سن اليأس في الستين من العمر وغيرها في الخمسين(1).

وكذلك يجب بيان النسب فيما يتعلق بشؤون الخمس والزكاة - سلباً وإيجاباً - وغير ذلك، وهناك أحكام كثيرة ترتبط بالنسب المذكورة في الفقه.

وقد انتسب الإمام السجاد (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته أمام يزيد(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله لا ينفع يوم القيامة، بلى والله إن رحمى لموصولة في الدنيا والآخرة»(3).

ثم إنه لا منافاة بين ما ذكرناه وما ورد من قوله (عليه السلام): «حسب الأدب أشرف من حسب النسب»(4).

ص: 35

- 1- هناك أحكام شرعية عديدة تترتب على كون المرأة دون سن اليأس أو بلوغها سن اليأس، مذكورة في كتاب النكاح والطلاق وغيرهما.
- 2- بحار الأنوار: ج45 ص174 ب39 ح22.
- 3- الأمالي للشيخ المفيد: ص327 المجلس 38 ح11، والإفصاح: ص51.
- 4- غرر الحكم: ص248 ح5112.

وقال (عليه السلام): «نعم النسب حسن الأدب»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «فخر المرء بفضله لا بأصله (بأهله)»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «ليست الأنساب بالآباء والأمهات لكنها بالفضائل المحمودات»⁽³⁾.

وأخا ابن عمي دون رجالكم

أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب بيان أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) أخ للرسول (صلى الله عليه وآله) دون غيره. وفي ذلك تكريس لنفس الغرض الذي من أجله اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخاً، وقد يكون بيان ذلك واجباً⁽⁴⁾.

وإذا كان النظر إلى وجه علي (عليه السلام) عبادة⁽⁵⁾ وذكره (عليه السلام) عبادة⁽⁶⁾

ص: 36

1- غرر الحكم: ص 248 ح 5118.

2- غرر الحكم: ص 409 ح 9387.

3- غرر الحكم: ص 409 ح 9388.

4- كما إذا توقفت هداية إنسان على ذلك (أي على بيان فلسفة اتخاذ الرسول (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخا دون غيره من سائر المسلمين وفيهم القريب والبعيد والشاب والشيخ و..).

5- المناقب: ج 3 ص 202 فصل في محبته (عليه السلام).

6- الاختصاص: ص 223، والعمدة: ص 365.

.....
فالحوض في فضائله (عليه السلام) عبادة وبشكل أولى.

قولها (عليها السلام): (وأخا) أي أن علياً (عليه الصلاة والسلام) مخصوص بالاخوة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه ابن عم فاطمة (عليها السلام)، ولعله تمهيد لكونه (عليه السلام) وصيه (عليه السلام) دون غيره، لأن الأخ يقوم مقام أخيه.

أو أن الجمليتين لمزيد التعريف بهما ولوجود من قد يجهل الأصل أو الاختصاص (1).

وفي الحديث عن زيد بن علي (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «كان لي عشر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يعطهن أحد قبلي ولا يعطاهن أحد بعدي، قال لي: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنة متواجهان كمنزل الأخوين، وأنت الوصي، وأنت الولي، وأنت الوزير، عدوك عدوي وعدوي عدو الله، ووليك وليي وولبي ولي الله عز وجل» (2).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم وهو في مسجد قباء والأنصار مجتمعون: «يا علي أنت أخي وأنا أخوك، يا علي أنت وصيي وخليفتي من وإمام أمتي بعدي» الحديث (3).

ص: 37

-
- 1- الظاهر أن مراده (قدس سره) من (الأصل أو الاختصاص): أصل الأخوة، أو اختصاصها بعلي (عليه السلام).
 - 2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 77 المجلس 18 ح 8.
 - 3- الامالي للشيخ الصدوق: ص 352 المجلس 56 ح 7.

.....
وفي كشف الغمة: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) آخى بين المسلمين ثم قال: يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»(1).

وفي الحديث المروي عن الفريقين: «إن النبي (صلى الله عليه وآله) آخى بين الناس وترك علياً (عليه السلام) حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني، قال: إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يدعيها بعدك إلا كذاب»(2).

ذكر فضائل علي (عليه السلام)

مسألة: يستحب ذكر فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للناس، وفي الخطاب بصورة خاصة ويلحق به كتابتها.

فإن ذكر فضائله (عليه السلام) حسنة، وقد يكون واجباً إذا كان المورد من اللازم ذكره ومعرفته، ذاتاً أو طريقاً(3).

وإنما قلنا باستحبابه في الخطاب بصورة خاصة، لأن الخطاب يفيد الغير، على عكس ما إذا لم يكن هناك خطاب وإنما حديث وتذاكر لما يعلمه.

ص: 38

1- كشف الغمة: ج 1 ص 294 في ذكر أنه (عليه السلام) أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه مولى من كان مولاه.

2- الطرائف: ص 63 باب أن علياً (عليه السلام) أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) روى عن مسند أحمد بستة طرق.

3- (ذاتاً) كفضائله التي تعد من أصول المذهب كإمامته مثلاً، و(طريقاً) أي من باب المقدمة.

والحاصل إن الخطاب أخص من أصل المذاكرة، سواء علم الجميع أم اقتصر العلم على المتكلم وإن كان الأمر في صور عدم علم المخاطبين أكد، فهي مراتب من الاستحباب - وربما وجب - حسب ما يفهم من الروايات والموازن العقلانية.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه محمد بن علي (عليه السلام) عن آبائه الصادقين (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرأ بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): النظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه»⁽¹⁾.

هذا وقد أصر الأعداء على كتمان فضائل علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك ولكن «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»⁽²⁾.

ص: 39

1- الامالي للشيخ الصدوق: ص 138 المجلس 28 ح 9.

2- سورة الصف: 8.

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب!»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن حساب والأنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)»⁽²⁾. وقال (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير في خطبته: «معاشر الناس إن فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الله عز وجل وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن يحصيها في مقام واحد، فمن أنبأكم بها وعرفها فصدقوه»⁽³⁾.

ص: 40

1- شرح نهج البلاغة: ج 4 ص 73.

2- الصراط المستقيم: ج 1 ص 153 ب 7.

3- الاحتجاج: ص 28 احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير.

الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب ان يفتخر الإنسان بانتسابه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) (1)، كما قالت (عليها السلام): (تجدوه أبي) و(ولنعم..). والائمة (عليهم السلام) - كما سبق - كانوا يفتخرون بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفعلهم حجة ومحط أسوة (2).

وهذا من الفخر المستحب لا المذموم كما هو واضح، وفي الروايات أن جبرائيل كان يفتخر على الملائكة ويقول: «من مثلي وأنا سادس الخمسة الطيبة» (3). ومن انتسابهم (عليهم السلام) إلى جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما ورد كثيراً عنهم من قولهم: «سمعت جدي رسول الله» (4).

ص: 41

1- ولا يخفى الفرق بين هذه المسألة وما سبق من استحباب بيان النسب الشريف للذرية الطاهرة.

2- وكما يقول الشاعر: أولئك أبائي فجتني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جرير - المجمع

3- راجع المناقب: ج3 ص359.

4- راجع التوحيد: ص90 و307، والامالي للصدوق: ص201 المجلس36 ح13، والامالي أيضا: ص345 المجلس55، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج1 ص76 ح5، وص100 ح6، وج2 ص43 ح154، وكمال الدين 253 ح3، والاختصاص: ص238، وسائر كتب الحديث.

وقال الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء: «وأنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله»⁽¹⁾.

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية: «أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة» الحديث⁽²⁾.

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، يرتجز ويقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم *** كفاني بهذا مفخر حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مشى *** ونحن سراج الله في الخلق تزهر

وفاطمة أمة سلالة أحمد *** وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً *** وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ونحن ولادة الحوض نسقي محبنا *** بكاس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا في الناس أكرم شيعة *** ومبغضنا يوم القيامة يخسر⁽³⁾

ومن الواضح أن المستحب هو الافتخار بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا كان من باب «وأما بنعمة ربك فحدث»⁽⁴⁾ أو لأجل إلفات أنظار وشد القلوب أكثر فأكثر إلى رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) أو ما أشبه ذلك.

ص: 42

1- الامالي للشيخ الصدوق: ص 158 المجلس 30.

2- الإرشاد: ج 2 ص 15.

3- كشف الغمة: ج 2 ص 19.

4- سورة الضحى: 11.

ولا يخفى أن المنتسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ثواب طاعته أكثر، وعقاب عصيانه أكثر، بدليل العقل والنقل، ومنه مقتضى آية نساء النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال سبحانه: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء»⁽¹⁾ الآية، ورواية الإمام الصادق (عليه السلام) في قصة شارب الخمر وقوله (عليه السلام): (إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحد قبيح وإنه منك أقبح لمكانك منا)⁽²⁾.

قولها (عليها السلام): (ولنعم المعزي إليه) أي المنسوب إليه، فإن الإنسان يفتخر بنسبته إلى الكبار، وهذا من تنمة الكلام السابق، والفخر - في الإنسان الصحيح - في محله إذ وشائج القربى تؤثر في التسامي والارتفاع.

ص: 43

1- سورة الأحزاب: 32.

2- راجع المناقب: ج4 ص236 والعدد القوية: ص153 نبذة من أحوال الإمام الصادق (عليه السلام).

تبليغ الرسالة

مسألة: يجب تبليغ الرسالة. والوجوب شامل حتى لمفرداتها المندوبة وشبهها.

والدليل على وجوب تبليغ الرسالة بأحكامها الخمسة والأحكام الوضعية أيضا - إذا قلنا بأنها غير الأحكام التكليفية لا أنها منتزعة منها - وان كان من تبليغ المستحب والمكروه والمباح: هو ان تبليغ الرسالة إيصال أحكام الله سبحانه وتعالى إلى العباد، من غير فرق بين أقسام الاحكام، وقد قال سبحانه: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» (1).

وقال تعالى: «الذين يبلغون رسالات الله» (2).

وقال سبحانه: «فإنما عليك البلاغ» (3).

وقال تعالى: «فاعلموا انما علي رسولنا البلاغ المبين» (4).

وقال سبحانه: «ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم» (5).

ص: 44

1- سورة المائدة: 67.

2- سورة الأحزاب: 39.

3- سورة آل عمران: 20.

4- سورة المائدة: 92.

5- سورة الجن: 28.

وقال تعالى: «أبلغكم رسالات ربي»(1).

وقال سبحانه: «وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي»(2).

وقال تعالى: «فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم»(3).

وقال عز وجل: « وأبلغكم ما أرسلت به»(4).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات في هذا الباب، ولا منافاة بين ان يكون العمل - كالنوافل - مندوباً وإبلاغ ذلك للعباد واجباً كما هو واضح، كما لا منافاة بين ما ذكرناه وما ذكره في المستحب من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله عز وجل بعث محمداً(صلى الله عليه وآله) للناس كافة ورحمة للعالمين فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه»(5).

ونقرأ في زيارته (صلى الله عليه وآله): «أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك»(6).

قولها (عليها السلام): (فبلغ) تعقيب لقوله تعالى: «لقد جاءكم»(7)..

ولعلها (صلوات الله عليها) إنماع، ادت إلى أوصاف الرسول (صلى الله عليه وآله) لتكميل

ص: 45

1- سورة الأعراف: 62.

2- سورة الأعراف: 93.

3- سورة هود: 57.

4- سورة الأحقاف: 23.

5- الجمل: ص 267.

6- مصباح المتهجد: ص 709، والبلد الأمين: ص 276، وجمال الأسبوع: ص 29.

7- سورة التوبة: 128.

الأوصاف، أو أنها (عليها السلام) ذكرت ما ذكرت بين طائفتي الأوصاف، لئلا يستلزم التكثير في الصفات في نسق واحد ملالة السامع، كما هو مقتضى البلاغة في الفصل بما يحافظ على قوة الحديث وجاذبيته.

الإِنذارُ أبدأً

مسألة: يستحب الصدع بالإنذار، بل يجب أحياناً، وأصل الصدع يفيد معنى الكسر.

قال تعالى: «والأرض ذات الصدع»(1).

وقال سبحانه: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله»(2).

فإن الذين يبلغون رسالات الله سبحانه بالنسبة لغير المستعدين لقبولها يصدعون في التبليغ..

قال تعالى: «فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين»(3). فعلى الإنسان أن يصدع بالحق وإن كان في مجتمع لا يتقبل كلمة الحق ومنهجه بل يتقبل بعضهم فقط، بل وحتى إذا لم يتقبل ولا واحد منهم، لأن على العالم أن يبلغ الرسالة سواء قبلها الجاهل أو لم يقبل، كما ورد في الحديث

ص: 47

1- سورة الطارق: 12.

2- سورة الحشر: 21.

3- سورة الحجر: 94، والصدع بما يؤمر به هو إظهاره والجهر به، تقول صدعت بالحق أي جهرت به، ومن البين ان الإظهار والجهر بالحق يعود في جوهره الى الكسر والتحطيم لكل ما يخالف أوامر الله.

الشريف: (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يبين علمه وإلا فعليه لعنة الله)(1).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فان لم يفعل سلب منه نور الإيمان»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية وناهبهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة»(3).

وقال سبحانه: «وما على الرسول إلا البلاغ»(4).

وذلك أن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تختلف عن شرائط وجوب التبليغ، فقد يكون الهدف من الإبلاغ إتمام الحجة فقط(5)..

قال تعالى: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب»(6).

ص: 48

-
- 1- راجع غوالي اللثالي: ج4 ص170 ح39، وفيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».
 - 2- علل الشرائع: ص236 ب171 ح1.
 - 3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص162.
 - 4- سورة النور: 54.
 - 5- فعلى ذلك لا يشترط في الإبلاغ (احتمال التأثير) مثلاً وان اشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - 6- سورة الرعد: 40.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما أخذ الله على الجاهل أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من كتم علماً نافعاً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»(2).

قولها (عليها السلام): (صادعا) أي منذراً ومظهراً للإنذار، إشارة إلى قوله سبحانه «فاصدع بما تؤمر»(3)، وقلنا بأن أصل الصدع الكسر، كأنه يكسر حاجز الخوف، أو حجاب السكوت، أو سلسلة الخرافات والضلالات.

ص: 49

1- غوالي اللئالي: ج 4 ص 71 ح 40.

2- غوالي اللئالي: ج 4 ص 72 ح 41.

3- سورة الحجر: 94.

مائلا عن مدرجة المشركين (1)

الميل عن طريقة المشركين

مسألة: يجب الميل عن طريقة المشركين والكفار، ولذا وصف إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالحنيف، لان الحنيف عبارة عن المائل، فقد كان الناس على طريقة واحدة وجاء إبراهيم (عليه السلام) ووضع المناهج والبرامج مائلا عن طريقتهم، قال تعالى: «ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» (2). وكذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهكذا بالنسبة إلى الأنبياء السابقين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد ورد في سلمان عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (3).

وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفاً» (4) قال (عليه السلام): «هي الولاية» (5).

ص: 50

1- وفي بعض النسخ: (ناكباً عن سنن مدرجة المشركين) وفي بعضها: (مائلاً على مدرجة المشركين) ويكون المعنى على هذه النسخة الأخيرة: ضد مدرجة المشركين، أو يكون على بمعنى عن، كما لا يخفى.

2- سورة البقرة: 135.

3- كشف الغمة: ج 1 ص 388.

4- سورة الروم: 30.

5- تفسير القمي: ج 2 ص 154 سورة الروم.

وقال سبحانه: «اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا الله واعرض عن المشركين»(1).

وقال تعالى: «ولا تتبع سبيل المفسدين»(2).

التشبه بالكفار

مسألة: التشبه بالكفار مرجوح في الجملة، وقد يكون حراما، ولربما استفيد من هذه الجملة ذلك، باعتبار استفادة الإطلاق من إضافة المفرد(3) أو بلحاظ أن المقام بمنزلة النكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم(4)، كما ورد في الحديث القدسي (...أعدائي)(5).

قولها (عليها السلام): (مدرجة) أي ما درجوا عليه، أي الطريقة والمسلك، فلم يسلك (صلى الله عليه وآله) سلوكهم في مختلف أبعاد الحياة(6)، حيث إنهم انحرفوا عن طريقة الأنبياء (عليهم السلام) وعن فطرتهم.

ص: 51

1- سورة الأنعام: 106.

2- سورة الأعراف: 142.

3- إذ أن (مدرجة) مضاف ل (المشركين) فتفيد: كل ما درج عليه المشركون.

4- إذ أن (مائلا عن مدرجة المشركين) بمنزلة لم يمل إلى مدرجة المشركين، وليلاحظ أن (مال إلى) تناقض معنى (مال عن) ف (مائلا عن) تساوي في المعنى (لم يمل إلى).

5- هنا كلمة غير مقروءة في النسخة الأصلية.

6- إشارة إلى أن (ما درجوا عليه) يشمل العادات والتقاليد والبدع والخرافات جميعا.

التركيز على أئمة الكفر

مسألة: بناء على التأسي به (صلى الله عليه وآله) فالأصل في المعارك الدائرة على جبهات الكفر والإيمان أن يركز الضربات على (أئمة الكفر) ورؤوس الضلال، وهو أمر عقلي قبل أن يكون تقليداً، إذ أن دعائم الكفر لو تقوضت تقوض ما يقوم بها دون العكس عادة، وعليه أيضاً أن يضرب على الوتر الحساس ويأخذ بخناقهم ويصيبهم في مقاتلهم دون أن يشغل نفسه بالهامشيات وبما لا يبلغ منهم مقتلاً. ومن الواضح إن ذلك هو الأصل والقدرة من الشرائط(1).

قال تعالى: «فقاتلوا أئمة الكفر»(2).

قولها (عليها السلام): (ضاربا ثبجهم) هو وسط الشيء ومعظمه، حتىلا يتمكنوا من القيام بعد أن ضرب ثبجهم.

وفي كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالنسبة إلى خيمة معاوية في صفين: (عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضروا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره، نافج حصنه مفترش ذراعيه)(3).

ص: 52

1- أي ان من لا يستطيع التصدي لائمة الكفر مثلاً فعليه التصدي لأعوانهم، ومن لا يستطيع الأخذ بأكظامهم عليه إقلاقهم فيما عدا ذلك بنحو الترتب.

2- سورة التوبة: 12.

3- تفسير فرات الكوفي: ص 431 سورة الحجرات.

.....
و(بأكظامهم) الكظم مخرج النفس، حتى لا يتمكنوا من التنفس بالباطل.

منهج التصدي للأعداء

مسألة: ينبغي بيان طريقة الرسول (صلى الله عليه وآله) في التصدي لأعداء الدين(1)، ومن الضروري القيام بدراسات تخصصية مستوعبة حول طريقة تصديه لأعداء الإسلام سياسياً وإعلامياً وعسكرياً وفكرياً واجتماعياً وغير ذلك، في المخططات بعيدة المدى والقصيرة الأمد أيضاً(2).

قال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»(3).

وهناك تأكيد كبير على التصدي للأعداء والجهاد كما رسمه القرآن وطبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام):

قال (صلى الله عليه وآله): «إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه وفقراً في معيشتة ومحقاً في دينه، إن الله تبارك وتعالى

ص: 53

1- راجع موسوعة الفقه، كتاب النظافة.

2- استراتيجيا وتكتيكيا.

3- سورة الأحزاب: 21.

4- الامالي للشيخ الصدوق: ص 69 المجلس 16 ح 1.

أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»(1). هذا ولا يخفى أن الجهاد والحرب في الإسلام على أنظف صورة عرفها البشر كما فصلناه في بعض كتبنا(2).

وسئل النبي (صلى الله عليه وآله): «أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند إمام ظالم»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»(4).

وفي بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر»(5).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء»(6).

استعراض قوة الإسلام

مسألة: يستحب استعراض قوة الإسلام ومقومات تقدمه ونجاحه وقد يجب، وبالعكس فإنه يحرم التخذيل والتشيطفي مختلف الأبواب الإسلامية وفروعها ولذا لا يعطى - في باب الجهاد - للمخذل أي سهم، على ما قرر في الفقه.

ص: 54

1- الامالي للشيخ الصدوق: ص 577 المجلس 85 ح 8.

2- راجع كتاب (الفقه: النظافة) مبحث نظافة الحرب، للإمام المؤلف (قدس سره).

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 200.

4- روضة الواعظين: ص 6.

5- إرشاد القلوب: ص 98 ب 24.

6- غرر الحكم: ص 333 ح 7658.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»(1).

وقال (عليه السلام): «ليحذر أحدكم أن يشبط أخاه عن الحج أن تصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخره له في الآخرة»(2).

وفي الدعاء: «وأعدني اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط والأناة والتشيط»(3).

ص: 55

1- المحاسن: ص 99.

2- غوالي اللئالي: ج 4 ص 28 ح 89.

3- مصباح الكفعمي: ص 400.

الدعوة بالحكمة

مسألة: يجب أن تكون الدعوة إلى الدين ب(الحكمة) و(الموعظة الحسنة) وأن يكون الجدل بالتي هي أحسن، في بعض الصور والمراتب، ويستحب في بعضها الآخر. ثم إن (الحكمة) بمعناها الأعم - وهو وضع الأشياء مواضعها - مقسم للموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن، وبمعناها الأخص قسيم لها.

فعلى التقدير الأول: يكون ذكرها بعدها للتأكيد من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته.

وعلى التقدير الثاني: يكون ذكرها تأسيسا، فيكون الأمر بحاجة إلى تحديد المراد بكل منهما.

فقد يقال بأن المراد بالحكمة: استخدام البراهين القطعية، وبالموعظة الحسنة: الخطابة، وبالمجادلة بالتي هي أحسن(1): الإلزام بالمقدمات المسلمة والمشهورة، والأولى للخواص وقد تكون للعوام أيضا، والثانية للعامّة وقد تنفع الخواص أيضا، والثالثة للمعاندين.

وربما يمكن القول بأن المراد بالحكمة - على التقدير الأخص - : مراعاة شرائط الزمان والمكان وما يرتبط بالتأثير على المستمع وفي الجانب المعنوي، وأما الموعظة والجدل فترتبط بالجانب اللفظي وما يتعلق به، ويكون المراد بالموعظة:

ص: 56

1- في الآية المباركة سورة النحل: 125 .

ما يتضمن الإيلام القولي، لكن ذلك الإيلام الحسن الذي يحث النفس ويحرضها دون استفزاز، أو يقال المراد بالموعظة الحسنة: الغرس لكن على الوجه الحسن كما يمزج الدواء المر ببعض الأشربة و الروائح الطيبة كي يستسيغه المريض، أو يغلف بما يستر مرارة الدواء وحدته، ونظرا لان الحكمة تشمل كل ذلك - بالاعتبار الأول(1) - وحملا عليه ربما كان عدم إكمالها (عليها السلام) للاية بذكر القسم الثالث، حيث قال سبحانه: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن»(2). وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار»(3).

وقال (عليه السلام): «عليك بالحكمة فإنها الحلية الفاخرة»(4).

وقال (عليه السلام): «من لهج بالحكمة فقد شرف نفسه»(5). وقال (عليه السلام): «بالحكمة يكشف غطاء العلم»(6). وفي القرآن الكريم: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»(7). وفي زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله): «أشهد يا رسول الله... أنك... دعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الجميلة»(8).

ص: 57

1- أي الحكمة بالمعنى الأعم.

2- سورة النحل: 125.

3- كنز الفوائد: ج 1 ص 319.

4- غرر الحكم: ص 58 ح 604.

5- غرر الحكم: ص 58 ح 606.

6- غرر الحكم: ص 59 ح 625.

7- سورة البقرة: 269.

8- الإقبال: ص 605.

يكسر الأصنام (1) وينكث الهام (2)

القضاء على الأصنام

مسألة: يجب القضاء على الأصنام وكل ما يعبد من دون الله، مما اتخذها المشركون، حتى يقطع صلتهم بها، فإن كان القضاء عليها يتحقق بالكسر - كما في الأصنام - وجب الكسر، وإن كان على نحو الهدم وجب، وإن كان صورة مرسومة على الحائط - مثلاً - وجب محوها أو تغييرها.

وقد كسر النبي إبراهيم (عليه السلام) الأصنام في قصة معروفة (3).

وأمر المؤمنين (عليه السلام) ارتقى كتف النبي (صلى الله عليه وآله) وكسر الأصنام التي كانت على الكعبة (4).

ويظهر من الروايات أن علياً (عليه السلام) كسر أصنام الكعبة مرتين، مرة حين فتح مكة، ومرة قبل الهجرة، ففي الحديث عنه (عليه السلام) قال:

«دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمنزل خديجة ذات ليلة فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي. فما زال (صلى الله عليه وآله) يمشي وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة

ص: 58

1- وفي بعض النسخ: (يجذ الأصنام).

2- وفي بعض النسخ: (ينكس الهام).

3- انظر تفسير القمي: ج 2 ص 71 سورة الأنبياء، وقصص الأنبياء للجزائري: ص 102.

4- راجع إعلام الوري: ص 184، وشواهد التنزيل: ج 1 ص 453 ح 480.

وقد أنام الله تعالى كل عين، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: اصعد علي كتفي.

ثم انحنى النبي (صلى الله عليه وآله) فصعدت على كتفه فقلبت الأصنام على رؤوسها ونزلت وخرجنا من الكعبة حتى أتينا منزل خديجة، فقال (صلى الله عليه وآله) لي: أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم (عليه السلام) ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام.

فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها، فقالوا: ما فعل هذا بآلهتنا إلا محمد وابن عمه«(1).

وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إن اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صحف إبراهيم: الماحي... قيل: فما تأويل الماحي، فقال: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والأزلام وكلمعبود دون الرحمن»(2).

القضاء على أئمة الضلال

مسألة: يجب القضاء على (أئمة الضلال) كما فعل (صلى الله عليه وآله)، فإن (ينكث الهام) أي يضرب الرؤوس أي (رؤوس أئمة الضلال وقادتهم) حتى ينفصل الاتباع عنهم، فيتمكنوا من تقرير مصير أنفسهم بأنفسهم، فيتركوا وشأنهم - أي من دون ارتباط بقيادة الضلال - ليختاروا ما هو مقتضى عقولهم وفطرتهم.

ص: 59

1- الفضائل: ص 97.

2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 71 المجلس 17 ح 2.

.....
إضافة إلى ان ضرب الرؤوس مما يوجب تفكك الترابط بين أجزاء جيش الضلال والظلام، فيكون ادعى لانهزام الإذئاب وأسرع في القضاء على الجمع.

وفي ذكرها (عليها السلام): (يكسر الأصنام وينكث الهام) نكتة لطيفة وهي أن القضاء على الأديان والمذاهب الباطلة يتم بركنين:

أحدهما: القضاء على (الرمز المقدس) و(المحور والقطب) الذي تدور عليه رحي معتقداتهم وأفكارهم. والثاني: القضاء على حملة تلك الراية وعلى الدعاة إليها.

تخليد ذكرى القائد

مسألة: يستحب تخليد ذكر القائد الديني وإحياء أمره، من خلال بيان إنجازاته وما قام به من أعمال حسنة وخطوات حميدة، عبر كتابة الكتب وما أشبه ذلك، وقد يجب ذلك، كما بالنسبة إلى المعصومين (عليهم افضل الصلاة والسلام)، وذلك بلحاظ الحق (1) أولاً، وبلحاظ ما لذلك من التأثير على (تأسي) الناس بالقادة واستضاءتهم بأنوارهم وهدايتهم ثانياً.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (2).

ص: 60

1- قد يكون المراد بالحق: الحق العظيم الذي للمعصومين (عليهم السلام) علينا، وفي درجات أدنى: لسائر القادة الصالحين علينا، دينياً ودينيوياً، وفي ذكر فضائلهم والإشادة بأعمالهم أداء لبعض حقهم.

2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 73 المجلس 17 ح 4.

وعن الهروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»(1).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تجلسون وتحدثون، قال الراوي: قلت نعم جعلت فداك، قال: تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا»(2).

وقال (عليه السلام): «تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»(3).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة رحم الله من أحيا أمرنا»(4).

ص: 61

1- معاني الأخبار: ص 180.

2- مصادقة الأخوان: ص 23.

3- مصادقة الأخوان: ص 34.

4- مصادقة الأخوان: ص 38.

مواصلة المعركة

مسألة: تجب مواصلة المعركة مع الملحدين والمشركين حتى الهزيمة الكاملة، كما قال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»⁽¹⁾..

وكما صنع (صلى الله عليه وآله) حيث واصل (حتى انهزم الجمع وولوا الدبر) و(حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه) ول «يكون الدين كله لله»⁽²⁾.

فإن انهزام الجمع الباطل يوجب تبدده وتفرقه وعدم قيام عمود له حتى يقابل الحق، وما أكثر من يترك مسيرة الجهاد في منتصف الطريق تعباً أو كسلاً أو خوفاً أو طمعاً، وفي الكثير من المجاهدين الذين تركوا مسيرة الجهاد ليتحولوا إلى مصفقينيسرون في ركاب السلاطين الشاهد الكبير والإنذار الأكبر على ذلك أيضاً.

قولها (عليها السلام): (الجمع) أي جمع الكفار (وولوا الدبر) تأكيد لأن المنهزم الشديد الانهزام يولي دبره إلى طرف هازمه بخلاف غيره حيث يمكن أن يهرب فيعطى هازمه طرفه لا ظهره.

ص: 62

1- سورة البقرة: 193، وسورة الأنفال: 39.

2- سورة البقرة: 193، وسورة الأنفال: 39.

وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أراه، فقلت: ما كان رسول الله ليفر، وما رأيته في القتلى...»

فحملت على القوم فاخرجوا فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقامت على رأسه فنظر إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟

فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك.

فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة.

فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار..

فقال لي النبي (صلى الله عليه وآله): أما تسمع يا علي مديحك في السماء.. إن ملكاً يقال له رضوان (1) ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي (2).

الحقيقة الكاملة

مسألة: يجب أن يتصدى الدعاة ل(بيان الحقيقة) كاملة للناس، ولكشف القناع عن كل زيف وضلالة، فإن كثيراً من المبلغين والمؤمنين يخشى أن يقول

ص: 63

1- وفي سائر الروايات أنه كان جبرئيل (عليهما السلام) والظاهر أنهما نادى بذلك، أو أن رضوان من أسماء جبرئيل أيضاً.

2- الإرشاد: ج 1 ص 86 - 87.

الحق كل الحق ويكتفي ببيان بعضه ويحاول إرضاء وجدانه بذلك البعض فحسب!

ولعل الكثير منهم يتعلل - لإرضاء وجدانه وإسكات خلاّئه - بأنه قد قام بجانب من الأمر، وأنه قد أثار بعض الظلم وجلّى بعض البهم وكفى!.

لكن ذلك شرعاً محرم، قال تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض»(1)..

ف(إذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله، أو سلب منه نور الإيمان)(2)..

وقد واصل الرسول (صلى الله عليه وآله) بيان كل صغيرة وكبيرة وتعرض لكل ما يقرب إلى الجنة ويباعد من النار، في العقائد والأعمال، في العقود والإيقاعات والأحكام... (حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه).

وفي المحاسن عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته في حجة الوداع:

«أيها الناس اتقوا الله، ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به»(3).

قال تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل

ص: 64

1- سورة البقرة: 85.

2- راجع غيبة الطوسي: ص 64.

3- المحاسن: ص 278 ح 399.

فما بلغت رسالته«(1) فإن الإسلام كل لا يتجزأ والمؤمنون «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم»(2) وليرجف المرجفون بعد ذلك وليرقد البعض وليحدث ما يحدث.

إذن يجب العمل حتى يظهر محض الحق بدون شوب بالباطل، فإن الحق قد يظهر لكنه مشوب بالباطل، مما يسبب ضلال الناس، فيجب أن يعمل الإنسان جاهداً حتى يظهر محض الحق، كي يتبعه من شاء أن يتبعه..

قال تعالى: «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن

بينة»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الشرعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي»(4).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «هلك من باع اليقين بالشك والحق بالباطل»(5). وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق»(6).

وقال (عليه السلام): «الكيس صديقه الحق وعدوه الباطل»(7).

ص: 65

1- سورة المائدة: 67.

2- سورة المائدة: 54.

3- سورة الأنفال: 42.

4- غوالي اللثالي: ج 4 ص 124 ح 212.

5- غرر الحكم: ص 62 ح 723.

6- غرر الحكم: ص 59 ح 632.

7- غرر الحكم: ص 68 ح 945.

وقال (عليه السلام): «ليكن مرجعك إلى الحق فمن فارق الحق هلك»(1).

وقال (عليه السلام): «من استحيى من قول الحق فهو أحمق»(2).

وقال (عليه السلام): «لا خير في السكوت عن الحق»(3).

قولها (عليها السلام): (تقرى) انشق، والمراد بالليل ظلام الكفر والشرك والانحراف، و(صبحه) أي صبح الحق بالقرينة، أو صبح الليل، لأن وراء كل ليل صبح.

قولها (عليها السلام): (أسفر الحق) كشف وأضاء، (محضه) الضمير عائد إلى الحق، أي محض الحق الذي لا يشوبه باطل، ولعل المراد بهذه الجملة: الشريعة، وبالأولى العقيدة.

ص: 66

1- غرر الحكم: ص 69 ح 953.

2- غرر الحكم: ص 70 ح 988.

3- غرر الحكم: ص 70 ح 991.

إسناد زعماء الدين

مسألة: يجب العمل حتى يفسح المجال لزعيم الدين كي يبلغ الرسالة وينطق بما أمره الله عز وجل، فان زعماء الدين - والزعيم هو السيد - إذا أتحت لهم فرصة النطق والبيان بدون محذور، تمكن طلاب الحقيقة ومن يريد الدين ان يلتفتوا حولهم. فإن الكفار غالباً يحولون دون نطق زعيم الدين، كما قال سبحانه: «فردوا أيديهم في أفواههم»(1)..

وتارة بمنع الناس عن الإنصات لهم كما كان أقطاب مشركي مكة يجعلون القطن في آذان من يريد دخول المسجد الحرام، حتى لا يستمع إلى كلام النبي (صلى الله عليه وآله) أو يجعلون أصابعهم في آذانهم(2). وتارة بإيجاد حاجز نفسي وأغطية وغشاوة فكرية تحول دون تفهم الحقيقة ورؤيتها كما هي.

والمراد ب: (زعيم الدين) فيكلامها (عليها السلام) هو الرسول (صلى الله عليه وآله)، بناء على كون الإضافة لامية، وهو كناية عن تفوق كلمة الحق وسقوط كلمة الباطل، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية(3) وقد يؤيده السياق، ولمكان حتى.

ص: 67

1- سورة إبراهيم: 9.

2- انظر تفسير فرات الكوفي: ص 242 ح 327 سورة بني إسرائيل.

3- أي نطق زعيم هو الدين.

إسكات أصوات الشياطين

مسألة: يجب العمل على أن تخرس شقاشق الشياطين.

قال تعالى: «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا»(1).

وقال سبحانه: «ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صافوا الشيطان بالمجاهدة»(3).

وقال (عليه السلام): «الشهوات مصائد الشيطان»(4).

قولها (عليها السلام): (خرست) أي صارت خرساء، والخرس: عدم القدرة على التكلم. و(شقاشق) جمع شقشقة، وهي الزبد الذي يخرج من فم البعير عند هياجه، وهذا تشبيه بأن الباطل كان عن ثورة وجهل، وبدون واقعية، قال سبحانه: «فأما الزبد فيذهب جفاء»(5)، أما وجه الشبه في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (تلك شقشقة هدرت ثم قرت)(6) فبهدرها لا بعدم الواقعية كما هو واضح.

ص: 68

1- سورة فاطر: 6.

2- سورة الأنعام: 142.

3- غرر الحكم: ص 240 ح 4848.

4- غرر الحكم: ص 304 ح 6937.

5- سورة الرعد: 17.

6- نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

.....
والمراد من (الشياطين):

إما زعماء الشرك، تشبيهاً وتنزيلاً .

أو الشياطين حقيقةً، حيث كانت لهم الكلمة نتيجة تعاضد عوامل عديدة منها: الزعماء الفاسدون، وعدم وضوح الطريق والصراط المستقيم، وعدم وجود القائد والدليل الرائد، إضافة إلى وجود القيود الكابتة والعادات والتقاليد الجاهلية السائدة.

وههنا سؤال ربما يكثر في الأذهان اختلاجه وهو:

إن الإذاعات والصحف الشرقية والغربية التي تتبع أسلوباً صريحاً أو ذكياً لزلزلة عقائد المؤمنين هل يجب (إسكاتهما وإخراستها) عبر إغلاقها - فيما إذا كانت في دائرة سلطة المؤمنين - أو عبر التشويش عليها بالأجهزة الحديثة فيما إذا كانت خارج الدائرة، أم غير ذلك؟

وكإشارة نقول:

أفضل طريقة للتصدي لها هي:

صنع البديل الأكفأ الأنفع فيلتف الناس حوله طبيعياً، ويكون من إسكات الشياطين بالطريقة الإيجابية(1)، فإذا كانت الإذاعة والتلفزيون والصحف الإسلامية أغنى وأقوى وأكثر عطاءً وروعة من غيرها اجتذب الناس إليها دون شك، خاصة مع مطابقتها لمتطلبات الفطرة.

ص: 69

1- هذا لا يتنافى مع منع ما يمكن منعه من البرامج الفاسدة، كالأفلام المفسدة وما أشبهه.

أما إغلاقها وسائر ما يستلزمه من تضيق على العاملين بها أو سجنهم أو ملاحقتهم، فهو - مع أنه غير مقدور في كثير من الموارد (1) - قد يكون مما ضرره أكثر من نفعه، نظراً لاستخدام الأعداء هذه مادة جديدة لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

ولذلك نرى الرسول الأ-عظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) تركا للمشركين والكفار الحرية في التحدث والدفاع الفكري عن عقائدهم وقارعوهم بالحجة لا بغيرها، وتفصيل الكلام في محله.

ص: 70

1- ومع عدم جواز بعض ألوان التضيقات، كما هو مذكور في (الفقه: الدولة الإسلامية) و(الفقه: الحقوق) و(الفقه: الحريات) وغيرها من تأليفات الإمام المؤلف (قدس سره).

وطاح وشيظ (1) النفاق

القضاء على النفاق

مسألة: النفاق - ببعض معانيه - من أشد المحرمات، والقضاء عليه واجب، وذلك مما يستفاد من أدلة عديدة، عقلية ونقلية، ومنها: وقوعه في كلامها (عليها السلام) ههنا نتيجة وغاية لذلك الواجب المسلم (2) ولذلك نرى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بإحراق ذلك المسجد الذي اتخذ ضراراً حيث كان مركزاً أو مجمعاً للمنافقين والضرر والإضرار بالمسلمين (3).

وهناك روايات كثيرة في ذم النفاق بيان أقسامه وأبوابه وما أشبهه، ففي الدعاء المروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق» (4).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «ان الخصومة تمحق الدين وتدرسه وتحبط العمل وتورث النفاق» (5).

ص: 71

- 1- وفي بعض النسخ: (وسيط النفاق) ويكون المراد رئيس المنافقين وأشرفهم وأرفعهم محلاً.
- 2- أي قولها (عليها السلام): (ضارباً ثبجهم، أخذاً بأكظامهم، داعياً.. يكسر الأصنام وينكث الهام) وذلك كله طريق ووسيلة إلى (حتى انهزم الجمع .. حتى تفرى الليل من صبحه.. ونطق.. وخرست.. وطاح وشيظ النفاق..).
- 3- راجع تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص 483 و ص 488.
- 4- مصباح الكفعمي: ص 96 الفصل 17.
- 5- دعائم الإسلام: ج 2 ص 539 كتاب آداب القضاء ح 1914.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلل النفاق»(1).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيمان بريء من النفاق»(4).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر»(5).

وقال (عليه السلام): «احذروا أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون»(6).

قولها (عليها السلام): (طاح) أي سقط (وشيط) السفلة الذين ينشطون عند ذهاب الحق وعموم الظلام. والمراد بالنفاق: إما معناه الاصطلاحي أي المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، حيث إنهم سقطت كلمتهم وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) بمسارب الحياة عليهم وهذا هو المنصرف. أو معناه اللغوي وهو التلون بألوان مختلفة ووجوه متعددة في شتى المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، لأن الأمم الفاسدة تفتقد مكارم الأخلاق ويروج فيها النفاق وتتكون لها وجوه متعددة إلى جانب المساوي الأخرى.

ص: 72

1- تفسير العياشي: ج 1 ص 242 سورة النساء.

2- مجموعة ورام: ج 1 ص 113.

3- مجموعة ورام: ج 1 ص 155.

4- غرر الحكم: ص 458 ح 10476.

5- غرر الحكم: ص 458 ح 10484.

6- غرر الحكم: ص 458 ح 10494.

حل مراكز قوى الأعداء

مسألان: تحرم مشاققة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، ويجب السعي لفصم العرى التي تربط المشركين بعضهم ببعض، أي القضاء على أي مركز تجمع لهم يخشى خطره على الإسلام والمسلمين، وذلك بالأسلوب الذي اتبعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

والشقاق غير الكفر، فإن المراد بالشقاق أن يكون الحق في شق، والباطل في شق آخر، وإن كانا يشتركان في الجامع، وهو (إظهار الإسلام)، قال سبحانه: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً» (1).

وفي الحديث: «اجتنبوا أهل الشقاق وذرية النفاق» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المؤمن منزه عن الزيغ والشقاق» (3).

قولها (عليها السلام): (وانحلت عقد الكفر) فلا مراكز لهم يلجئون إليها ويتقون بها ويستظهرون بها على الإسلام والمسلمين. (انحلت..). أي الجبهة المقابلة للإسلام كلاً- أو للإسلام الصحيح انحلت، فلم يبق لها ملجأ و مجمع، كما هو الشأن في كل حق يظهر، حيث إن الباطل ينزوي ولا يتمكن أن يثبت وجوده كقوة فاعلة متركزة، وإن بقي أشلاء متناثرة وأعضاء متفرقة لا حول لها ولا قوة.

ص: 73

1- سورة النساء: 115.

2- المناقب: ج 4 ص 203.

3- غرر الحكم: ص 461 ح 10564.

وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلص

وههنا مسائل:

- 1: النطق بكلمة الإخلص واجب في الجملة، وبعض مصاديقه مستحب.
- 2: وكما يجب على المؤمن يجب ذلك على الكافر أيضاً، لضرورة الاشتراك في التكليف.
- 3: وبعض مراتب الإعلان والتجاهر بهذه الكلمة واجب، ويجب في الجملة الجهاد لأجل ذلك.

والمراد من (فهتتم):

إما معناها الظاهري وهو النطق بمجرد التفوه بكلمة الإخلص.

وإما: الإظهار والإعلان والتجاهر أيضاً.

و(كلمة الإخلص) هي (لا إله إلا الله) وتسمى بالإخلص لأن المفروض فيها(1) أن يخلص الإنسان العقيدة له سبحانه من غير شريك، ثم إن العطف بالواو وإن كان الأصل فيه أصل العطف لا الترتيب - على المشهور - إلا أنه قد يستخدم في موارد الترتيب بقرينة مقامية، كما في المقام، فإن إظهار الشهادتين عموماً وإظهار الإخلص لله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى المؤمنين كان تحققه عادة

ص: 74

1- المفروض إما من الفرض بمعنى الوجوب، أي الواجب فيها الإخلص، أو المراد قد فرض فيها أن يكون المتكلم بها مخلصاً.

.....
بعد إسقاط كلمة الكفر والنفاق والشقاق، وقد جاءت السيدة الزهراء (عليها صلوات الله) بهذه الجملة عقيب الجملة السابقة، وهذا قد يدل على ما ذكرناه.

وفي الروايات: «القول الصالح شهادة أن لا إله إلا الله»(1).

وفي حديث سلسلة الذهب عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الله عز وجل قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي، فلما مرت الراحلة نادانا (عليه السلام): بشروطها وأنا من شروطها»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسي والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا بعد أن كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»(3).

قولها (عليها السلام): (فهمت) من فاه أي تكلم، بكلمة الإخلاص، ثم إن من المعلوم أن التفوه بها مخلصاً يستتبع العمل ويقتضيه ويوجب سلوكه الدرب الصحيح، ورفض المشركين التفوه بهذه الكلمة المباركة لم يكن لمجرد أنها كلمة عابرة، بل لأن التفوه بهذه الكلمة كان عنواناً للخروج من ولاية الشيطان والدخول في ولاية الرحمن، فهو رمز وشعار وعلامة أولاً(4)، ثم الاعتراف بالإله الواحد يقتضي أن يسلك الطريق إلى آخر فرع من فروع الدين ثانياً.

ص: 75

1- راجع الامالي للشيخ الصدوق: ص 100 المجلس 21 ح 9.

2- الامالي للشيخ الصدوق: ص 235 المجلس 41 ح 8.

3- مائة منقبة: ص 49 ح 24.

4- وذلك كمن يرفع علم دولة، أو المسيحي الذي يحمل الصليب على صدره أو ما أشبهه.

في نفر من البيض الخماص (1)

التقوى والزهد من المقومات

مسألة: هذه الكلمات منها (صلوات الله عليها) توحى بأهمية الزهد والعمل والتقوى ومقوميتها للتقدم، كما تشير إلى بعض صفات القادة الأسوة أيضاً.

قولها (عليها السلام): (نفر) أي جماعة.

(البيض) أي صحيفتهم بيضاء ونقية عن الآثام والموبقات.

والمراد بهم: أما أجلى المصاديق وهم أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، حيث إن المسلمين التحقوا بهم، ويدل عليه ما جاء في بعض النسخ: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، أو مطلق الذين أخلصوا لله فصارت صحيفتهم بيضاء وإن كانت قبل ذلك - لبعضهم - سوداء.

(الخماص): خميص البطن أي خاليه.

وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو اخماصاً وتروح بطانا» (2)

فإن الطير إذا لم يطر لم يحصل

ص: 76

1- وفي بعض النسخ: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً).

2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 222. بيان فضيلة التوكل.

على رزقه، نعم لابد من توفر الحرية التي أمر بها الإسلام للإنسان حتى ينشط في العمل ويخطو خطوات واسعة في مجال التقدم والتفوق كالطير الحر، وإلا كان نصف البشر أو أكثره فقيراً، وإن عمل وكد وجد واجتهد، كما نراه في عالم اليوم حيث السيطرة لغير الإسلام(1).

والمراد بالخماص إما المعنى الحقيقي كما سبق، أو المجازي أيالذين لاعلاقة لهم بالدنيا، ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، ومن المعلوم أن مثل هؤلاء الأشخاص المهذبين الذين لا يعيرون الدنيا اهتماماً هم الذين يتمكنون من صرف كل أوقاتهم في سبيل الله، وبالفعل كانوا كذلك حتى تمكنوا من تقدم الإسلام إلى الأمام.

قال تعالى في الحديث القدسي: «إني وضعت العلم والحكمة في الجوع»(2).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نور الحكمة والمعرفة الجوع، والتباعد من الله الشبع»(3).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد في الدنيا»(4).

ص: 77

1- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- مشكاة الأنوار: ص 328 ب 9.

3- روضة الواعظين: ص 457.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 170.

وقال (عليه السلام): «غاية الزهد الورع»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقربوا منه، فإنه يلقي الحكمة»⁽²⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر إن أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله تعالى حقاً»⁽³⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقوى والزهد في عالم الفناء والتوله بجنة المأوى»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «الزهد سجية المخلصين»⁽⁵⁾.

ص: 78

1- كشف الغمة: ج 2 ص 346.

2- روضة الواعظين: ص 437 مجلس في الزهد والتقوى.

3- مكارم الأخلاق: ص 468 الفصل 5.

4- غرر الحكم: ص 48 الفصل الثالث في العالم.

5- غرر الحكم: ص 275 ح 6032.

تذكر النعم السابقة

مسألة: حيث إن مما يحمل الإنسان على معرفة قدر النعم الإلهية وبيعته على شكرها القولي والعملي: تذكر الأخطار والأهوال والظروف التعيسة التي كان يعيش هو فيها، أو التي كان يمكن أن يعيش فيها لولا اللطف الإلهي وجهاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام)..

لذلك فإن من المستحب أن يتذكر الإنسان ماضيه وماضي أسرته وأمته - التحقيقي أو التقديري (1) - قال تعالى: « ألم يجدك يتيما فأوى * ووجدك ضالاً فهدى » (2).

ومن المستحب تذكير الناس بذلك أيضاً، وكلامها (عليها الصلاة والسلام) ينطلق من هذا المنطلق وغيره.

قال تعالى: « قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (3).

وقال سبحانه: « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » (4).

ص: 79

1- أي الذي لولا اللطف الإلهي لتحقق وتنجز.

2- سورة الضحى: 6 - 7.

3- سورة الأنعام: 11.

4- سورة النمل: 19.

وقال تعالى: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين»(1).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم، وبنا أنقذهم الله من الشرك والمعاصي، وبنا جعلهم الله إخوانا، وبنا هداهم الله، فهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعمة التي أنعم عليهم، وهو النبي وعترته»(2).

ومن فوائد دراسة الماضي معرفة المستقبل إجمالاً حيث قال (صلى الله عليه وآله): «كلما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة، مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»(3).

وإنما قالت (عليها السلام): (على شفا حفرة من النار) اقتباساً من الآية الكريمة(4)، والتعبير ب (كنتم على شفا حفرة) نظراً لأنهم كانوا أحياء، ولم يسقطوا بعد في نار جهنم. وإن كانت النار - بالمعنى الآخر - محيطة بهم كما قال سبحانه: «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»(5)، فقد ذكرنا في كتاب (الآداب والسنن)(6) وغيره

ص: 80

1- سورة الروم: 42.

2- دعوات الراوندي: ص 158 ح 434.

3- كمال الدين: ص 576.

4- قوله تعالى: «وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها» سورة آل عمران: 103.

5- سورة التوبة: 49.

6- موسوعة الفقه: ج 94 - 97 كتاب الآداب والسنن.

.....
إن الدنيا التي نعيش فيها لها وجوه: وجه ظاهر وهو الملموس بالحواس الخمس، ووجهان واقعيان، هما الجنة والنار، كما يظهر من الآيات والروايات، فقد قال سبحانه: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا»(1). وقال جل وعلا: «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»(2).

وقال تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة)(4) وما أشبه ذلك مما هو كثير في الروايات(5).

وجوب الإنقاذ

مسألة: يجب - عقلاً وشرعاً - إنقاذ من يكون على شفير حفرة من النار.

إذ كما يتحمل الإنسان مسؤولية نفسه، كذلك يتحمل مسؤولية أسرته، قال تعالى: «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً»(6) ويتحمل مسؤولية مجتمعه أيضاً، فليست مسؤولية الهداية والإرشاد خاصة برجال الدين فحسب، إذ «كلكم راع

ص: 81

1- سورة الروم: 7.

2- سورة العنكبوت: 54.

3- سورة النساء: 10.

4- معاني الأخبار: ص 267.

5- هذا مع إمكان حملها على عالم الآخرة مجازاً بالأول أو المشاركة.

6- سورة التحريم: 6.

.....
وكلكم مسؤول عن رعيته»(1) وإن كانت مسؤولية رجال الدين أكد، قال تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»(2) والعلماء هم الذين يربطون على الثغر الذي يلي إبليس.

وهذا من غير فرق بين نار الدنيا أو نار الآخرة، وإن كان وجوب الثاني أكد وأشد، فإن نار الدنيا زائلة ونار الآخرة باقية دائمة، إلا من خرج منها بلطفه سبحانه، ومع ذلك فإن نار الدنيا أهون مراتب ومراتب من تلك النار الآخرة ولو كانت مؤقتة، وفي دعاء كميل: (.. فكيف احتمالي لبلاء الآخرة...)(3).

قولها (عليها السلام): (شفا) أي شفير (حفرة) لأن النار في حفرة جهنم، بخلاف الجنة حيث هي درجات، بينما النار دركات، (من النار) نار الآخرة لكفرهم وفسادهم عقيدة وأخلاقاً وشريعة، فإذا مات أحدهم سقط في جهنم. ومن المعلوم أن نار الآخرة إنما هي لمن بلغه الحق فأعرض عنه، أما الجاهل القاصر فإنه يمتحن في الآخرة، كما ورد في الحديث.

والتعبير ب (كنتم على شفا) نظراً لأن حياة الإنسان مهما طالت فهي قصيرة تمضي كلمح بالبصر خاصة إذا ما قيست بالحياة الآخرة، وإذا ما قيست بماضي الدنيا أيضاً، قال تعالى: «اقتربت الساعة»(4).

ص: 82

1- غوالي اللثالي: ج 1 ص 129، وارشاد القلوب: ص 184.

2- سورة التوبة: 122.

3- راجع مصباح الكفعمي: ص 555، دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان .

4- سورة القمر: 1.

وربما يعترض بأنهم قبل إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا ممن بلغتهم الحجة، فكيف يعاقبون؟

والجواب:

أولاً: (لله حجتان، باطنة وظاهرة) كما في الحديث الشريف (1)، وهؤلاء كانوا قد خالفوا صريح حكم العقل والفترة فيسفك الدماء وانتهاك الأعراض وسحق الحقوق، فتأمل.

وثانياً: لم تكن الجزيرة خالية من أوصياء الأنبياء وتعاليم الأنبياء (عليهم السلام) قبل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد كان فيهم أمثال عبد المطلب وأبي طالب (عليهما السلام).

ص: 83

حرمة إذلال المؤمن نفسه

مسألة: يحرم إذلال المؤمن نفسه - في بعض مراتبه (1) - ولو بالتسبب أو بترك تمهيد المقدمات التي توجب إخراجه من الذلة.

فإن الله لم يفوض له إذلال نفسه.

قال (عليه السلام): «إن الله فوض إلى المؤمن أمره كله ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً. أما تسمع قول الله عز وجل: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (2) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، ثم قال: إن المؤمن أعز من الجبل، إن الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء» (3).

وقال (عليه السلام): «المؤمن لا يكون ذليلاً ولا يكون ضعيفاً» (4).

وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «من استنجد ذليلاً ذل» (5).

وكذلك الأمر في التجمعات: كالهيات والنقابات والتنظيمات والأحزاب

ص: 84

1- أي بعض مراتب الإذلال.

2- سورة (المنافقون): 8.

3- مشكاة الأنوار: ص 50.

4- مشكاة الأنوار: ص 260.

5- غرر الحكم: ص 465 ح 10706.

والأمم، فإن المحرم أن تذلل أنفسها بالتمسح على أعتاب الشرق والغرب، أو بالنزاعات والمهاترات، أو حتى بترك ما ينبغي لمثلها أن تكون عليه - في الجملة - أي بكل ما يسبب أن تكون الأمة مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، أي أن تكون ضعيفة كماً أو كيفاً وفي جميع مجالات الحياة.

قال سبحانه: «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين»⁽¹⁾. وقال (صلى الله عليه وآله): (إن الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حية).

وفي الروايات: إن الشجاعة من خصال الأنبياء (عليهم السلام)⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الشجاعة عز حاضر»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «الشجاعة أحد العزّين»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «الشجاع والشجاعة غرائز شريفة يصنعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتنحه»⁽⁵⁾.

ص: 85

1- سورة آل عمران: 146.

2- راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 277 ح 15.

3- غرر الحكم: ص 259 ح 5525.

4- غرر الحكم: ص 259 ح 5529.

5- غرر الحكم: ص 375 ح 8443.

بل يجب على المؤمن والتجمعات الإيمانية والأمة الإسلامية أن تمهد من الأسباب ما يوجب عزتها ومزيدها من كرامتها ورفعتها إجمالاً، فإن «لله العزة ورسوله وللمؤمنين» (1). وقد قال سيد الشهداء (عليه السلام): (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام..)(2).

وقال (عليه السلام): (من استوى يومه فهو مغبون)(3).

وقال (عليه السلام): (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً)(4).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن ترك التجارة منصرفاً إلى العبادة: (اغد إلى عرك)(5).

ص: 86

1- سورة المنافقون: 8.

2- اللهوف: ص 97 - 98، ويشير (عليه السلام) إلى أن الذلة هي بعيدة عنه أشد البعد، إذ أن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يباين ذلك وكذلك المؤمنون، ثم ان مقتضى التربية الصالحة (وحجور طابت) أيضاً هو رفض ذلك، إضافة إلى أن النفس بفطرتها الصافية ترفض ذلك أيضاً (ونفوس أبية).

3- معاني الأخبار: ص 342.

4- بشارة المصطفى: ص 222، مستطرفات السرائر: ص 650.

5- راجع من لا يحضره الفقيه: ج 3 ص 192 باب التجارة وآدابها... ح 3719 وفيه: (وروي عن المعلى بن الخنيس أنه قال: رأني أبو عبد الله (عليه السلام) وقد تأخرت عن السوق، فقال لي: اغد إلى عرك). وفي تهذيب الأحكام: ج 7 ص 3 ب 1 ح 4: (عن هشام بن أحمر قال: كان أبو الحسن (عليه السلام) يقول لمصادف: اغد إلى عرك، يعني السوق).

.....
وغير ذلك من الآيات والروايات التي يستفاد منها رجحان أو وجوب العزة - في بعض مراتبها أو بالقياس إلى بعض الجهات أو في عدد من الحالات - مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، أو بدلالة الاقتضاء.

قولها (عليها السلام): (مذقة) من المذاق، أي كنتم أذلاء حتى أنكم كنتم كالذي يمدقه ممن يشرب الماء حيث المذقة لا قيمة لها(1).

(نهزة) أي محل الانتهاز، فالذي يطمع فيكم يتمكن من ان ينتهز الفرصة ليأخذكم ويسلبكم ويستولي على نساتكم، فقد كانوا كذلك، أموالهم منهوبة ونساؤهم مخطوفات، فلا- دين ولا- دنيا ولا قانون ولا شرف يمنعهم عن السرقة والضرب والجرح والقتل وانتهاك سائر المحرمات كزنا بعضهم بنساء بعض.

(قيسة العجلان): فكما أن الإنسان - إذا كان على عجل في طريقه - يقتبس شيئاً من النار المشتعلة ويذهب لحاجته دون أن يمنعه أحد من الاقتباس، لعدم قيمة النار المقتبسة، كذلك كنتم انتم لا قيمة لكم ولا اعتبار، فكان بعضهم يستعبد بعضاً بالقوة بلا رادع ولا مانع.

(موطئ): إن الأقدام تطأ الأشياء الخسيسة التي لا قيمة ولا أهمية لها، كذلك كنتم في الجاهلية فاقدين لكل شخصية واعتبار، فالقوي يطارد الضعيف والغني يستخف بالفقير، وكل إنسان يسحق من دونه.

ولقد جاءت هاتان الجملتان: (وكنتم على شفا..) و(مذقة الشارب..) بحيث ترسم الصورة المتكاملة لحالتهم في الدنيا والآخرة، ف (كنتم على شفا حفرة

ص: 87

1- فلا تروي غليلاً ولا تطفئ عطشاً.

.....
من النار) تكشف عن مصيرهم في ذلك العالم، و(مذقة الشارب..). تدل على حالتهم المعيشية في هذه الدار، فكانوا مصداق من خسر الدنيا مع الآخرة، ومن لا معاش له لا معاد له.

العزة في كل شؤون الحياة

مسألة: ما ذكر في المسألة السابقة من الحكم شامل للعزة والذلة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً وغير ذلك من شؤون الحياة، فينبغي بل قد يجب أن يكون المؤمنون في كلها ذوي العزة، بل أن يكونوا هم الأعز، قال تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»(1).

فالوهن والضعف منهى عنه، ولزوم كونهم (الأعلون) هو مقتضى تعليقه على الشرط(2) مشفوعاً بقرينة السياق، وبما سيق الكلام لأجله، إضافة إلى إطلاق ما سبق من الآيات والروايات.

وقال (صلى الله عليه وآله): (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه)(3).

إضافة إلى لحاظ جانب الطريقية والمقدمية في مراتب العزة، إذ كلما كان المؤمنون أعز كانوا أقدر على إرشاد الناس واجتذابهم للدين المبين، وكلما كانوا أعز كانت مكاتبتهم في نفوس سائر الملل والنحل أقوى، إذ الغالب في الناس

ص: 88

1- سورة آل عمران: 139.

2- الشرط هو (ان كنتم مؤمنين) في الآية المباركة.

3- غوالي اللثالي: ج 1 ص 226، نهج الحق: ص 515.

.....
الانشداد نفسياً والتأثر فكرياً والاقتداء عملياً بذوي العزة والجاه والمنزلة علمياً أو اقتصادياً أو غير ذلك، وقد يكون ذلك كله من مصاديق (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم) (1) وهذا من أسرار تأثير كثير من المسلمين بالحضارة الغربية.

الإرشاد لمواطن الضعف

مسألة: يستحب، وقد يجب إرشاد الأمة لمواطن الضعف في حياتها ومسيرتها الماضية والحالية..

كما يلزم - بالمعنى الأعم - تحذيرها مما قد يعتريها في مستقبل الأيام، للتلازم بين الأمرين، كما ألمع إليه في بعض البنود السابقة (2).

وفي الحديث قال (عليه السلام): «أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي» (3).

حرمة الاستسلام للاستعمار

مسألة: يحرم أن تستسلم الأمة لاستعمار الآخريين، وأن ترزخ تحت نير المستعمرين، من غير فرق بين أنحاء الاستعمار، كالاستعمار العسكري والاقتصادي

ص: 89

1- مشكاة الأنوار: ص 46 عن أبي عبد الله (عليه السلام).

2- راجع للإمام المؤلف (قدس سره): (المتخلفون مليارا مسلم) و(إلى نهضة ثقافية إسلامية) و(نحو يقظة إسلامية) و(إلى حكم الإسلام) و(لماذا تأخر المسلمون) و(السييل إلى إنهاء المسلمين) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و...

3- الاختصاص: 240.

.....
والثقافي وغيرها، ولا فرق في الآخرين بين أن يكونوا من أهل الكتاب أو غير أهل الكتاب، بل إن الله تعالى يحرم مطلق الاستعمار حتى من كافر لكافر وربما أوجب القتال لأجل استنقاذه.

قال سبحانه: «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين»(1).

وقال تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً»(2).

والاستعمار خلاف مقتضى كرامة الإنسان بما هو إنسان.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»(3).

ولا يخفى ما في شفع (مذقة الشارب ونهزة الطامع..) في كلامها (عليها السلام) ب(وكنتم على شفا حفرة من النار) من الدلالة على شدة مبغوضية أن تكون الأمة مستعمرة للآخرين، مغلوبة على أمرها، فاقدة لاستقلاليتها، فقد قرنت (صلوات الله عليها) ذكر حالتهم الأخروية بهذه الحالة الدنيوية في تصويرها لأسوأ ما منوا به.

وكان تعبيرها (عليها السلام) بما سيأتي من (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) دليلاً ساطعاً على أن من أعظم ما حققه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ومن أكبر المنن عليهم: إنقاذهم من الاستعمار كما أنقذهم من حر النار.

ص: 90

1- سورة النساء: 75.

2- سورة الإسراء: 70.

3- تحف العقول: ص 76 كتابه إلى الحسن (عليه السلام).

كراهة شرب الطرّق

مسألة: يكره شرب الطرّق، فإن شرب الماء المطروق يضر الإنسان صحياً، والإسلام يأمر بالتزام المناهج الصحية للجسم، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): (إن لبدنك عليك حقاً) (1).

بالإضافة إلى أن شرب الماء الذي تطرقه الحيوانات يتنافى مع الحديث النبوي (صلى الله عليه وآله): (النظافة من الإيمان) (2) فاللزام على المسلمين أن تكون مياه شربهم نظيفة وأن ينتهجوا النظافة في جميع مجالات الحياة (3)، وهناك آداب كثيرة في شرب الماء ذكرناها في الفقه (4).

ولم نقل بحرمة شرب الطرّق نظراً لأن الأصل الحل والإباحة، نعم يحرم شربه إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه بالنجاسة، أو فيما إذا أصبح مضراً ضرراً بالغاً، وكذا الحال في المياه الآسنة وشبهها.

قولها (عليها السلام): (الطرّق) أي الماء القليل الذي ترده وتطرقه الكلاب والحيوانات، وحيث كانوا في بلاد جافة في الجزيرة كان شربهم من هذه المياه

ص: 91

1- انظر رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

2- طب النبي (صلى الله عليه وآله): ص 21.

3- راجع موسوعة الفقه: كتاب النظافة.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 76 و 77 كتاب الأطعمة والأشربة.

.....
المخلوطة بالأبوال والأرواث.

والملاحظ أنها (صلوات الله عليها) بدأت بذكر مآلهم وسوء عاقبتهم، ثم ثنت بوصف حالتهم السياسية والاجتماعية المأساوية، وثلت بذكر حالتهم الاقتصادية المزرية، ثم عادت لتشير إلى حالتهم النفسية والاجتماعية أيضا (أذلة .. من حولكم)..

وكانت إشارتها (عليها السلام) إلى كل تلك الجوانب أبداع إشارة، حيث اعتصرت كل تلك الجوانب في كلمات قليلة جسدت فيها الواقع في أدب تصويري رائع.

ص: 92

وتقتادون القد(1)

كراهة أكل القد والورق

مسألة: يكره أكل القد والورق - كما في بعض النسخ - فإن أكل أوراق الأشجار والقد كثيراً ما يوجب أمراضاً، كما ذكر في علم الطب.

ولا يبعد أن يستفاد من قوله تعالى: «ويحل لهم الطيبات»(2) أن الأطيب هو الأفضل، ومن قوله سبحانه: «ويحرم عليهم الخبائث»(3) أنه كلما كان أخبث كان أسوأ، للملاك، ولأن للأحكام درجات في جانبي السلب والإيجاب.

قولها (عليها السلام): (القد) القديد وهو اللحم والجلد الذي يجفف في الشمس، وعادة تكثر فيه الديدان والتعفن، وقد كان اللحم الذي يأكلونه هو هذا، وكثيراً ما كانوا لا يجدون حتى هذا فيأكلون أوراق الأشجار، وكل ذلك لعدم اهتداء الجاهليين للمناهج الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. التي أمر بها الإسلام والتي تصلحهم في دينهم ودنياهم، فكان كل شيء منهم في غاية التخلف والتأخر والانحطاط.

ومن الثابت أن نوعية الطعام تؤثر على الإنسان وتفكيره وعلى عواطفه

ص: 93

1- وفي بعض النسخ: (وتقتادون الورق).

2- سورة الأعراف: 157.

3- سورة الأعراف: 157.

ومشاعره وعلى حالته النفسية والروحية والمعنوية، وحتى على أولاده أيضا - عند انعقاد النطفة وفترة الحمل والرضاع - ولذلك وردت أحاديث كثيرة في الأطعمة والأشربة مما ذكر الفقهاء تفصيلها في كتاب (الأطعمة والأشربة) (1) وفي كتب طب المعصومين (عليهم السلام) وغيرها.

ولقد كان من علل قساوة الجاهليين وغلظتهم وتحجر عواطفهم هو ذلك المأكل والمشرب السيئ الرديء.

ص: 94

1- راجع موسوعة الفقه: ج 76-77.

الذلة النفسية والسياسية

مسألة (1): يجب السعي لنجدة الذليل فرداً كان أم أمة، واستخراجه من ذلته في الجملة، بكلا معنيي الذلة، إذ:

الذلة تارة تكون حالة نفسية يعيشها الإنسان في ذاته وداخله، كمن يشعر بعقدة الحقد، وهي قد تصيب الأمم فيبهرها كل ما تأتي به سائر الحضارات.

وقد تكون معادلة اجتماعية سياسية، حيث قد تتغلب أمة على أمة، أو دولة على دولة، أو فرد على فرد، حيث يعيش المغلوب ذلة عملية باعتبار كونه محكوماً مكبلاً وإن كان هو الأفضل والأكفأ والأعلم.

والى هذا القسم الثاني يشير الشاعر حيث يقول عن لسان الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): من الزنج عبد غاب عنه نصير

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني

أو ما ورد من: (وبعد العز مذلات) (2).

أو قوله تعالى: «ولقد نصركم الله بيدر وانتم أذلة» (3).

ص: 95

1- المسألة السابقة (حرمة إذلال المؤمن نفسه) تختلف عن هذه من جهة ان تلك كانت بياناً لحكم المرء نفسه بالنسبة لنفسه، وهذا بيان حكمه بالنسبة لغيره.

2- الدعاء والزيارة، زيارة الناحية المقدسة.

3- سورة آل عمران: 123.

فبالإلزام أن يسعى الإنسان ليكون عزيزاً وليحقق العزة بسائر أبناء ملة الإسلام أيضاً، فإن كانت ذلته داخلية فعليه أن يعالج أسبابها ويزيل مقتضياتها، إذ قد تكون لجهل أو فقر أو تلقين أو ما أشبهه.

وإن كانت خارجية - أي مظلومية - وجب أيضاً أن يتحداها ويواجهها بالفكر والمنطق، أو بالإعلام والدعاية، كما قامت به السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس ابن زياد(1) ويزيد(2) وغيرهما..

وهكذا الإمام السجاد (عليه السلام) في مجلس يزيد(3) وغيره..

وكبائه (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة(4) على مقتل أبيه الحسين (صلوات الله عليه).

وكما قامت به فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله)(5).

ص: 96

1- راجع الامالي للشيخ الصدوق: ص 165 المجلس 31 ح 3، والإرشاد: ج 2 ص 115، وكشف الغمة ج 2 ص 63، وإعلام الوري ص 252، ومثير الأحزان ص 90.

2- الاحتجاج: ص 307 - 310، احتجاج زينب بنت علي (عليها السلام) حين رأت يزيد يضرب ثنانيا الحسين (عليه السلام) بالمخصرة، ومثير الأحزان: ص 100-101، واللّهوف: ص 181.

3- الاحتجاج: ص 310 - 311، احتجاج علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

4- الامالي للشيخ الصدوق: ص 140 المجلس 29 ح 5، الخصال: ص 272 البكاءون خمسة ح 15.

5- المناقب: ج 3 ص 362، فصل في وفاتها وزيارتها، وفيه: «روي أنها مازالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة...». وفي روضة الواعظين: ص 150، مجلس في ذكر وفاة فاطمة (عليها السلام): «وروي أن فاطمة لازالت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) معصبة الرأس ناحلة الجسم، منهدة الركن من المصيبة بموت النبي (صلى الله عليه وآله) وهي مهمومة مغمومة محزونة مكروية كئيبة حزينة باكية العين محترقة القلب...».

وكما قام به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من قبل لمدة طويلة في مكة المكرمة حيث لم يكن قد أذن له بالجهاد بعد.

أو بالمواجهة العسكرية، كحروب النبي (صلى الله عليه وآله) (1).

أو بالنهضة والتضحية بالغالي والنفيس كثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، ف (الحياة في موتكم قاهرين، والموت في حياتكم مقهورين) (2).

أو بأسلوب المقاومة السلبية، كما قام به الإمام الحسن (عليه السلام) وعدد آخر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث كانت هي الطريقة الوحيدة لفضح معاوية وأشباهه وكشف القناع عن زيفه ودجله وخداعه. ويستفاد ذلك الحكم من كلامها (عليها السلام) من اعتبارها (أذلة) من أسوأ ما مني به الجاهليون قبل النبي (صلى الله عليه وآله) واقتترانه بما سبق ولحق، والامتنان عليهم أكبر الامتنان بإنقاذه تعالى إياهم من تلك الحالات بأبيها محمد (صلى الله عليه وآله)، وبحكم العقل ودليل التلازم والأسوة يثبت ما سبق.

فتحصل مما سبق مسائل:

ص: 97

1- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج1-2) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- انظر المناقب: ج3 ص167، فصل في حرب صفين، وشرح النهج: ج3 ص244 الفصل الخامس.

.....

أنه يحرم الإذلال - حدوداً - للفرد والتجمعات والأمة، داخلية كانت أم خارجية، ويجب الخروج منها بالنسبة إلى الذليل نفسه، كما أنه يجب على الآخرين الحيلولة دون ذلة إنسان (دفعاً) وإذا وقع في الذلة وجب عليهم إخراجها منها (رفعاً) فهي محرمة حدوداً وبقاءً، بالنسبة للنفس أو الغير.

قولها (عليها السلام): (أذلة) أذلاء جمع ذليل (خاسئين) مطرودين، وقد جاء في التاريخ أن أهل الجزيرة كانوا يستغيثون بكسرى وقيصر كي يشملهم بحكمه وينقذ بعضهم من يد بعض، فما كانا يستجيبان لهم لذلتهم وحقارتهم.

انتهاج منهج الجاهليين

مسألة: يحرم - في الجملة - انتهاج منهج الجاهليين في عاداتهم وطقوسهم، فإن الجاهلية تشمل العقائد والآداب والأخلاق والسلوك والأُمور المرتبطة بالجسم، لأن كل انحطاط جاهلي، وكل ارتفاع علمي، فإن العلم يوجب ارتفاع الإنسان في مختلف أبعاد الحياة «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»⁽¹⁾.

وقد أشير إلى ذلك في جملة من آيات القرآن الحكيم والروايات:

مثل قوله سبحانه: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»⁽²⁾.

ص: 98

1- سورة المجادلة: 11.

2- سورة الفتح: 26.

وقوله تعالى: «ولا تبرجن الجاهلية الأولى»(1).

وقال سبحانه: «افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً»(2) إلى غير ذلك.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «وأمت أمر الجاهلية إلا ما سنه الإسلام»(4).

وفي الدعاء الوارد في غيبة الإمام القائم (عجل الله فرجه الشريف): «اللهم لاتمتني ميتة جاهلية»(5).

وفي علل الشرائع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية»(6).

ومن مصاديق ذلك الحكم الكلي(7) إحياء آثار وذكرى الفراعنة والقيصرية والجبابرة، عبر وضع النصب والتماثيل لهم أو حفر صورهم وأسمائهم في الجدران

ص: 99

1- سورة الأحزاب: 33.

2- سورة المائدة: 50.

3- الامالي للشيخ الصدوق: ص 173 المجلس 32 ح 7، وعلل الشرائع: ص 473 باب النوادر ح 35.

4- تحف العقول: ص 25.

5- كمال الدين: ص 512.

6- علل الشرائع: ص 157.

7- أي انتهاج منهج الجاهليين.

وغير ذلك. وكذلك اتباعهم في اعتقادهم بالخرافات والسحرة والكهنة والتنجيم، وكذلك في المأكل والمركب والملبس وشبه ذلك مما يعد عرفاً أتباعاً لهم وأحياناً لذكراهم.

ولا فرق في ذلك بين جاهلية القرون السابقة، أو جاهلية القرن العشرين، حيث حكمت الجاهلية باسم الحضارة والتمدن في شتى مناحي الحياة(1).

فما دام المسلمون يعيدون عن مناهج الله، متمسكين بعادات وتقاليد الجاهلية الأولى أو الجاهلية المعاصرة، فإنهم سيبقون - والعياذ بالله - (أذلة خاسئين).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»(2) قال: أي سيكون جاهلية أخرى»(3).

ص: 100

1- فذوات الأعلام في ذلك الزمن أصبحن يحملن (الكاراتات) وأرقاماً رسمية في هذا الزمن! والسفور والمسابح المختلطة أصبحت دليل التحرر والتنوير، والذيلية للشرق والغرب أصبحت دليل الحكمة والتعقل وعلامة الرشد والرفقي ووسيلة الخلاص من الأخطار الداخلية والخارجية تماماً كما كان الجاهليون يلتجئون ويتمنون حماية الروم والفرس لهم أمناً من شرورهم أنفسهم.

2- سورة الأحزاب : 33.

3- تفسير القمي: ج2 ص193 سورة الأحزاب.

ضمانات للمستقبل

مسألة: يجب توفير الضمانات التي تؤمن مستقبل الأفراد والأمة وتضمن لهم عدم تعرضهم لأي خطر يداهمهم على حين غرة، فإن مقدمة الواجب واجبة عقلاً، و(المؤمن كيس فطن حذر) (1) وقد ورد في وصف أمير المؤمنين (عليه السلام): (كان والله بعيد المدى) (2).

أما الخوف فهو بالقياس إلى ما يضاف إليه قد يكون قبيحاً أو محرماً، وقد يكون حسناً أو واجباً:

فالخوف الناجم عن تقصير في المقدمات والمصحوب بتخاذل عن محاولة العلاج واتباع الطرق والحلول التي بينها الله تعالى في القرآن الحكيم وعلى لسان المعصومين (عليهم السلام) رذيلة، كما في الخوف الذي أشارت إليه (صلوات

اللهعليها) بالنسبة للجاهليين، وكما في التخوف الذي يعيشه الكثير من المسلمين - حكاماً أو أفراداً - من أن تتخطفهم الدول الاستعمارية أو الجائرة من حولهم تخطفاً عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ما أشبه فلا يعملون بوظائفهم.

أما المؤمنون العاملون الملتزمون بالأوامر الإلهية السائرون على منهج رسل الله (عليهم السلام) في الجهاد والتضحية، فقد قال تعالى في حقهم:

ص: 101

1- دعوات الراوندي: ص 39، جامع الأخبار: ص 85، مجموعة ورام: ج 2 ص 297.

2- العدد القوية: ص 249، وكشف الغمة: ج 1 ص 77، وعدة الداعي: ص 208.

«ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(1).

وقال سبحانه: «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(2).

والحزن عادة يطلق بالنسبة إلى الحال، والخوف بالنسبة إلى الاستقبال، وذلك لأن أولياء الله سبحانه وتعالى لا ترتباطهم بالله لا يخافون غيره ولا يحزنون لفوت شيء من الدنيا ونحوها.

ولذا فالخوف والحزن الحقيقيان منتفیان عنهم وإن كانوا خائفين بمعنى آخر كما قال سبحانه: «يدعوننا رغباً ورهباً»(3) وهم محزونون لأنهم لا يعرفون هل أن الله سيعاملهم بعدله أم بفضله.

وفي الدعاء: (اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك).

فالخوف من الله هو الفضيلة كما قال (عليه السلام): (خف الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك)(4)..

وهكذا الخوف من مغبة الأعمال الطالحة، والخوف من نتائج التقصير والقصور السابق المشفوع بالعمل لرأب ما انصدع وجبر ما انكسر، هو المطلوب، وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله):

«يا بن مسعود خف الله في السر والعلانية فإن الله تعالى يقول:

ص: 102

1- سورة يونس: 62.

2- سورة البقرة: 112.

3- سورة الأنبياء: 90.

4- ثواب الأعمال: ص 147، ثواب زيارة الأخوان ومصافحتهم ومعانقتهم ومسائلتهم.

.....
«ولمن خاف مقام ربه جنتان» (1)«(2).

أما الخوف من قوى الشيطان بتصور سلطانها على قوى الرحمن أو بتصور صدق إلقاءاتها عن مغبة اتباع أوامر الرسل هو الآخر مرفوض ومحرم، قال عز وجل: «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين» (3).

وفي الدعاء:

«اللهم واستغفرك لكل ذنب حملني على الخوف من غيرك أو دعاني إلى التواضع لأحد من خلقك أو استمالني إليه الطمع فيما عنده...» (4).

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «يا بن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظاً من نفسك، وما كان الخوف شعارك والحزن دثارك، ابن آدم إنك ميت ومحاسب فأعد الجواب» (5).

وقال سيد العابدين (عليه السلام):

«ليس الخوف من بكى وجرت دموعه مالم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله، وإنما ذلك خوف كاذب» (6).

ص: 103

1- سورة الرحمن : 46.

2- مكارم الأخلاق: ص 455 الفصل 4.

3- سورة آل عمران: ص 175.

4- البلد الأمين: ص 45.

5- إرشاد القلوب: ص 105 ب 28.

6- عدة الداعي: ص 176.

وقال (عليه السلام): «المؤمن بينمخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يمسي إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عند الخوف يحسن العمل»(2).

وقال (عليه السلام): «غاية العلم الخوف من الله سبحانه»(3).

وقال (عليه السلام): «خير الأعمال اعتدال الخوف والرجاء»(4).

وقال (عليه السلام): «الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعه عن المعاصي»(5).

وقال (عليه السلام): «الخوف أمان»(6).

هذا كله في الخوف الممدوح.

وقد ورد في الخوف المذموم: «لا ينبغي للعاقل أن يقيم على الخوف إذا وجد إلى الأمان سبيلاً»(7).

ص: 104

1- تحف العقول: ص 377.

2- كنز الفوائد: ج 1 ص 278.

3- غرر الحكم: ص 63 ح 789.

4- غرر الحكم: ص 156 ح 2938.

5- غرر الحكم: ص 190 ح 3682.

6- غرر الحكم: ص 191 ح 3695.

7- غرر الحكم: ص 263 ح 5664.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثلاثة تنقص النفس: الفقر والخوف والخزن، وثلاثة تحييها: كلام العلماء ولقاء الأصدقاء ومر الأيام بقلة البلاء»⁽¹⁾.

قولها (عليها السلام): (تخافون) إشارة إلى الآية الكريمة: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»⁽²⁾ فإنهم كانوا في خوف دائم من أن يغير عليهم مغير فيستولي عليهم ويسلبهم ويجعلهم عبيداً وإماءً، كما كانت عادة الجاهليين فإن حال الأمم المستضعفة هكذا حتى في هذا العصر، مع اختلاف من حيث الزيادة والنقصان، والمد والجزر، والتنوعية والكيفية⁽³⁾.

ص: 105

1- جامع الأخبار: ص 184 الفصل 41.

2- سورة الأنفال: 26.

3- إذ الأسر قد يكون جسمياً وقد يكون فكرياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ما أشبه كما سيوضحه (قدس سره).

حرمة الاختطاف والعنف

مسألة: يحرم الاختطاف وأخذ الرهائن كما كان متعارفاً في ذلك الزمن، وكما هو متعارف في زماننا هذا..

وهكذا يحرم جميع مصاديق العنف والإرهاب، مما يوجب إيذاء الناس أو تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، سواء من الحكومة للقوى المعارضة ولو تحت عنوان الاعتقال، أو من المعارضة لأركان السلطة، فإن كل شيء يسلب الناس حريتهم الممنوحة من الله سبحانه وتعالى لهم محرم، وكل مصادرة لحق من حقوق الناس محرمة.

نعم في كل مورد حكمت الشريعة الإسلامية فيه بالسجن - وهي قليلة جداً بالنسبة إلى موارد السجن في عالم اليوم كما ذكرنا تفصيله في الفقه (1) - جاز ذلك مع رعاية جميع حقوق السجين (2)، وهو بالدليل الخاص، لأنه على خلاف قاعدة (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) (3).

كما أن كل مورد عين الشرع فيه حصة من المال لبيت المال (كالخمس

ص: 106

- 1- راجع موسوعة الفقه ج100 كتاب الحقوق. و(الفقه: القانون) و(الفقه: الحريات) وكتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) للإمام المؤلف (قدس سره).
- 2- راجع كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين) للإمام المؤلف (قدس سره).
- 3- راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية.

والزكاة) أيضا يكون تخصيصا لهذه الكلية التي جزء منها حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (1)، وجزء منها مستفاد من قوله تعالى: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» (2) فإن كونه أولى دليل على ثبوت الولاية للإنسان على نفسه، وأن النبى (صلى الله عليه وآله) أولى منه إذا تعارضت الولايتان، أو مطلقاً كما لا يخفى.

وشىوع حالة الاختطاف في المجتمع دليل على جاهلية ذلك المجتمع، أو على وجود قوانين كابثة وظلامات وحقوق مصادرة تسبب تفجر فئات من الناس ضد الوضع بهذه الطريقة السلبية.

وهذا ما نشاهده واضحاً إثر سيطرة الحضارة الغربية التي أرست دعائمها على استعمار الشعوب الأخرى عسكرياً أو اقتصادياً وحتى فكرياً وثقافياً، كما هو منهج الاستعمار في الفترة الأخيرة عبر الأقمار الصناعية وسيل من الكتب والمجلات والجرائد والأفلام وغيرها.

وكلامها (صلوات الله عليها) وإن كان إخباراً عن واقع معين في زمن معين، إلا أنه يكشف عن قوانين كلية وسنن اجتماعية وسياسية جارية على مر السنين، تصلح كمؤشر لتشخيص حالة المجتمع صحة ومرضاً، قوة وضعفاً.

ص: 107

1- وهو الجزء الأول منها: «الناس مسلطون على أموالهم»، راجع غوالي اللثالي: ج 1 ص 222، ونهج الحق: ص 494.

2- سورة الأحزاب: 6.

لا يتخطفوك

مسألة: يلزم على الإنسان أن لا يجعل نفسه عرضة لأن يتخطفه إنسان أو شيطان، ويكون على حذر من ذلك، وهناك روايات في أسلوب خطف الشيطان للإنسان بنفسه أو بإنسان آخر وما يلزم في مواجهته.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بينما موسى بن عمران (عليه السلام) جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وأقبل إلى موسى فسلم عليه، فقال له موسى: من أنت؟

فقال: أنا إبليس. قال: أنت، فلا قربك الله.

قال: جئت لأسلم عليك لمكانك من الله.

قال موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم.

قال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه بني آدم استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبتة نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»⁽¹⁾. وقال (عليه السلام): «النظر سهم من سهام إبليس وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «الحسد مقنصة إبليس الكبرى»⁽³⁾.

ص: 108

1- مشكاة الأنوار: ص 313 - 314.

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 264 عقاب الزاني والزانية.

3- غرر الحكم: ص 299 ح 6796.

وقال (عليه السلام): «الكبر مصيدة إبليس العظمى»(1).

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام): «يا بن رسول الله ما الذي يباعد عنا إبليس؟ قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده: الذاكرون لله، والباكون من خشية الله، والمستغفرون بالأسحار»(3).

وقال (عليه السلام): «تحرز من إبليس بالخوف الصادق»(4).

وقال (عليه السلام): «إن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم»(5).

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبيننا وذلك يدفع عن أبدانهم»(6).

ص: 109

1- غرر الحكم: ص 309 ح 7119.

2- فضائل الأشهر الثلاثة: ص 76 ح 58 وح 71 كتاب فضائل شهر رمضان.

3- إرشاد القلوب: ص 196 ب 52.

4- تحف العقول: ص 284 وصيته (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفي.

5- تحف العقول: ص 392 وصيته (عليه السلام) لهشام.

6- الاحتجاج: ص 17.

إنقاذ المسلمين

إنقاذ المسلمين (1)

مسألة: يجب إنقاذ المسلمين في زماننا هذا من جاهليتهم وذلّتهم وضعفهم، تأسياً برسول الله (صلى الله عليه وآله) واقتداءً به، وقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (فليتأس متأس بنبيه وإلا فلا يأمنن الهلكة) (2) ولحكم العقل والنقل، ولأن جاهليتهم وذلّتهم وضعفهم من أشد المحرمات، إذ هي جماع لشتى خصال الشر والفساد (3). وقد قال سبحانه: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلنون» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الإسلام يعلو...» (5).

إلى غير ذلك مما ذكرناه في البنود السابقة.

ص: 110

1- راجع حول هذا المبحث كتيب (إنقاذ المسلمين) وكتاب (الفقه: طريق النجاة) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و(المتخلفون مليارا مسلم) و(القطرات والذرات) و... للإمام المؤلف (قدس سره).

2- نهج البلاغة: الخطبة

3- فضعفهم مثلاً سبب سلطة قوى الشرق والغرب عليهم، فانتهكت أعراضهم وسلبت أموالهم وأريقتم دماؤهم، كما حدث في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي، وهكذا في الدول الإسلامية التي كانت تحت سيطرة المنظمة الشيوعية كأفغانستان والجمهورية الإسلامية الستة، وفي العراق أبان السلطة المباشرة للاستعمار البريطاني ثم عبر السلطة المقنعة زمن البعث.

4- سورة آل عمران: 139.

5- متشابه القرآن: ج 2 ص 212.

ومن الواضح إن الإنقاذ لا يتحقق - عادة - دفعة واحدة، بل يتحقق تدريجياً، فيجب العمل للإنقاذ خطوة خطوة، كل حسب إمكانه.. مادياً ومعنوياً وفي مختلف أبعاد الحياة.

وحيث إن الأفعال والأحداث تسند إلى السبب الأول أو العامل الرئيسي وهو القائد والعقل المخطط، لذلك قالت (صلوات الله عليها): (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله)) رغم وجود المسلمين الأشداء في الإيمان والعمل من حوله كما قال عز وجل: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»⁽¹⁾.

الإنقاذ من الله وبالعمل بمناهجه

مسألة: يجب الإيمان بأن الإنقاذ لا يتحقق إلا بإذن تكويني من الله تعالى، وبالتزام تشريعي بأوامره الصادرة عبر رسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

كما قال تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»⁽²⁾.

وقال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى»⁽³⁾.

فقد جعل الله تعالى الكون عالم الأسباب والمسببات، والنصر الإلهي أيضاً

ص: 111

1- سورة الفتح: 29.

2- سورة الأعراف: 96.

3- سورة طه: 124.

ضمن هذه الدائرة، قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»(1).

وقال سبحانه: «ثم اتبع سبباً»(2).

وقال تعالى: «وابتغوا إليه الوسيلة»(3).

وورد في الحديث الشريف: (أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها)(4).

وعلى هذا فإن (التواكل والتخاذل) محرم، إذ هو خلاف الإعداد واتباع الأسباب.

والتقوى والإيمان وذكر الله - والمراد به القرآن الكريم - كما في الآيتين السابقتين هي الطرق التكوينية لنصرة الله للإنسان، فلو التزم بها الإنسان نصره الله بإمداد غيبي أيضاً، ولذلك كان «إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين»(5) فالصبر شرط تكويني تليهنصرة الله التي تجعل الواحد غالباً على العشرة.

وهكذا نجد أن كل ما دخل في دائرة إرادة الإنسان فإن له عاملين طوليين:

1: إذن الله تعالى وتمهيده الأسباب والعلل وجعلها في متناول الإنسان،

ص: 112

1- سورة الأنفال: 60.

2- سورة الكهف: 89 و92.

3- سورة المائدة: 35.

4- راجع غوالي اللثالي: ج3 ص286 باب النكاح ح27، وفيه: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا على الأسباب». ومثله في بصائر الدرجات:

ص6 ح2

5- سورة الأنفال: 65.

.....
كالحياء والعلم والقدرة.

2: إرادة الإنسان وتمهيده سائر الأسباب - كإعداده ما استطاع من قوة وتخطيطه وصبره واستقامته وما أشبه ذلك - وهو في هذه أيضا حدوداً وبقاءً محتاج إلى الله تعالى. وقد قال سبحانه: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»(1).

وقال تعالى: «أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»(2).

وقال عز وجل: «أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون»(3).

وقال سبحانه: «واتقوا الله ويعلمكم الله»(4).

وقد ذكرنا ذلك في علم الكلام في مبحث الجبر والتفويض(5)، فما ليس في دائرة عمل الإنسان فهو من الله، وما في دائرة عمل الإنسان فعليه أن يسعى، قال سبحانه: «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»(6).

وقال تعالى: «كل امرء بما كسب رهين»(7).

وقال سبحانه: «وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(8).

ص: 113

1- سورة الأنفال: 17.

2- سورة الواقعة: 64.

3- سورة الواقعة: 72.

4- سورة البقرة: 282.

5- راجع موسوعة الفقه، المدخل، كتاب العقائد.

6- سورة النجم: 39.

7- سورة الطور: 21.

8- سورة التوبة: 105.

.....
وقال تعالى: « إنما تجزون ما كنتم تعملون»⁽¹⁾ إلى غيرها من الآيات والروايات.

وقد قالت (عليها السلام): (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) فإن الله هو المنقذ الحقيقي ولكن بواسطة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو تعالى علة العلل، وهو (صلى الله عليه وآله) واسطة الفيض، فإنه جاء إليهم بالعقيدة الصحيحة والشريعة الكاملة والدين الأغر والأخلاق الرفيعة حتى تحولوا من أذلة صاغرين إلى أعزة عظماء.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس! إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) بالهدى، وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من البرم، وعمى عن الحق، وانتشار من الخوف، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلطي من الحروب.

وعلى حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبوس من أغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها، فقد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجمة في وجود أهلها، مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، قد مرقتم كل مرقق، فقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليهم أيامها.

قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من

ص: 114

1- سورة الطور: 16، وسورة التحريم: 7.

أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية حوط، لا- يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون الله عقاباً، حيّهم أعمى نجس، ميّتهم في النار ملبس.

فجاءهم النبي (صلى الله عليه وآله) بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال وبيان الحرام، وذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه مختلفون، فلو سألتهموني عنه لأخبرتكم عنه لأنني أعلمكم (1).

هذا وقد دامت العزة للمسلمين إلى ما قبل مائة سنة - ولو في بعض أبعادها (2) - وعندما تركوا شيئاً فشيئاً مما تبقى من أحكام الإسلام عادت إليهم الذلة الجاهلية والعبودية للشرق والغرب، حتى أصبحوا ألعوبة بيد الكفار فأشعلوا في بلادهم النيران على طول الخط، وساعد بعضهم بعضها على الحرب والسلب والنهب ومناصرة الأجنبي في ضرب المسلمين. وإني أذكر منذ خمسين سنة حتى الآن ورحى الحرب تدور في بلاد الإسلام (3).

وفي الحال الحاضر هناك حروب دامية في أذربيجان والعراق والخليج وكشمير وإرتريا والهرسك والبوسنة ومورو ولبنان وفلسطين وغيرها. والسبب في ذلك هو أن المسلمين تركوا العمل بمناهج الله التي صرح بها في القرآن الحكيم من:

ص: 115

1- تفسير القمي: ج 1 ص 2-3.

2- إشارة إلى العزة الظاهرية، حيث كانوا حكاماً وملوكاً دون خضوع لسلطة استعمارية خارجية من روم أو فرس أو شرق أو غرب.

3- راجع كتاب (المسلمون يتضررون) للإمام المؤلف (قدس سره).

.....
(الأمّة الواحدة) و(الأخوة الإسلامية) و(الشورى) و(الحرية) و(التنافس الإيجابي) وسائر أحكام الإسلام المنقذة، وإلا فقد قال تعالى: «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»⁽¹⁾، نسأل الله الفرج والمخرج.

التنبيه على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستجب تنبيه الناس إلى أن سعادتهم طوال قرون وقرون كانت ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد يجب ذلك.

قال سبحانه: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون»⁽²⁾.

وقال تعالى: «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»⁽³⁾.

وقال عز وجل: «ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك»⁽⁴⁾.

ص: 116

1- سورة المنافقون: 8.

2- سورة الأنفال: 26.

3- سورة آل عمران: 164

4- سورة النساء: 79.

وقال سبحانه: «وما بكم من نعمة فمن الله»(1). ومن المعلوم - كما قلنا - أن مراتب(2) من سعادة الإنسان والتي هي ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، لا تتحقق إلا بتطبيق أوامرهما، كما أن شفاء المريض يتحقق باستعمال الأدوية التي عينها له الطبيب في نسخته.

وقد سبق أن المسلمين في يومنا هذا حيث تركوا أوامر الله سبحانه وتعالى ابتلوا بالضنك الذي ذكره الله عز وجل(3) فإنهم تركوا:

قوله سبحانه: «إن هذه أمتكم أمة واحدة»(4). في الأمة الواحدة.

وقول تعالى: «إنما المؤمنون أخوة»(5). في الأخوة الإسلامية.

وقول سبحانه: «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»(6). في الحريات الإسلامية.

بالإضافة إلى أنهم تركوا الشورى، والتنظيم، فقد قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»(7)..

ص: 117

1- سورة النحل: 53.

2- قوله (مراتب من سعادة الإنسان) يشير إلى ان مراتب أخرى قد تحققت بصرف لطف الله وبجهود رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دون مدخلية لالتزام المسلمين بأوامرهم في ذلك.

3- في قوله: «ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً»، سورة طه: 124.

4- سورة الأنبياء: 92.

5- سورة الحجرات: 10.

6- سورة الأعراف: 157.

7- سورة الشورى: 38.

.....
وقال سبحانه: «من كل شيء موزون»(1)..

وفي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): (نظم أمركم) (2)..

وقد فصلنا جملة من ذلك في جملة من كتبنا (3).

بل إن سعادة البشرية والجوانب الإيجابية في عالم اليوم (4) كلها ببركة النهضة الإنسانية التي قام بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، ضد رذائل الأخلاق وضد المحرمات: من الجهل والمرض والفقر ووأد البنات وغير ذلك، كما اعترف بذلك الغربيون أنفسهم حيث صرحوا بأن المسلمين هم آباء العلم الحديث (5) حيث تتلمذ الغرب على أيديهم إبان القرون الوسطى - وقبلها - في الأندلس وغيرها.

ص: 118

-
- 1- سورة الحجر: 19.
 - 2- روضة الواعظين: ص 136، شرح نهج البلاغة: ج 17 ص 5.
 - 3- راجع (السييل إلى إنهاء المسلمين) و(الصياغة الجديدة) و(الفقه: السياسة) و(الفقه: الإدارة) و(الفقه: النظافة) و(الفقه: القانون) وغيرها للإمام المؤلف (ره).
 - 4- كالتطور العلمي والتكنولوجي وبعض التوجه والالتزام بحقوق الإنسان وغير ذلك.
 - 5- راجع (قصة الحضارة) و(أميركا والفرصة التاريخية) و(حضارة العرب) وغيرها من المصادر الكثيرة.

المخرج من المشاكل

مسألة: يلزم على الإنسان أن يطلب المخرج من المشاكل والمخلص من المحن والفتن لا أن يستسلم لها، إذ قال (عليه السلام): «المؤمن كيس فطن حذر»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «والمؤمن كيس عاقل»⁽²⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى لبيغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له، وقال هو الذي لا ينهى عن المنكر»⁽³⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى لبيغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له»⁽⁴⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله لبيغض المؤمن الضعيف الذي لا رفق له»⁽⁵⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمن القوي كالنخلة ومثل المؤمن الضعيف كخامة الزرع»⁽⁶⁾.

ص: 119

1- جامع الأخبار: ص 85 الفصل 41.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 89 ح 1512.

3- معاني الأخبار: ص 344.

4- المحاسن: 196.

5- الجعفریات: ص 150.

6- جامع الأخبار: ص 183 الفصل 41.

وقال تعالى: «ثم أتبع سبباً»(1).

وقال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ضرع فيحلب ولا ظهر فيركب»(2). وقيل: (الحرب خدعة)(3). وهناك في الفقه باب خاص باسم (باب الحيل الشرعية)(4).

قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا والتي) بلحاظ ما سبقه والقرينة المقامية (5)، فيه إشعار وإشارة إلى لزوم أن يطلب الإنسان المخرج من المشاكل ومن شتى العوامل والبواعث الإفراطية والتفريطية.

فإن الإنسان المقدم في ميادين الحق يتلى بمتشددين ومتساهلين في شتى المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها(6).

ص: 120

1- سورة الكهف: 89.

2- غرر الحكم: ص 464 ح 10675، وفي نهج البلاغة أيضاً، انظر شرح النهج: ج 18 ص 82.

3- راجع الارشاد: ج 1 ص 163، ومتشابه القرآن: ج 1 ص 236.

4- الحيلة هي المخرج والمخلص فقد يكون محرماً وقد يكون شرعياً، فالمخرج من الزنا هو إجراء صيغة العقد مثلاً مع سائر شروطه .

5- وبضميمة دليل التأسّي.

6- فهناك في المجال الديني أناس ينحون نحو الرهينة وآخرون نحو التحلل ويغرقون في وحول المادية، وأناس يدعون إلى تبرج المرأة وآخرون إلى حرمانها حتى من التعليم والتعلم رغم قوله (صلى الله عليه وآله): (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) [كنز الفوائد: ج 2 ص 107، وعدة الداعي: ص 72، وجامع الأخبار: ص 139 الفصل 99 « وأناس يعزلون أنفسهم عن السياسة، وبالتالي عن أية مقارعة للحاكم الجائر والطاغوت وآخرون ينهجون منهج المصلحية والانتهازية ويتخذونها سلماً لتحقيق أهدافهم وشهواتهم، إلى غير ذلك.

.....
فاللازم عليه أن يعالج الأمر حتى يتمكن من تطبيق الحق الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، قال سبحانه: [وكذلك جعلناكم أمة
وسطاً] (1).

وفي الحديث: (خير الأمور أوسطها) (2).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق» (3)..

فإن الإفراط والتفريط بين محرم وبين مرجوح.

قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا)، يقال تزوج رجل امرأة قصيرة فناله منها ما ناله من الأذى ثم طلقها، وتزوج امرأة طويلة القامة فناله منها ما
ناله فطلقها، فقيل له تزوج بأخرى، فقال بعد اللتيا والتي؟! وصار مثلاً يضرب لمن ابتلى في سابق أمره بالمشكلات والدواهي الصعبة أو
المتكررة أو الدواهي الكبيرة والصغيرة.

ثم إن عرب الجزيرة أقدّمهم الرسول (صلى الله عليه وآله) من مشاكلهم الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فهل من التعقل
أن يعودوا إلى مثل حالتهم السابقة من الفوضى والتخلف بعد إرسال الرسول وانزال الكتاب والتعب والجهد المستمر؟

وفي تذكيرهم بذلك تمهيد لإفهامهم بأن تنحيّتهم الخليفة الذي عينه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، سيعود بهم إلى كثير من البلى
والرزايا والمحن.

ص: 121

1- سورة البقرة: 143.

2- غوالي اللثالي: ج 1 ص 296 الفصل 10 ح 199، وإعلام الوري: ص 307.

3- دعائم الإسلام: ج 1 ص 355 في كتابه (عليه السلام) إلى الأشر النخعي.

فإن قال قائل: إن التاريخ سجل لهم التقدم والانتصارات، فكيف يقال إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من المحن والرزايا وحتى الذلة أيضاً؟.

قلنا: لو كانوا تمسكوا بأحكام الإسلام كما أنزلها الله سبحانه، ولو التزموا بتعاليم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ولو اتبعوا خليفته الحقيقي وهو الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لم يكونوا يقعون في المشاكل التي وقعوا فيها من الحروب الطاحنة التي دارت بينهم مما امتلأت بها صفحات التاريخ، ومن سيطرة حكام مستبدين وطغاة جبارة «اتخذوا مال الاهدولاً وعباده خولاً» (1) بما تضمن ذلك من قتل الأنفس المحترمة في شرق البلاد والإسلامية وغربها طوال حكومة الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن سبقهم (2) ومصادرة حقوق وأموال الناس (3) وسجن وتعذيب الملايين في ظلم المطامير (4) إلى غير ذلك.

إضافة إلى أن تقدمهم لم يكن ليتحدد بذلك الحد - جغرافياً ومعنوياً - بل كانوا يسودون العالم والبشرية أجمع، ولكن اليوم وبعد خمسة عشر قرناً، ترى ثلاثة أرباع العالم غير مسلمين، والمسلمون هم الربع، وكثير منهم الأذل الأقل فإننا لله فإننا إليه راجعون.

ص: 122

1- الأمالي للشيخ المفيد: ص 280 المجلس 33 ح 6.

2- كنموذج: قتل المسلمين وعباد الله الصالحين بتلفيق تهمة الارتداد في قضية مالك بن نويرة، وقتل أمثال حجر بن عدي وعدد كبير جداً من أولياء الله ومن العلماء في حكومة معاوية ويزيد... وإلى يومنا هذا.

3- كنموذج: الأموال الهائلة التي أقطعها عثمان لذويه، من بيت مال المسلمين.

4- كنموذج: سجن الحجاج الذي احتوى على أكثر من مائة وعشرين ألف، لا يقيهم حر الشمس اللافحة سقف، ولا برد الزمهرير غطاء.

بهم الرجال وذؤبانهم

مسألة: يجب - انطلاقاً من شمولية قاعدة «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (1) للقوة كماً وكيفاً، سلاحاً وعلماً وعملاً و... إذ كلها مصاديق للقوة، والانصراف للقوة العسكرية إن كان فبدوي - الاستعداد لمقابلة المبهمين من الرجال وذؤبانهم.

وقولها (عليها السلام): (بعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب) تنبيه على أن صاحب المبادئ الرفيعة، عليه تأسياً به (صلى الله عليه وآله) أن يستعد لمواجهة الرجال المبهمين الذين لا يعرف واقعهم. فلهم واقع غامض لا يدري كيف يقابل معهم، أو أنهم من شدة بأسهم لا يدري من أين يأتون (2) ولذا يسمون بهم الرجال من المبهم الذي لا يعرف واقعه (3).

ومن المحتمل أن يكون (بهم الرجال) إشارة إليهم من غير العرب من الفرس والروم في قبال (ذؤبان العرب).

ص: 123

1- سورة الأنفال: 60.

2- يمكن أن تقرأ معلومة ومجهولة ف (لا- يدري من أين يأتون) أي من أين يهاجمون الإنسان أو (من أين يأتون) أي من أين يهاجمهم الإنسان، إذ حيثما فكرت ووجهت وجهك وجدتهم مترصدين مستعدين.

3- وربما يكون وجه ما وصفهم ب (بهم الرجال) الإشارة إلى أنهم كالبهيم التي لا شعور لها ولا أدراك كما قال عز وجل: «إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل» سورة الفرقان: 44.

أما (ذؤبان العرب) فإن الذئب من طبيعته التوحش والتوثب والحيلة والتحرك باتجاهات مختلفة طلباً للفريسة، وكان عرب الجاهلية من هذا النوع، ولذا قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام): (كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات)⁽¹⁾. وقال الشاعر:

(.....) ⁽²⁾ بهز الكف متنه *** فيه كما عسر الطريق ذهاب)

ولعل من وجوه وصفهم ب (ذؤبان العرب) إن الذئب إذا وقع في القطيع لا يبقى ولا يذر فهو يفتك لمجرد الفتك، شهوة في الفتك، وهو المصداق الجلي للوحش الضاري الذي لا يفتك لحاجة، بللحاجة ودون حاجة تلذذاً من السطو والاعتداء ومنظر الدماء، وقد كان أعداء النبي (صلى الله عليه وآله) كذلك، فهم كانوا كالذئاب الضارية الشرسة يغيرون ويفتكون ويفعلون ما يفعلون تعوداً منهم على الفتك وتلذذاً منهم بالجريمة ودلعاً منهم بالدماء.

مذمومية الصفات السبعية

مسألة: من المذموم اتصاف الإنسان بالصفات السبعية، واللازم أن يتحلى قلبه بالرحمة والإنصاف وحب الآخرين، بل المواساة والإيثار، ويدل على ذلك مختلف الآيات والروايات:

قال تعالى: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد

ص: 124

1- اللهوف: ص 60.

2- هنا كلمة أو كلمات غير مقروءة.

.....
قسوة»(1).

وقال (عليه السلام): «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب»(2).

وقال (عليه السلام): «من علاما تالشقاء جمود العين وقسوة القلب»(3).

وعن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أحب أخاك المسلم وأحب له ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لنفسك»(4) الحديث.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإنصاف يستديم المحبة»(5).

وقال (عليه السلام): «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف»(6).

وقال (عليه السلام): «ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع إلى قلب

سليم»(7).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لكننا نأمركم بالورع الورع الورع، والمواساة المواساة المواساة لإخوانكم»(8).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيثار أعلى المكارم»(9).

ص: 125

1- سورة البقرة: 74.

2- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 2.

3- روضة الواعظين: ص 414.

4- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 323 المجلس 52 ح 12.

5- غرر الحكم: ص 394 ح 9114.

6- غرر الحكم: ص 394 ح 9116.

7- كشف الغمة: ج 2 ص 349، الإمام التاسع.

8- المحاسن: ص 158 باب خصائص المؤمن ح 95.

9- غرر الحكم: ص 395 ح 9159.

المعارضة علماء وجهلة

مسألة: يجب أن يعد حملة المبدأ الصحيح العدة المناسبة لمواجهة طوائف ثلاثة تتصدى عادة لحملة راية الحق، كل منها بشكل يتناسب مع الوسائل والأسلحة التي تستخدمها، فإن من السنن الإلهية الجارية في المجتمعات على مر التاريخ: إن المبادئ القويمة ودعاة الإصلاح ورواد الحقيقة يواجهون عادة بطوائف من المعارضين، منها:

أ: علماء سوء يعرفون الحقيقة ويكابرون عنها، يمثلون الجانب العلمي والوجه الثقافي للمعارضة.

ب: وأبطال شجعان يجسدون قمة القوة المادية لجبهة الباطل.

ج: أراذل وأوباش وصعاليك من سفلة القوم يعدون بمنزلة الرتل الخامس لجيش العدو.

وإلى القسم الأول أشارت (عليها السلام) بقولها: (مردة أهل الكتاب).

وإلى القسم الثاني بقولها: (بهم الرجال).

وإلى القسم الثالث أشارت بقولها: (وذؤبان العرب) إذا كان المراد به: الصعاليك واللصوص.

وربما يقال: إن المراد بذؤبان العرب: أولئك الذين غلب عليهم طابع الوحشية والشراسة والتعطش للدماء، وحينئذ فيكون هذا القسم هو الضلع

الثالث في مثلث الأعداء، فقولها (عليها السلام): (وبعد أن مني بيهم... ومردة أهل الكتاب) إشارة ضميمة إلى هذه الحقيقة وإن كل مبدأ صحيح يتلى عادة بعلماء سوء يكابرون الحقيقة، كما يتلى بجهال مبهمين وصعاليك أوباش أو متوحشين، قال سبحانه: «ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً»(1).

ولا يخفى أن هذا الكلي ليس خاصاً بالمبادئ الصحيحة - وإنما المبدأ الصحيح في مقابله هذه الطوائف المنحرفة - بل كل مبدأ وكل مسلك يواجه بهذه الفئات عادة، فإن كان المبدأ باطلاً كان الذين يعارضونهم من العلماء والجهال على حق في هذا الجانب، وإن كان المبدأ صحيحاً كانت جبهتا العلماء والجهال المعارضين له، على ضلال.

مثلاً: النبي (صلى الله عليه وآله) الصحيح المبدأ ابتلي بهما، كما أن (علي محمد الباب)(2) الباطل المبدأ واجهه علماء مسلمون هم حق كما واجهه غير العلماء من المسلمين الذين كانوا أيضاً على حق.

وعلى أي، فاللازم أن يستعد حملة المبدأ الصحيح لمقابلة هؤلاء كما قال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...»(3).

ص: 127

1- سورة آل عمران : 186.

2- علي محمد الشيرازي (1819-1850) مؤسس البايية في إيران، ادعى أنه باب إلى الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وذلك بتخطيط ودعم من الاستعمار الروسي، أعدم في تبريز.

3- سورة الأنفال : 60.

فعلماء السوء: يواجهون بتوعية الناس عبر المحاضرات والكتب وسائر وسائل الإعلام وعبر كشف زيفهم للناس. وبهم الرجال: عبر أبطال أكفاء يواجهونهم بأسلحتهم، فيتسلحون بالتنظيمات والتكتلات والنقابات والأحزاب وغيرها، ويوجهون بتكوين تنظيمات وتجمعات إسلامية تحافظ على الشباب وتفشل مخططاتهم.

والسفلة والصعاليك: يواجهون بمثلهم أيضا، إذ لا يفل الحديد إلا الحديد، وقد ورد في الحديث الشريف: (هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفية يعضده)⁽¹⁾.

ويجب أن لا- يشبط دعاة الحق عن تبليغ الرسالة وجود حشد من المشاكل، سواء كانت مشاكل الإفراط والتفريط، أو مشاكل بهم الرجال وذؤبانهم، أو مشاكل مردة أهل الكتاب وأذئابهم، كما قال تعالى:

«فاستقم كما أمرت ومن تاب معك»⁽²⁾.

قولها (سلام الله عليها): (مردة) جمع مارد، وهو العاتي المتكبر الذي لا يرضخ للحق، ومردة أهل الكتاب منصرف إلى علمائهم الذين عتوا على الحق وتكبروا عن الرضوخ له، وإن كان اعم لغة من ذلك. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ولا تكونوا علماء جبارين»⁽³⁾.

ص: 128

1- كشف الغمة: ج2 ص113.

2- سورة هود: 112.

3- الأمالي للشيخ الصدوق: ص359 المجلس 57 ح9.

.....
وعن عيسى (عليه السلام) قال: «مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «شر الناس علماء السوء»(2).

استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: كلماتها (عليها السلام) في استعراض نماذج من المصاعب التي واجهت الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن الأعداء الذين مني بهم، حكاية وشكاية وهداية، والثالث بين واجب ومستحب، والأولان - بما هما هما - يقعان متعلقين للأحكام الخمسة. فحكايتها (عليها السلام) لتلك الحال، تذكير لهم بعظيم فضله (صلى الله عليه وآله) عليهم من جهة، وبعظيم جهاده (صلى الله عليه وآله) واستقامته وصبره وصموده وتحمله الأذى في ذات الله من جهة أخرى، وبكبير جرمهم في التصدي له (صلى الله عليه وآله) من جهة ثالثة.

قال (صلى الله عليه وآله): «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت»(3).

والأول: يقتضي شكر النعمة.

والثاني: يقتضي التأسى به (صلى الله عليه وآله) واتباعه وانتهاج منهجه.

والثالث: يقتضي تكفير الذنب عبر التعويض بالتفاني في الذب عن تعاليمه

ص: 129

1- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 84.

2- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 220.

3- المناقب: ج 3 ص 247، وكشف الغمة: ج 2 ص 537.

(صلى الله عليه وآله) وأوامره، وعلى رأسها الدفاع عن من عينه خليفة له واتباعه وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وهي حكاية تتضمن شكاية منهم على ما مضى، وشكاية أخرى على ما جرى - ما مضى حين البعثة وبعدها، وما جرى بعد استشهاد (صلى الله عليه وآله) - وهيا أيضا شكاية تتبعها شكاية.

وهذه الشكاية هي من دواعي الهداية ومن مصاديق النهي عن المنكر ومن مصاديق إتمام الحجة، وهي أيضا - في الجملة - دفع ورفع: رفع لما قد جرى ودفع لما سيجري، وأيضا دفع بالنسبة لما يستقبل من الأجيال ورفع بالنسبة للحاضر من الرجال.

حرمة إشعال الحروب

مسألة: يحرم نفسياً ومقديماً إشعال نار الحرب ضد أهل الحق، فإن مطلق العمل ضد الحق حرام فكيف بإشعال نار الحرب، بل مطلق إشعال نارها بغير الحق حرام(1).

وإطفائها بالنسبة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) - كما يشير إليه كلامها (عليها السلام) بنحو القضية الخارجية - وبالنسبة لعموم المؤمنين في عموم الأزمنة أيضاً واجب، وقد وعد الله النصر في ذلك.

قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»(2).

وقال سبحانه: «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم»(3).

ص: 131

1- كما في إشعالها على أهل الذمة ما داموا لم يخلوا، وكما في إشعالها على إحدى طائفتين من المؤمنين المتقاتلتين قبل محاولة الإصلاح، قال عز وجل: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقتطوا إن الله يحب المقسطين». سورة الحجرات: 9، ففي هذين الموردين إشعالها ليس (على الحق) لكنه يصدق عليه أنه (بغير الحق).

2- سورة محمد (صلى الله عليه وآله): 7.

3- سورة البقرة: 40.

أما إشعال نار الحرب في الحروب الابتدائية الجهادية في سبيل الله والمستضعفين على شروطها فلا إشكال فيها - على تفصيل ذكرناه في كتاب (الجهاد) من الفقه (1) -.

وكذلك بالنسبة إلى الحروب الدفاعية وحروب البغاة، قال سبحانه: «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً» (2).

وإنما قلنا بالحرمة النفسية - أو الذاتية - نظراً لما فيها من المفسدة العظيمة، فوزانها كشرب الخمر والكذب وشبههما - بل أعظم منها - مما حرمتها نفسية لاشتمالها على المفسدة وإن وجبت إذا وقعت مقدمة للأهم، كالكذب للإصلاح الذي لولاه لحدثت فتنة عظيمة، وشرب الخمر لمن انحصرت نجاته من الهلاك عطشاً بشربه، والحرب في سبيل الله والمستضعفين.

ثم إن الضمير في (أوقدوا) يعود للكفار وأهل الكتاب كما لا يخفى.

وجوب إطفاء الحرب

مسألة: يجب إطفاء نار الحرب، قال تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها» (3).

ص: 132

1- موسوعة الفقه: ج 47-48 كتاب الجهاد.

2- سورة النساء: 75.

3- سورة الأنفال: 61.

.....
فإن المرء كلما تمكن من إطفاء نار الحرب الباطلة وجب عليه ذلك، سواء تمكن من الإطفاء كلياً أو الإطفاء في الجملة إذ هو محقق للغرض في الجملة.

ومن الواضح عدم كونه ارتباطياً، قال سبحانه: «فاتقوا الله ما استطعتم»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الميسور لا يسقط بالمعسور»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما لا يدرك كله لا يترك كله»(3).

إلى غير ذلك مما يدل على أن كل إنسان مكلف بقدر إمكانه، قال سبحانه: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها»(4).

وفي آية أخرى قال تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها»(5).

ومن غير فرق بين أن يكون الإطفاء بالإعلام أو المال أو السلاح أو غير ذلك من أقسام الإطفاء والردع، على نحو مانعة الخلو حسب الاصطلاح المنطقي.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا محمد نار الحرب»(6).

ص: 133

1- سورة التغابن: 16.

2- راجع غوالي اللئالي: ج 4 ص 58 وفيه: «لا يترك الميسور بالمعسور».

3- راجع غوالي اللئالي: ج 4 ص 58 ح 207.

4- سورة البقرة: 286.

5- سورة الطلاق: 7.

6- الفضائل لابن شاذان: ص 163.

التعلل لعدم التدخل

مسألة: لا يجوز التعلل بعدم التدخل لإطفاء الحرب الدائرة بين طائفتين من المؤمنين أو حرب الكفار ضد فئة أو دولة إسلامية أو ما أشبه ذلك: بالجغرافية أو باختلاف اللغة أو اللون أو ما أشبه ذلك، عقلا ونقلا، وذلك للإطلاقات والعمومات والنصوص، ولما دل على عدمها.

قال تعالى: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما»(1).

وعن أحدهما (عليهما السلام): «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا سقط منه شيء تداعى سائر الجسد»(2).

وقال (عليه السلام): «ان المؤمنين في ايثارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى سائر بالسهير»(3). وقال (صلى الله عليه وآله): «لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود، إلا بالتقوى»(4).

وقال تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(5).

ص: 134

1- سورة الحجرات: 9.

2- المؤمن: ص 38 ح 85.

3- أعلام الدين: ص 440، والمؤمن: ص 39 ح 92.

4- الاختصاص: ص 341.

5- سورة الحجرات: 13.

أصالة السلم

مسألة: ربما يستفاد من هذا الحديث - إضافة إلى الأدلة الدالة على ذلك - كون الأصل في الإسلام السلم لا الحرب، فإن شعار الإسلام: السلام.

وتحية المسلم إذا لقي أخاه: (سلام عليكم).

وتقول في نهاية الصلاة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». وحتى في التعامل مع الجهلة: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»⁽¹⁾.

وقد قال سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان»⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السلم علة السلامة وعلامة سبب الاستقامة»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «السلم ثمرة الحلم»⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): «الرفق يؤدي إلى السلم»⁽⁶⁾.

ص: 135

1- سورة الفرقان: 63.

2- سورة البقرة: 208.

3- غرر الحكم: ص 445 ح 10165.

4- غرر الحكم: ص 476 ح 10921.

5- غرر الحكم: ص 444 ح 10163.

6- غرر الحكم: ص 244 ح 4979.

الحروب الدفاعية

مسألة: لم يتبدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب وهكذا كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بل كل حروبهما (صلوات الله عليهما) كانت دفاعية.

ومن هنا قالت (عليها السلام) في هذه الخطبة: (كلما أوقدوا)⁽¹⁾ فالكفار والمشركون هم الذين كانوا يوقدون نار الحرب، لكن الله ورسوله ووصيه كانوا يطفئونها.

ولعل من أسباب عدم ابتداء الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب حيث كانت حروبه كلها دفاعية هو كون الأصل السلم وعدم الحرب كما مر⁽²⁾، فالحرب ضرورة لا تجوز إلا في الموارد المقررة الشرعية من صور الاستثناء عن السلم والسلام⁽³⁾.

وقد روي عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «انه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي (عليه السلام)، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه، قال (عليها السلام): كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لانمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولانمنعكم الفبيء ما كانت أيديكم مع

ص: 136

1- و (ال) في الحرب وإن كانت للعهد الذهني إلا أن بقرينة الحكم والموضوع والسياق، والمفردات - أي: (أوقدوا) (ناراً) (أطفئها) - نستفيد ذلك منه.

2- ويخرج عن الأصل: حالة الاعتداء فيقابل بالمثل: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» سورة البقرة: 194، وحالة الحرب في سبيل الله والمستضعفين، وبصبره (صلى الله عليه وآله) حتى يهاجمه المشركون، كان قد أكد العامل الباعث للخروج عن الأصل.

3- راجع موسوعة الفقه: كتاب السلم والسلام.

أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به»(1).

وعن حذيفة بن اليمان قال: «فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): لا يبدأ أحد منكم بقتال حتى أمركم، قال: فرموا فينا، فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا، فقال: كفوا، ثم رموا فقتلوا منا، قلنا: يا أمير المؤمنين قد قتلونا، فقال: احملوا على بركة الله»(2).

وهكذا كان في حرب النهروان فإنه: «لما واقفهم علي (عليه السلام) بالنهروان قال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فحمل منهم رجل على صف علي (عليه السلام) فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلهم ولا أرى علياً*** ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج إليه علي (عليه السلام) فضربه فقتله»(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نبأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك، والقهم واسمع منهم ولا يجر منك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة»(4).

وقد أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشر في وقعة صفين وأمره أن لا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم إن شاء الله(5).

ص: 137

- 1- دعائم الإسلام: ج 1 ص 393 ذكر قتال أهل البغي.
- 2- الأمالي للشيخ المفيد: ص 58 - 59 المجلس 7 ح 3.
- 3- شرح نهج البلاغة: ج 2 ص 272 أخبار الخوارج.
- 4- شرح النهج: ج 3 ص 212-213، ووقعة صفين ص 153.
- 5- وقعة صفين: ص 154.

.....

وفي يوم عاشوراء عندما تجاسر شمر على الإمام الحسين (عليه السلام) وقال له: «يا حسين تعجلت النار قبل يوم القيامة! رام مسلم بن عوسجة أنيرميه بسهم، فمنعه الإمام الحسين (عليه السلام) من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه فإنه الفاسق من عظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين (عليه السلام): لا ترمه فاني أكره أن أبدأهم»(1).

إِسْنَادُ الْأَفْعَالِ لِلَّهِ

مسألتان: يجب الإيمان بأن جميع الأمور بيد الله سبحانه وتعالى وأنه هو المؤثر الحقيقي، ويلزم الفات الناس إلى ذلك وتنبههم عليه، كما قالت صلوات الله عليها (أطفأها الله)، فإن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، وقد ورد في الدعاء: «يا مسبب الأسباب ويا مفتح الأبواب»(2).

و: «يا مسبب يا مغيث»(3).

و: «اللهم رب الأرباب ومسبب الأسباب»(4).

و: «يا سبب كل ذي سبب، يا مسبباً لأسباب من غير سبب»(5).

ص: 138

1- الإرشاد: ج 2 ص 96، وإعلام الوري: ص 240.

2- البلد الأمين: ص 338 دعاء المشلول.

3- الإقبال: ص 661.

4- مصباح الكفعمي: ص 135.

5- مصباح الكفعمي: ص 170 الفصل العشرون.

و: «اللهم إني أسألك باسمك يا مسبب يا مرغب»(1).

و: «يا مسبب الأسباب سبب لنا سببا»(2).

و: «يا مرتب يا مسبب يا محبب..»(3).

و: «يا رازق الفرج يا مسبب الفرج يا مغيث الفرج»(4).

و: «يا ثواب يا أواب يا مسبب الأسباب»(5).

و: «يا صاحب الأصحاب ومسبب الأسباب وسابق الأسباق»(6).

وقال عز وجل: «إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا»(7).

وقال تعالى: «قل من بيده ملكوت كل شيء»(8).

وقال سبحانه: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير»(9).

ص: 139

1- مصباح الكفعمي: ص 260 الفصل 28.

2- مصباح الكفعمي: ص 305 الفصل 30.

3- مصباح الكفعمي: ص 358 الفصل 32.

4- البلد الأمين: ص 324 دعاء الفرج.

5- مهج الدعوات: ص 154.

6- العدد القوية: ص 263.

7- سورة الكهف: 84.

8- سورة المؤمنون: 88.

9- سورة الملك: 1.

وقد ألمعنا إلى مثل ذلك فيما سبق وقلنا: إنه لا يلزم منه الجبر، وإنما المراد إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعمل حتى في خارج إطار إمكانية الإنسان ولكنه قد ترك حرية التصرف للإنسان في داخل حدود قدرته وإمكانياته فأعطاه الاختيار، وإنما يجب - وجوباً تشريعياً لا تكوينياً - على الإنسان العمل في إطار إمكانياته بما أمره الباري عز وجل، فلا- جبر ولا- تفويض بل أمر بين الأمرين، كما في الحديث الشريف(1).

وكما قال (عليه السلام): «أنا لا أقول جبراً ولا تفويضاً»(2).

وفي الدعاء: «اللهم اني استغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك... لم تدخلني يارب فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً ولم تظلمني فيه شيئاً...»(3).

وفي تفسير قوله تعالى: «وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون» قال (عليه السلام): «خلقهم للأمر والنهي والتكليف، وليس خلقتهم جبراً ان يعبدون ولكن خلقتهم اختياراً ليختبرهم بالأمر والنهي، ومن يطيع ومن يعصي»(4).

فإن الأمور والأعمال موزعة:

1: بين ما هي في دائرة قدرة الإنسان وحيطة تصرفه واختياره.

ص: 140

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 124، والتوحيد: ص 362، والاحتجاج: ص 414.

2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 279 المجلس 47 ح 8.

3- الإقبال: ص 388.

4- تفسير القمي: ج 2 ص 331، والآية في سورة الذاريات: 56.

.....
2: وبين ما هي خارج عنه بالمرّة.

وحيث إن ما في دائرة قدرة الإنسان هو أيضاً يستند إلى الله تعالى إذ انه عزوجل هو الذي أعطاه القدرة والاختيار وهو الذي أوجد الأسباب ومهدّها وبمقدوره في أي آن أن يسلب قدرته واختياره، ولذلك كرر في القرآن الحكيم نسبة الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»(1).

وقال تعالى: «أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون»(2).

وما أشبه ذلك من الآيات.

فلولا- أن الله تعالى أعطى الإنسان وجوده وحياته ثم زوده بالعضلات والقوى والإدراك والعلم والإرادة وما أشبهه، ولولا أنه خلق المعادن والآلات والأدوات وما أشبهه، ولولا أنه ... لما أمكن للإنسان أن يرمي نبلاً أو يزرع بقللاً - بكامل حريته واختياره - .

ص: 141

1- سورة الأنفال: 17.

2- سورة الواقعة: 64.

إعداد العدة

مسألة: يجب إعداد العدة للمواجهة عندما ينجم قرن الشيطان.

قولها (عليها السلام): (أونجم قرن للشيطان) نجم بمعنى: ظهر، ولذا يسمى النجم نجماً لأنه يظهر في الأفق، و(قرن الشيطان) كناية عن أول فتنته، يعني: إنه كلما ظهرت بوادر فتنة قذف (صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام) في لهواتها.

فأول كل ظاهر من شيء قرن، ولذا يقال: قرن الشمس، حين تظهر بعض أجزاءها ابتداءً ثم تظهر البقية.

والسبب في كون قرن الحيوان هو أول ما يرى من البعيد: أن الأرض كروية وفي المحل الكروي إنما يظهر أعلى الشيء ابتداءً كما يشاهد ذلك بالنسبة إلى البحار، فإن الإنسان أول ما يشاهد من السفينة الصواري ثم تظهر شيئاً فشيئاً، حتى تظهر بأجمعها، وكما هو المشاهد لمن كان حديد البصر وواقفاً في الأرض يشاهد الأفق من بعيد.

المبادرة

مسألة: تجب المبادرة للتصدي للفتن بمجرد أن ينجم قرنهما، كما كان (صلى الله عليه وآله) يصنع، تأسياً به (صلى الله عليه وآله)، ولأنه من إحكام الأمر وإتقانه، وقد ورد في الحديث: (رحم الله امرأ عمل عملاً فأتقنه)(1) ولما فيه من درء المفاسد الكثيرة التي تترتب على التأخير.

ومن البين إن ذلك يتوقف - فيما يتوقف - على بعد النظر والرؤية المستقبلية كي يتنبأ الإنسان مسبقاً بما سيجري ويعرف أن هذه مقدمة بعيدة لذلك، وما يجري هو لبنة في بناء مستقبلي كذائي، وقد ورد في وصف أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً...»(2).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحم الله امرئ رأى حقاً فأعان عليه ورأى جوراً فرده وكان عوناً بالحق على صاحبه»(3).

وقال (عليه السلام): «رحم الله امرئ أحيى حقاً وأمات باطلاً وادحض الجور وأقام العدل»(4).

ص: 143

-
- 1- راجع الأمالي للصدوق: ص 384 المجلس 61، وفيه عنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه).
 - 2- كشف الغمة: ج 1 ص 77، صنعته (عليه السلام).
 - 3- غرر الحكم: ص 69 ح 979.
 - 4- غرر الحكم: ص 69 ح 980.

ترصد الفتن

مسألة: يجب الترصّد الدائم والتفحص الحثيث عن أية فتنة قد تحدث، كما أشارت إلى ذلك (عليها السلام) في قولها: (كلما ... نجم ... أو فغرت... قذف أخاه...) حيث كان (صلى الله عليه وآله) دائم اليقظة والحذر.

وفي الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني وأول من يضافحني يوم القيامة وهو معي في السماء الأعلى وهو الفاروق بين الحق والباطل». وهذه الرواية نقلها العامة أيضاً (1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستكون بعدي فتنة مظلمة، الناجي منها من تمسك بالعروة الوثقى، فقيل: يا رسول الله وما العروة الوثقى؟

قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: يا رسول الله ومن سيد الوصيين، قال: أمير المؤمنين، قيل: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين، قال: مولى المسلمين وإمامهم من بعدي، قيل: يا رسول الله ومن مولى المسلمين وإمامهم من بعدك، قال: أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (2).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من فتنة

ص: 144

1- تاريخ دمشق لابن عساکر: ج 42 ص 449 الرقم 9025 و9026، من ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكشف الغمة: ص 143 وص 376.

2- مائة منقبة: ص 149 المنقبة 81، والتحسين: 552.

الشيطان فقال: «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(1)«(2).

وقال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»(3).

وعلى ذلك فإنه من غير الصحيح اعتزال الناس، والابتعاد عن الخوض في البحوث السياسية والاقتصادية وشبهها مما يعرف الإنسان على خطط الاستعمار ویرامجهم، ومن أين ينفذون؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن هم عملاؤهم؟ وغير ذلك.

ومن الخطأ توهم أن ذلك الانعزال والابتعاد فضيلة بل الأمر بالعكس تماما، فإن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأبي ذر (رحمة الله): «وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه»(5).

أما أخبار الاعتزال فالمقصود بهاشيء آخر كما بيناه في بعض كتبنا(6).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى ومن خذلهما خذله الله تعالى»(7).

ص: 145

1- سورة الأعراف : 27.

2- كمال الدين: ص 86.

3- سورة البقرة : 193.

4- تحف العقول: ص 356.

5- أعلام الدين: ص 205، مكارم الأخلاق: ص 472.

6- راجع كتاب (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف (رحمة الله).

7- غوالي اللئالي: ج 3 ص 189 باب الجهاد ح 27.

قال (عليه السلام): «فضل العالم على العابد بسبعين درجة، بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما، وذلك أن الشيطان يصنع البدعة فيبصرها العالم فينهي عنها، والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فضل العالم على العابد كفضلي على سائر الأنبياء»(2).

وقال (عليه السلام): «ساعة من عالم يتكى على فراشه ينظر في علمه خير منعبادة العابد سبعين عاما»(3).

وربما يتوهم إن (أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين) و(قذف أخاه في لهواتها) خاص بشؤون الحرب، لكن الظاهر شمولية ذلك لكل فتنة ومشكلة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أمنية أو اجتماعية أو غيرها، وذلك لأن الأصل في العطف ذلك(4). وفي الواقع الخارجي خير شاهد ودليل على ذلك(5) إضافة إلى ظهور (نجم قرن للشيطان... أو فغرت...) فيه.

ص: 146

1- روضة الواعظين: ص 12.

2- أعلام الدين: 81.

3- جامع الأخبار: ص 37 الفصل 20.

4- الأصل في عطف النسق هو عطف المغاير على المغاير، والاستثناء هو كونه عطفا للخاص على العام أو شبهه (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين).

5- إذ كان (عليه السلام) عضده (صلى الله عليه وآله) الأيمن في شتى المجالات، وسنده الأول في كل المنح، كما في قضية كشف تلك الجاسوسة التي كانت تريد اخبار مشركي قريش في فتح مكة - وهي قضية أمنية - وكقرائنه (عليه السلام) سورة البراءة في قلب معقل الأعداء، وهو موقف إعلامي ومواجهة فكرية، سياسية صريحة وجريئة جدا... وللتنفصيل راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج 1- 2 للإمام المؤلف (رحمة الله).

الموقف المناسب

مسألة: يجب أن يتخذ الإنسان الموقف المناسب إذا فغرت فاغرة من المشركين.

قولها (سلام الله عليها): (أو فغرت فاغرة من المشركين) يقال: فغر فاه أي: فتحه، والمراد به تجمع المشركين لأجل محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وهناك فرق بين (نجم) و(فغر)، فالنجم: الأول، والفغر: التهيؤ والاستعداد، فإنه بعد ظهور القرن يظهر الفم الذي يهدف التهام الحق، ولا يراد بذلك الفم حقيقة وإنما هو نوع تشبيه، للذين يريدون إبطال الحق وإزهاقه بالفم الذي يهيم بقضم الطعام والتهامه.

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما رأيت منذ بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) رخاء والحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين وأعادي المنافقين حتى قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فكانت الطامة الكبرى، فلم أزل حذراً - إليان قال: - والله ما زلت أضرب بسيفي صبيلاً حتى صرت شيخاً، وأنه ليصبرني على ما أنا فيه ان ذلك كله في الله ورسوله»⁽¹⁾.

ص: 147

الأدب التصويري

مسألة: من الراجع - في الدعوة والتبليغ والإرشاد - استخدام أسلوب (الأدب التصويري) كما استخدمت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) هذا الأسلوب (الأدب التصويري) في مقاطع شتى من هذه الخطبة، وفي هذه المقطع حيث تقول:

(كلما أوقدوا ناراً للحرب... أو نجم قرن الشيطان... أو فغرت فاغرة... قذف... في لهواتها... يطاء جناحها بأخمصه... ويخمد لهبها... الخ).

وهذا الأسلوب هو من أساليب القرآن الكريم من قبل كما في قوله سبحانه: «كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» (1).

وقوله تعالى: «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور» (2).

وقوله سبحانه: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» (3).

وقوله تعالى: «وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم

ص: 148

1- سورة الفتح: 29.

2- سورة النور: 35.

3- سورة الإسراء: 37.

.....
وقرا»(1).

ثم إنه هل التشبيه والتمثيل من أصناف الأدب التصويري فهو مقسم لها، أم أنه مختص بتنزيل حقيقة منزلة أخرى (كالمعنوية منزلة المادية) دون استخدام أداة تشبيه؟ مبحث يرتبط بعلم البلاغة.

ص: 149

1- سورة الأنعام: 25.

التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به

مسألان: تنقسم الصفات التي تحلى بها الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) إلى ما تجب معرفته ويجب التعريف به والإعلان عنه، وإلى ما يستحب معرفته والتعريف به.

فإمامته وخلافته من القسم الأول وهو واجب عيني في معرفته، ونصرته للإمام والمسلمين وشده أزر الرسول الأعظم في المواطن الصعبة حيث كان منهجه (صلى الله عليه وآله) (أن يقذف أخاه في لهواتها) من القسم الأول أيضاً في الجملة، ومعرفة كثير من صفاته والتعريف بها مستحب بما هي هي، إلا- فيما لو وجدت جهة المقدمة(1) فتجب عندئذ عينا أو كفاية(2). وفي التاريخان رجلاً- قال لابن عباس: «سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله، إني لأحسبها ثلاثة آلاف منقبة، قال ابن عباس: أو لا- تقول انها إلى ثلاثين ألف أقرب»(3).

نعم إن فضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى ومن أن يعرفها أحد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق

ص: 150

- 1- كما لو توقف معرفة إمامته (عليه السلام) على استقراء شتى صفاته ومختلف مصاديق نصرته كي يحصل الاطمئنان عند البعض.
- 2- (عيناً) في المعرفة، (كفاية) في التعريف.
- 3- كشف الغمة: ج 1 ص 112.

.....
معرفتک غیر اللہ وغیری»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «جعل الله لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تحصى»(2).

وفي حديث آخر: «لا تحصى عددها كثرة»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): «لا يتقدمك بعدي إلا كافر ولا يتخلف عنك بعدي إلا كافر وإن أهل السماوات السبع يسمونك أمير المؤمنين بأمر الله تعالى»(4).

التهلكة

مسألة: يحرم إلقاء النفس في التهلكة، ولكن ليس من مصاديقه: التضحية بالنفس في سبيل الله، فهي خارجة موضوعاً عن التهلكة كما لا يخفى(5)، فليس قذف (صلى الله عليه وآله) أخاه في لهواتها خارجاً بالتخصيص بل بالتخصص.

قال تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»(6).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) عندما فرض عليه قبول ولاية العهد: «اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على

ص: 151

1- المناقب: ج 3 ص 267.

2- الصراط المستقيم: ج 1 ص 154 الباب التاسع.

3- تأويل الآيات: ص 844 سورة الاخلاص.

4- مائة منقبة: ص 53 المنقبة 27.

5- فإن في ما أمر الله به: الحياة لا الهلاك، والتهلكة هي إزهاق الروح لغير غرض عقلائي إلهي.

6- سورة البقرة: 195.

.....

القتل متى لم أقبل ولاية عهده وقد أكرهت واضطرت كما اضطرت يوسف ودانيال إذ قبل كل واحد منهما الولاية لطاغية زمانه، اللهم لا عهد لي إلا-عهدك، ولا ولاية لي إلا- من قبلك، فوفقني لاقامة دينك وإحياء سنة نبيك، فانك أنت المولى والنصير، نعم المولى أنت ونعيم النصير»(1).

وفي تفسير العياشي عن حذيفة قال: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»: «هذا في التقية»(2).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا علي انك ستلقى من قريش شدة من تظاهرهم عليك وظلمهم لك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم، فقاتل من خالفك بمن وافقك فإن لم تجد أعواناً فاصبر واكفف يدك ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة، إنه قال لأخيه موسى «إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»(3)»(4).

وعن أسلم قال: «غزونا نهاوند أوقال غيرها، واصطفينا والعدو صفين لم أر أطول منهما ولا أعرض، والروم قد الصقوا ظهورهم بحائط مدينتهم، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: لا إله إلا الله، ألقى بنفسه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما تؤولون هذه الآية على أن حمل هذا الرجل يلتمس الشهادة، وليس كذلك، إنما نزلت هذه الآية فينا، لأننا كنا قد

ص: 152

1- كشف الغمة: ج 2 ص 297.

2- تفسير العياشي: ج 1 ص 87 سورة البقرة.

3- سورة الأعراف: 150.

4- كتاب سليم بن قيس: ص 72.

.....

اشتغلنا بنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتركنا أهاليينا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلح ما فسد منها فقد ضاعت بتشاغلنا عنها فانزل الله إنكارا لما وقع في نفوسنا من التخلف عن نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإصلاح أموالنا، «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (1) معناه إن تخلفتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقمتم في بيوتكم أقيمتكم بأيديكم إلى التهلكة وسخط الله عليكم فهلكتم، وذلك رد علينا فيما قلنا وعز منا عليه من الإقامة، وتحريض لنا على الغزو وما أنزلت هذه الآية في رجل حمل على العدو ويحرض أصحابه أن يفعلوا كفعله، أو يطلب الشهادة بالجهاد في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة» (2).

هذا وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»: «لا تعدلوا عن ولايتنا فتهلكوا في الدنيا والآخرة» (3).

وجوب التضحية

مسألة: تجب التضحية بالحياة فيما لو توقف حفظ الإسلام عليها كما ضحى الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه وأولاده وأصحابه في يوم عاشوراء، وتفصيل الكلام في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (4).

فإن التضحية واجبة بشتى صورها حتى (بالانتحار) فيما لو توقف حفظ الإسلام عليه، وذلك مثل أن يلقي بنفسه في مدخنة سفينة العدو، حيث يوجب

ص: 153

1- سورة البقرة: 195.

2- اللهوف: ص 29 - 30.

3- المناقب: ج 3 ص 207.

4- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

احتراقه وبالتالي غرق السفينة، بسببإطفاءها، كما حدث مثل ذلك في الحرب العالمية الثانية، وكشد شريط من المتفجرات حول جسده والانبطاح مثلاً أمام دبابات العدو. وتشخيص الصغريات والمصاديق في هذا الباب بيد شورى الفقهاء، وإلا فالفقيه العادل الجامع للشرائط، وإن لم يكن فعدول المؤمنين، وإن لم يكونوا فللمكلف نفسه لو قطع بذلك.

قال تعالى: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»(1).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «أفضل ما توسل به المتوسلون: الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله» الحديث(2).

وقال (عليه السلام): «الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»(3).

بين التخصص والتنوع

مسألة: هل اللازم - على الإنسان - في الواجبات الكفائية (كالصناعات والعلوم والتصدي لأعداء الإسلام) التخصص كما هو مقتضى الإتيان أم التنوع والشمولية، كما صنع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالنسبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)

ص: 154

1- سورة التوبة: 111.

2- علل الشرائع: ص 247.

3- كشف الغمة: ج 1 ص 431.

حيث (كلما... نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة، من المشركين قذف أخاه في لهفاتها) فتأمل؟ وهل الأصل هذا أم ذلك، أم يقال بالتفصيل؟

وجوه، والظاهر إن الأمر يختلف باختلاف الأفراد، قوة وضعفاً، ومن حيث تنوع القابليات والقدرات و... والظروف والحاجات وغيرها.

التصدي بسرعة

مسألة: يجب التصدي للفتن بسرعة وقوة كما هو المستفاد من عمله (صلى الله عليه وآله) ومن قولها (عليها السلام): (قذف أخاه...)، ومن البين أن القذف هو الرمي بقوة وشدة، والسرعة تستفاد من السياق (كلما... قذف) ومن مادة (قذف) أيضاً (1).

وهي من مصاديق (المسارعة) الواجبة كتاباً (2) وسنة وعقلاً في الجملة، وإن كان بعض مصاديقها مستحبة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ارتقب الموت سارع في الخيرات» (3).

وقال (عليه السلام): «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات» (4).

ص: 155

-
- 1- في قوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» سورة آل عمران: 133، و«فاستبقوا الخيرات» سورة البقرة: 148.
 - 2- إذا الرمي البطيء لا يسمى قذفاً إلا مجازاً فتأمل.
 - 3- الخصال: ص 231، كنز الفوائد: ج 2 ص 162.
 - 4- جامع الأخبار: ص 109 الفصل 66.

التضحية بالمهم

مسألة: لا تجوز التضحية بالأهم مع كفاية المهم، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقذف أخاه في لهواتها، وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يبادر لوقاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه، كما في ليلة المبيت.

وقد روى الفريقان أنه «لما أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الهجرة خلف علياً (عليه السلام) لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال: يا علي اتشح ببردي الحضرمي ثم نم على فراشي...»

فأوحى الله عزوجل إلى جبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كل منهما الحياة.

فأوحى الله عزوجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند قدميه، وجبرئيل يقول (عليه السلام): يخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك ملانكته!

فأنزل عزوجل على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن

.....
أبي طالب (عليه السلام): «ومن الناس من يشري نفسه» (1) الآية» (2).

وكذلك في يوم أحد حيث قال جبرئيل: «يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي (عليه السلام)، قال (صلى الله عليه وآله): لأنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» (3).

التركيز على مركز الفساد

مسألة: يجب على القادر كفاً، التركيز على مركز الفساد وعين الفتنة وقطب رحي الأعداء، كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث (قذف أخاه في لهواتها) تركيزاً عليها، وقد سبق ما يدل على ذلك.

التضحية حتى بالأحب

مسألة: يجب الإيثار والتضحية بكل شيء حتى أحب الأشياء وأعز الأشخاص - فيما لو توقف واجب أهم كحفظ بيضة الإسلام عليه - كما قالت (سلام الله عليها): (قذف أخاه...).

فإن الإنسان يجب عليه أن يضحي بنفسه وبأعز ما لديه حتى ينتصر الحق، وقد قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): - كما في نهج البلاغة - (فلما علم الله منا

ص: 157

1- سورة البقرة: 207.

2- تأويل الآيات: ص 95 سورة البقرة، عن الثعلبي في تفسيره.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 85.

.....
الصدق أنزل علينا النصر). (1)

وإنما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يباشر الحرب بنفسه محافظة منه على القيادة كما هو واضح، وقذف أخاه في لهواتها رغم انه خليفته، لعدم وجود البديل، وأما في الحروب الثلاثة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه (عليه السلام) كان يقود الحرب، وكان يقتحم صفوف الأعداء بنفسه أيضاً إما تشجيعاً، وإما لتوقف شحذهم الجيش، وبالتالي الانتصار على نزوله شخصياً لساحة المعركة، أو لاطمئنانه بالغلبة وعدم مقدرتهم على قتله لو أقتحم، فتأمل.

انتخاب الكفاء

مسائل: يجب انتخاب الأكفاء للمواقع الحساسة ويجب عليهم وجوباً كفايياً القبول، كما صنع (صلى الله عليه وآله) وكما فعل (عليه السلام).

ويحرم فيها تحكيم (الروابط) على (الضوابط).

وأما انتخاب غير الأكفاء للمواقع غير الحساسة فهو بين محرم - كما لو كان فيه إضاعة حق، أو عد تقريبا في الأمانة، أو كان على خلاف مرتكز أو شرط الموكل، أو ما أشبه ذلك - ومكروه.

ولو دار الأمر بين الكفوء والأكفأ في المواقع الحساسة كان من تعدد المطلوب، وربما وجب.

وما ذكرناه من أدلة لزوم شورى الفقهاء، فإن الشورى أكثر كفاءة من

ص: 158

1- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج2 ص235 ب35.

.....
الفرد كما لا يخفى.

ويحرم أن يتصدى غير الكفوء لمنصب لا يليق به، ولذلك وردت روايات كثيرة في ذم من يتصدى لشؤون المسلمين وفيهم من هو أعلم منه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة»(1).

وفي حديث: «وفيهم من أعلم منه وأفقه»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها، فمن دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(3). وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا ومن أم قوماً إمامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر»(4).

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف»(5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا»(6).

ص: 159

1- علل الشرائع: ص 326.

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 206 عقاب من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه وأفقه.

3- الاختصاص: ص 251.

4- الصراط المستقيم: ج 3 ص 135.

5- تفسير العياشي: ج 2 ص 85 سورة البراءة ح 40.

6- الاحتجاج: ص 151.

والإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قام على المنبر حين اجتمع الناس مع معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إن معاوية زعم أنني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية أنا أولى الناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطيهم السماء قطرها والأرض ببركتها ولما طمعت فيها يا معاوية وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلأً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون ان هارون خليفة موسى (عليه السلام)»(1).

وقال (عليه السلام): «من دعا إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو ضال مكلف»(2).

وروي عن العالم (عليه السلام): «من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال»(3).

وعن أبي ذر (رحمة الله): «إن إمامك شفيحك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيحك إلى الله سفيهاً ولا فاسقا»(4).

ص: 160

1- العدد القوية: ص 51.

2- مشكاة الأنوار: ص 333 في الرياسة.

3- فقه الرضا (عليه السلام): ص 383 باب البدع والضلالة.

4- علل الشرائع: ص 326.

ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب ذكر الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) كما شفعت (صلوات الله عليها) ذكره (عليه السلام) بذكره (صلى الله عليه وآله).

فقد ذكرت (عليها السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله) بصفات جمّة كما تقدم، وهكذا ذكرت أمير المؤمنين عليا (عليه الصلاة والسلام) بصفات جمّة تعريفاً به (عليه الصلاة والسلام) ولإفادة أن علياً (عليه السلام) له من المكانة الرفيعة ما يستحق بها الخلافة والقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين»⁽¹⁾. وعنه (عليه السلام) قال: «الكلم الطيب»⁽²⁾ قول المؤمن: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله وخليفة رسول الله»⁽³⁾.

وفي الحديث أنه: «كان نقش خاتم آدم (عليه السلام): لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «من صاغ خاتماً من عقيق فنقش فيه: محمد نبي الله وعلي ولي الله، وقاه الله ميتة السوء ولم يمت إلا على الفطرة»⁽⁵⁾.

ص: 161

1- بحار الأنوار: ج 27 ص 1 ب 10 ح 1.

2- أي في قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» سورة فاطر: 10.

3- تفسير القمي: ج 2 ص 208 سورة فاطر، ومثله (تأويل الآيات): ص 469.

4- مكارم الأخلاق: ص 90 في نقوش الخواتيم.

5- أعلام الدين: ص 392.

وعن ابن عباس قال حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، والحسن والحسين سبطا رسول الله، وفاطمة الزهراء صفوة الله، وعلى ناكههم وباغضهم لعنة الله تعالى»(1).

وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «أما أبواب الجنة، فعلى الباب الأول مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»(2).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسي والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن العبد إذا قال في أول وضوئه أو غسله من الجنابة: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن علياً وليك وخليفتك بعد نبيك على خلفيتك، وإن أوليائه وأوصيائه خلفاؤك، تحاتت عنه ذنوبه كلها كما يتحات ورق الشجر، وخلق الله بعدد كل قطرة من قطرات وضوئه أو غسله ملكاً يسبح الله ويقدهه ويهلله ويكبره ويصلي على محمد وآله الطيبين وثواب ذلك

لهذا المتوضئ» الحديث(4).

ص: 162

1- الفضائل: ص 83.

2- الفضائل: 152.

3- مائة منقبة: ص 49 المنقبة 24.

4- تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص 522.

الشهادة الثالثة في الأذان

مسألة: ونظراً لهذا الكلي ولروايات عديدة(1) التزمنا تبعاً لعدد من الفقهاء(2) باستحباب الشهادة الثالثة (أشهد أن علياً ولي الله) في الأذان والإقامة بل وجزيتها أيضاً(3)، وقد ذهب البعض إلى وجوبها - من باب الشعارية - كما لا يخفى.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنا أول أهل بيت نوه الله بأسمائنا، إنه لما خلق الله السماوات والأرض أمر منادياً فنأدى: أشهد أن لا إله إلا الله ثلاثاً، أشهد أن محمداً رسول الله ثلاثاً، أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً ثلاثاً»(4).

ص: 163

1- ومنها: إن سلمان الفارسي (رحمة الله) أذن مع الشهادة الثالثة ولما شكى بعض الصحابة للرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك جبههم (صلى الله عليه وآله) بالتوبيخ والتأنيب وأقر لسلمان هذه الزيادة. ومنها: إن أباذر الغفاري (رحمة الله) أيضاً هتف بها في الأذان - بعد بيعة الغدير - فرفعوا ذلك للرسول (صلى الله عليه وآله) فقال: (أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية أما سمعتم قولي في أبي ذر (رحمة الله): (ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر...)) راجع موسوعة الفقه: ج 19 ص 331 - 332.

2- ومنهم صاحب الحدائق وصاحب المستند والعلامة المجلسي (قدس سرهم) حيث قالوا بالجزئية، ويظهر من صاحب الجواهر (رحمة الله) الميل إليها، كما يظهر من العلامة الطباطبائي (رحمة الله) ذلك أيضاً. وممن قال بالاستحباب - ولو من باب العمومات - الفقيه الهمداني (رحمة الله) في مصباح الفقيه والسيد الحكيم (رحمة الله) في المستمسك (بقصد الاستحباب المطلق) ومن المعاصرين ذهب عديد إلى ذلك [منهم السيد المستنبط « (للتفصيل راجع موسوعة الفقه المجلد 19 ص 333 - 335).

3- يراجع حول هذا المبحث: موسوعة الفقه ج 19 كتاب الصلاة ص 324 - 335 و...

4- الأمالي، للشيخ الصدوق: ص 604 المجلس 88 ح 4.

اللهوات

قولها (عليها السلام): (قذف أخاه في لهواتها) أي: قذف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخاه علياً (عليه الصلاة والسلام) في فم تلك الحرب، فإن اللهوات جمع (لهات) ولهات عبارة عن: اللحمية في أقصى الفم، فكان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يغوص في عمق الجيش، يقتلهم ويقاتلهم حتى يبدهم.

وفي التاريخ أن صعصعة خاطب الخوارج في النهروان وقال: «أولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا اشتدت الحرب قدمه - أي علياً (عليه السلام) - في لهواتها فيطؤ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدته، مكدوداً في ذات الله، عنه يعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمون، فاني تصرفون وأين تذهبون» (1).

والحاصل أنه كلما عرضت مشكلة أو داهية أو حرب بعث الرسول (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لدفعها وعرض علياً (عليه السلام) للمهالك وكان علي (عليه السلام) مقدماً على ذلك ومبادراً إلى كل ذلك.

والإتيان ب (لهوات) بصيغة الجمع لأن للحرب لهات من اليمين واليسار والخلف والأمام والقلب، ولذا يسمى الجيش بالخميس، لأنه ذو جوانب خمسة، كما كانت العادة في تنظيم الجيوش سابقاً وهي مستمرة إلى الآن وإن تغيرت وسائل الهجوم أو الدفاع من الوسائل البدائية إلى الوسائل المعقدة كالأسلحة النارية ونحوها.

ص: 164

فلا ينكفي حتى يطاء جناحها (1) بأخمصه

التراجع

مسألة: ينبغي للإنسان أن لا يتراجع من الأمر حتى يكمله، قال تعالى: [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم] (2) وقد يجب ذلك فيما إذا كان مانعاً عن النقيض.

وفي الحديث الشريف: «رحم الله امرأ عمل عملاً فاتقنه» (3).

فالقم توطأ والقرن يقطع، وهاتان الجملتان إشارة إلى الجملتين السابقتين وقد قدمت (عليها السلام) ما يرجع إلى الجملة الثانية (4) حيث قالت (عليها السلام): هاهنا (حتى يطاء) وأخرت ما يرجع (5) إلى الجملة السابقة حيث قالت هنالك: (أو نجم) من باب اللف والنشر المشوش، وله جمال خاص، كما أنه في عكسه أي في اللف والنشر المرتب جمال من نوع آخر أيضاً.

قولها (عليها السلام): (فلا ينكفي) أي لا يرجع، من (انكفي) بالهمزة بمعنى الرجوع، أي أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان لا يرجع منهزماً وخائباً

ص: 165

1- وفي بعض النسخ: (حتى يطاء خماصها).

2- سورة الممتحنة: 8.

3- راجع أمالي الصدوق: ص 384 المجلس 61.

4- الجملة الثانية هناك هي (او فغرت فاغرة من المشركين) وما يرجع إليها هو (حتى يطاء).

5- الذي يرجع للجملة السابقة هو (ويخمد لهبها بسيفه) والجملة السابقة هي (أو نجم).

.....
وخائفاً كما كان بعض الصحابة كذلك(1)، ولهذه الجملة إطلاقها الأحوال والأزماني البين كما لا يخفى.

هذا وقد سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام): كراراً غير فرار في حديث خيبر وغيره(2)، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فدعا بعلي (عليه السلام) فجيء به وكان أرمداً، فبصق في عينيه فبرأتا وأعطاه الراية فمضى وكان الفتح»(3).

الأقل والأكثر الارتباطيان

مسألة: الفتنة وأشباهها قد تكون بنحو الأقل والأكثر الارتباطيين وقد تكون بنحو الاستقلاليين.

ويأطفاؤها وإخمادها نهائياً يكون المكلف قد أدى واجبه فيهما.

ويأخمادها في الجملة - في بعض مراحلها أو مراتبها - يكون في الاستقلاليين قد امتثل في الجملة، وفي الارتباطيين لا يكون ممثلاً أصلاً(4)، ولعل ذلك من

ص: 166

1- انظر قصة غزوة الخندق حيث رجع العديد من الصحابة منهزمين خائبين خائفين.

2- المناقب: ج2 ص84.

3- الصراط المستقيم: ج2 ص1 تنمة الباب التاسع.

4- كما إن من صلى من صلاة الظهر ثلاث ركعات فقط لا يعد ممثلاً أصلاً، وللأقل والأكثر الارتباطيين في القضايا السياسية والاجتماعية والأمنية وغيرها أمثلة كثيرة، منها: ما لو كلفت الدولة شخصاً أو مجموعة بالعثور على الغام زرعتها جماعة مخربة بتفجير سد أو معمل أو شبه ذلك فلو اكتفى هذا الشخص أو المجموعة بالعثور على معظم الأغام أو كلها ناقصاً واحداً - في فرض أن اللغم الواحد أيضاً يكفي لتدمير السد أو المعمل - فإنه لا يعد ممثلاً أصلاً بل يستحق العقاب.

أوجه (حبط الأعمال) أو شبيها به. (1)

وقولها (عليها الصلاة والسلام): (فلا ينكفى حتى يطأ جناحها بأخمصه) يشير بإطلاقه إلى أنه (عليه الصلاة والسلام) كان - في كلا القسمين - دائم الامتثال وكامله، فهو لا يرجع ولا يتراجع حتى ينهي المهمة على أكمل وجه و(حتى يطأ جناحها بأخمصه).

إذلال الكفار

مسألة: هل إذلال الكفار واجب أم حرام؟

أما إذلال أهل الذمة بإيذائهم فمحرم، وقد ورد في الحديث الشريف: (من آذى ذمياً فقد آذاني) (2)، إلا فيما كان جعله كذلك كما في قوله تعالى: [حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون] (3).

وأما الكافر الحربي فلا حرمة له في الحرب، لكن الإذلال له مطلقاً بحيث

ص: 167

1- قال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» [سورة الفرقان: 23] وقال سبحانه: [اولئك حبطت أعمالهم] [سورة التوبة: 17 و69] فالمعصية اللاحقة قد تنسف أجر العمل السابق بالكامل.

2- انظر الصراط المستقيم: ج3 ص13، وراجع شرح النهج: ج17 ص147 وفيه: «من آذى ذمياً فكأنما آذاني» عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

3- سورة التوبة: 29.

يدخل تحت عنوان الإيذاء فمشكل، نظرا لعدم القول بحلية مطلق إيذاء الكافر.

وربما قيل بأن مراتب منه (1) محللة كما في وصفها (عليها السلام) للإمام علي (عليه السلام) هاهنا حيث قالت: (فلا ينكفي حتى يطاء جناحها بأخمصه)، ومراتب منه مشكوكة، ومراتب محرمة، فليتأمل. فان الحكم في الحرب وغيره يختلف..

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن علياً (عليه السلام) صاحب رجلاً ذمياً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟

قال: أريد الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي (عليه السلام)، فقال الذمي له: أليس زعمتريد الكوفة.

قال: بلى.

فقال له الذمي: فقد تركت الطريق.

فقال له: قد علمت.

فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟

فقال له علي (عليه السلام): هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا.

فقال له: هكذا. قال: نعم.

فقال له الذمي: لا جرم انما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة وانما انا أشهدك اني على دينك، فرجع الذمي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه أسلم» (2).

ص: 168

1- أي من الإذلال وإن دخل تحت عنوان الإيذاء.

2- قرب الإسناد: ص 7.

إذلال رؤوس الفتن

مسألة: هل يستفاد من (فلا ينكفى حتى يظأ جناحها بأخمصه) جواز أو رجحان إذلال رؤوس الفتنة وعناصرها (1)؟

ربما يقال باستفاد ذلك عرفا من هذه الجملة مع لحاظ قوله تعالى: «ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» (2) وما أشبه ذلك.

ويلحظ أن السيرة وبناء العقلاء على ذلك من باب المقدمية (3) أو المقابلة بالمثل أو العقوبة أو مطلقا أو لأنه (قد أقدم) (4) فتأمل.

قولها (عليها السلام) حسب بعض النسخ: (حتى يظأ صماخها بأخمصه)، الصماخ بمعنى ثقبه الأذن كما يعبر بالصماخ عن الأذن نفسها، ومعنى ذلك: أن أمير المؤمنين عليا (عليه الصلاة والسلام) كان يسحق تلك الفتن والحروب برجله، فإن الأخمص عبارة عما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، وهذا التعبير كناية عن غاية تمكنه من الفتنة وسيطرته عليها وإذلال القائمين بها بحيث لا تقوم لهم قائمة بعدها أبداً.

ص: 169

- 1- كعرض صورهم في التلفزيون أو القيام بحركة استعراضية عبر سوقهم في الشوارع والأزقة وغير ذلك مما هو أشد في الإذلال أو أخف.
- 2- سورة إبراهيم: 4.
- 3- كردعهم عن العود، لإشعال نار الحرب أو الفتنة، وكردع الآخرين عن القيام بمثل ما قاموا به.
- 4- الظاهر أن المراد: انه قد أقدم على هتك حرمة نفسه بنفسه وأسقط حرمة باقدامه على الدخول في الفتنة، عرفا وعقلا.

إخماد لهب النيران

مسألة: يجب إخماد لهب نيران الحرب كما سبق، وقولها (سلام الله عليها): (ويخدم لهبها بسيفه) يعني: ان أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يخدم لهيب تلك الفتن والحروب بسيفه دفاعاً عن الإسلام.

وأصل الלהيب عبارة عن لهيب النار، فشبهت لهيب الحرب بلهيب النار، وشبهت السيف بالماء الذي يصب على النار فتخمد.

وهذه الجمل السابقة واللاحقة إشارة إلى جهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وبلائه بلاءً حسناً مستمراً في كل القضايا الكبرى التي حولها له الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فهو الذي يستحق أن يكون خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) دون غيره، إذ انه الذي خرج من كل الامتحانات الكبرى ظافراً منتصراً في أدوار شديدة الأهمية، فرآه الرسول (صلى الله عليه وآله) وحده فقط المؤهل للتصدي لها على مر السنين.

هذا ويمكن القول بأن (حتى يطأ جناحها بأخمصه) إشارة للجانب المعنوي والاعتباري للفتنة، و(يخدم لهبها بسيفه) إشارة للجانب المادي والحسي لها، نظراً لأن للفتنة عوامل مادية محسوسة: من عدة وسلاح ورجال وأموال، وعوامل غير مادية: من تفكير وتخطيط ومؤامرات وإشاعات تهدف إضعاف معنوية جند الإسلام، إلى غير ذلك.

مسألة: كما يجب تدوين علم الرجال وعلم الحديث وشبههما مما هو مقدمة لتحصيل الأحكام الشرعية، كذلك يجب -وجوباً كفائياً في الجملة - تسجيل وقائع التاريخ وتوثيقها ومدارستها وتعليمها وجرحها وتعديلها، لكون الكثير منها يقع أيضاً مقدمة لتحصيل الأحكام (1)، وأكثر من ذلك ما يقع مقدمة ل (الفقه الأكبر) (2) ولمعرفة الحق من الباطل في الأمور العقائدية.

وقد رد في الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): (من ورخ مؤمناً فكانما أحياه) (3) إذ [لقد كان في قصصهم عبرة] (4) ولأنها تكشف عن (سنة الله) التي لن تجدها تبديلاً ولا تحويلاً (5)..

فالمستقبل هو الوجه الآخر للتاريخ وسيصنع على ضوء ما يعرفه المرء من

ص: 171

- 1- كوقائع حرابه (صلى الله عليه وآله) وصلحه ومعاهداته وقصص تعامله مع المؤمنين والمنافقين والكفار... وكذلك سائر المعصومين (عليهم السلام)، بل إن الكثير من الوقائع التاريخية مما ينفع في (فهم الأخبار) ومدى اكتنائها بالقرائن المقامية - كالتقية مثلاً -.
- 2- الذي أشير إليه في الآية الشريفة ب «ليتفقهوا في الدين» [سورة التوبة: 122] وهو يشمل الأحكام الشرعية وأصول الدين والعقائد والأخلاق وغيرها.
- 3- سفينة البحار: ج2 ص641 ط القديمة مادة (ورخ).
- 4- سورة يوسف: 111.
- 5- إشارة إلى قوله تعالى: «فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» سورة فاطر: 43.

.....
الماضي وعلى حسب كيفية رؤيته له إجمالاً (1).

وذلك هو منهج القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في سرد قصص الأنبياء (عليهم السلام) والأمم السابقة وأحوالهم وما لهم وما عليهم.

وكلماتها (عليها السلام) في هذه الخطبة تعد من أهم المصادر التاريخية التي تكشف جانباً مما جرى يومذاك، وترسم الصورة الدقيقة للوقائع وتضع أدق الأوصاف لأهم الأحداث.

فإذا أردنا وصف مولى الموحدين (عليه السلام) - مثلاً - فلا أدق من كلماتها في وصفه مما تجد بعضها منها في هذه الصفحات.

وإذا أردنا وصف حال الجاهليين ومعاناة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فلا تجد أروع وأجمل وأعمق من تعابيرها وكلماتها (عليها الصلاة والسلام)، وهكذا وهلم جراً.

فمن اللازم أن يكتب التاريخ على ضوء كلماتها (عليها السلام) ومستمدًا من هديها، ومقتفياً أثرها، وأن تعتبر كلماتها الحكم في أي تعارض بين كلمات المؤرخين، وأن تقيم مدى صدق وصحة التواريخ المكتوبة على ميزان كلماتها (صلوات الله عليها وأزكى السلام) فإنها الصديقة الكبرى.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصديقة الكبرى ابنتي» (2).

وقال الصادق (عليه السلام): «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة

ص: 172

1- راجع (الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف (دام ظله).

2- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص 22 المجلس 6 ح 5.

والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والرضية والمرضية والمحدثة والزهاء»(1). وفي الحديث عن علي بن جعفر (عليه السلام) عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: «إن فاطمة (عليها السلام) صديقة شهيدة»(2).

وجاء في الزيارة: «السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة»(3).

و: «السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة»(4).

و: «وصل على الصديقة الطاهرة الزهاء فاطمة»(5).

و: «السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة»(6).

ص: 173

-
- 1- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 592 المجلس 86 ح 18.
 - 2- مسائل علي بن جعفر (عليه السلام): ص 325 ح 811.
 - 3- المقنعة: ص 459.
 - 4- المقنعة: ص 469.
 - 5- الإقبال: ص 60.
 - 6- الإقبال: ص 624.

مكدودا في ذات الله(1)

الكد حسن أم قبيح؟

مسألة: الكد بما هو هو قد لا يكون حسنا ولا قبيحا ولا مما يؤجر عليه الإنسان، بل (الجهة) هي التي تكسبه حسنا أو قبيحا، أو وجوبا أو استحبابا أو حرمة أو ما أشبهه.

قال تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون»(2).

وقال سبحانه: «إنما يتقبل الله من المتقين»(3).

وقال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا»(4).

وقال عز وجل: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر»(5).

و: «إنما الأعمال بالنيات»(6).

ص: 174

1- وفي بعض النسخ: (مكدوداً دؤوباً في ذات الله).

2- سورة الصافات: 61.

3- سورة المائدة: 27.

4- سورة الفرقان: 23.

5- سورة المائدة: 27.

6- دعائم الإسلام: ج 1 ص 4.

.....
و: «لكل امرئ ما نوى»(1).

و: (لو أن عبداً أتى بالصالحات...)، إلى غير ذلك.

ولعل ذلك من جهات كون (نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل)(2).

ولذلك لم تطلق (سلام الله عليها) (مكدودا) في وصفه (عليه السلام) بل قيدته بها هو كالفصل للجنس حيث قالت: (في ذات الله) وبما هو قوام قيمته ومحبوبيته.

ومن ذلك يعرف أن (الأصل) ليس هو (العمل) بل هو (كيفية العمل)، وقد ورد في الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم)(3).

وقال (عليه السلام): «ان الله خص محمداً بالنبوة واصطفاه بالرسالة وأنبأه الوحي فأنال الناس وأنال، وعندنا أهل البيت معاقل العلم وأبواب الحكم وضياء الأمر، فمن يحبنا ينفعه إيمانه ويتقبل عمله، ومن لا يحبنا لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل عمله وان دأب الليل والنهار»(4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يقل مع التقوى عمل، وكيف يقل ما يتقبل»(5).

ص: 175

-
- 1- مسائل علي بن جعفر (عليه السلام): ص 346.
 - 2- مستطرفات السرائر: ص 620.
 - 3- جامع الأخبار: ص 100، الفصل 56.
 - 4- الإرشاد: ج 1 ص 241.
 - 5- الأمالي للشيخ المفيد: ص 484 المجلس 26 ح 1.

وقال (عليه السلام): «افترق الناس كل فرقة واستشيعوا كل شيعة فاستشيعتم مع أهل بيت نبيكم، فذهبتهم حيث ذهب الله واخترتهم ما اختار الله وأحببتهم من أحب الله وأردتم من أراد الله، فابشروا ثم ابشروا، فانتم والله المرحومون، المتقبل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يلق الله بمثل ما أنتم عليه لم يتقبل الله منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة»(1).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قلت له بمكة أو بمنى: يا بن رسول الله ما أكثر الحاج! قال: ما أقل الحاج، ما يغفر الله إلا لك ولأصحابك ولا يتقبل إلا منك ومن أصحابك»(2).

وقال ابن عباس: «يا رسول الله، ان توصيني بشيء، قال: يا ابن عباس، اعلم أن الله عزوجل لا يتقبل من أحد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب، وهو أعلم بذلك، فإن كان من أهل ولايته قبل عمله على ما كان فيه...»(3). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «امح الشر من قلبك تترك نفسك ويتقبل عملك»(4).

وقال (عليه السلام): «إنك لن يتقبل من عملك إلا ما أخلصت فيه ولم تشبه بالهوى وأسباب الدنيا»(5).

ص: 176

1- الاختصاص: ص 104 - 105.

2- بشارة المصطفى: ص 73.

3- الفضائل: ص 168 - 169.

4- غرر الحكم: ص 106 ح 1909.

5- غرر الحكم: ص 155 ح 2913.

الكذب في ذات الله

مسألة: يستحب الكذب في ذات الله سبحانه.

ومعنى (في ذات الله) أن يكون لأجل الله عزوجل وحده خالصا مخلصا له، لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا شك ولا شرك ولا ما أشبه ذلك، ف (مكدودا في ذات الله) في قبال الكسالى وفي قبال العاملين الذين لا يكدون، وفي قبال من يكذب لكنه ليس لذات الله وحده.

وقد ورد في الزيارة: «وصيرت في ذات الله»(1).

وقال (عليه السلام): «ولعمري ما الإمام إلا الحاكم القائم بالقسط الدائن بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله»(2).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما ابتلى المؤمن بشيء أشد من المواساة في ذات الله عزوجل والإنصاف من نفسه وذكر الله كثيراً»(3).

ولا يخفى أن كلمة (في) بمعنى النسبة في أمثال هذه المقامات، كما قالوا: (الواجبات الشرعية أطفاف في الواجبات العقلية) وتتصور الظرفية أيضا بلحاظ التنزيل.

ص: 177

1- المزار: ص 109.

2- المناقب: ج 4 ص 90.

3- مشكاة الأنوار: ص 57 الفصل 15.

وجه الاستدلال على الخلافة

مسألة: وجه الاستدلال فيما وصفته (صلوات الله عليها) من الصفات على كون أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو الأحق بالخلافة:

1: بلحاظ مجموع هذه الصفات من حيث المجموع.

2: بلحاظ كل واحدة واحدة من الصفات من حيث مرتبتها التشكيكية - بلحاظ الإطلاق والسياق والقرينة المقامية - .

3: بلحاظ انتخاب الرسول (صلى الله عليه وآله) له (عليه السلام) في بعض تلك الصفات من حيث كاشفيتها عن الأصلح أو عن الانحصار فيه، في مراتب لا تصل بأهمية الخلافة فكيف بالأرقى وهو الخلافة، أي فيما لا يرقى الى درجة الخلافة في الخطورة والاهمية.

قولها (عليها السلام): (مكدوداً) أي: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يكذب نفسه ويتعبد غاية التعب.

(في ذات الله) أي في أمر الله وما يرتبطه جل شأنه، وحده مخلصاً لا يشرك في ذلك أحداً.

وكان (عليه السلام) لا يريد بذلك مالا ولا جاهاً ولا امرأة كما كان بعض الصحابة يريدون ذلك، ولهذا سمي أحدهم ب (شهيد الحمار) لما قتل في الحرب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد كان خروجه لأجل حمار أحد المشركين يريد اقتناؤه،

وسمي الآخر ب (شهيد أم جميل) لأنه كان يريد بحربه أن ينال امرأة جميلة في جيش الأعداء تسمى بأم جميل، وهكذا، فلم يكن أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) يريد شيئاً من ذلك أبداً، وإنما يريد الله وحده وحده، كما ورد في شأنهم (عليهم السلام): «إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»(1).

وربما يقال: إن قولها (عليها السلام): (مكدودا في ذات الله) بإطلاقه الأحوال والأزماني(2) يشير إلى نفس ما صرح به سيد الموحدين (عليه السلام) حيث قال: (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك)(3).

ص: 179

-
- 1- سورة الإنسان: 9.
 - 2- أي مكدودا في كل أحواله وفي كل الأزمنة.
 - 3- غوالي اللثالي: ج 2 ص 11 ح 18.

أصالة الأسوة

مسألة: الأصل في كل صفة تذكر للمعصومين (عليهم الصلاة والسلام): (الأسوة)، فقولها (عليها السلام): (فلا ينكفئ حتى يطأ... ويخمد... مكوداً في ذات الله... مجتهداً في أمر الله.. الخ) يقتضي لزوم الإتيان في الجملة، ورجحانه مطلقاً، وما خرج خرج بالدليل، ومن ذلك يستفاد رجحان الاجتهاد في أمر الله عزوجل.

ثم إن الإتيان في كل بحسبه وعلى درجة تعقله وتحمله، إذ «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (1) و«إلا ما آتتها» (2).

ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا وأنكم لا تقدرُونَ على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» (3) ولهذا المبحث تفصيل نتركه لمجال آخر. ولعل الفرق بين (الكد) و(الاجتهاد) أن الأول عملي والثاني علمي، حيث قالت (سلام الله عليها): (في أمر الله)، لأن أمر الله يحتاج إلى الاستنباط والاستخراج فتأمل.

ص: 180

1- سورة البقرة: 286.

2- سورة الطلاق: 7.

3- إرشاد القلوب: ص 214، وفي نهج البلاغة أيضاً، كتابه (عليه السلام) إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري.

ثم إن الاجتهاد في كلامها (عليها السلام) لا يراد به الاجتهاد المعروف عند الفقهاء - المصطلح عليه بالوضع التعيني لاحقاً - فإن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) عالم بكل الأحكام لا عن الاجتهاد، بل بإلهام من الله تعالى وعطاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعبر النكت في القلب والنقر في الأسماع ورؤية عمود النور، وشبه ذلك مما تجد تفصيله في الأخبار، بل المراد بالاجتهاد بذل غاية الجهد بالنسبة للأحكام الإلهية وأوامره (1).

ويمكن أن يقال في الجملتين، غير هذا الذي ذكرناه، إذ من المحتمل أن يراد ب (مكدودا ...) الإشارة إلى ما توجه نحوه (عليه السلام) من ضغوط ومتاعب وأذى، وب (مجتهدا ..) ما حمل نفسه من جهد وعناء في سبيل الله، وهما كاللازم والملزوم (2).

وبعبارة أخرى: فإن (المتنمر في ذات الله) - كما وصف عليه السلام به - يواجه صعوبتين:

الأولى: نابعة من صميم طبيعة الاجتهاد والتنمر كحرمان المرء نفسه من شتى اللذائذ الحسية كالنوم والمأكل والملبس والمركب الفاره وغير ذلك مما يقتضيه الاجتهاد والجهد.

ص: 181

-
- 1- ربما يكون المراد من (بالنسبة للأحكام الإلهية): تعليماً وتوضيحاً ودفعاً للشبهات، أو تفكيراً وتدبراً باعتباره (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) أجلي مصداق للعمل بالآيات الداعية للتفكير والتدبر.
 - 2- أي انهما وجهان لعملة واحدة - حسب التعبير المستحدث - وتوضيحه: إن لازم (الاجتهاد في أمر الله) هو شدة التعب والنصب فلأنه (عليه السلام) كان مجتهداً في أمر الله أضحي مكدوداً متعباً وتوجهت نحوه الضغوط.

.....
والثانية: نابعة من طبيعة رد فعل المجتمع تجاه ذلك المتمرم المآتهء؁ آهآ أنهم آتآلبون ضءه وآآربصون به الءواءر وآهآآكون ضءه المآامرات وآهآآر فههم آسءا وكراهفة؁ لآونه آهءء مصالآهم (وما آقموا من آبى الآسن إلاءءة آآمره فى ذاء الله) (1).

وكما قالوا لولءه الإمام الآسن (عله السلام) فى يوم عاشوراء : (آآآلك بآضا منا لآبآك).

فآشارآ (علها السلام) للآهة الأولى بآولها: (مآآهءا فى أمر الله)؁ وللآانفة ب: (مآءوءا فى ذاء الله).

من صفاء القاءء

مسألة: على القاءء أن آكون فى كء وآآآهءاء ءائمن؁ وآءل عله سفة الرسول الأعظم (صلى الله عله وآله) والإمام أمفر المؤمنن (عله السلام) وفاظمة الزهراء (علها السلام) وسائر أهل البفآ (علهم السلام) كما على سائر المؤمنن آبضاً - وآوبا أو اسآآابا - آأسباً ونظراً لآوله (صلى الله عله وآله): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعةآه» (2).

ولآوله سبآانه: «آا آبها الإنسان إنك كاءآ إلى ربك» (3) أى آلزم أن فسآمر الكءآ الذى آهآه «إلى ربك»؁ بناء على كونها آملة آبرفة فى مقام

ص: 182

1- بآار الأنوار: آ 43 ص 158 ب 7 آ 8.

2- آوالى اللئالى: آ 1 ص 129.

3- الانشآاق: 6.

الإنشاء حتى يصل الإنسان إلى دار حقه (1) فيموت، ولغير ذلك، إلا أن الأمر في القائد أكد والحكم له ألزم كما لا يخفى.

والمراد بالكدح في الآيات: الأعم من الكد والاجتهاد، إذ أنهما إذا ذكر كل واحد منهما منفردا شمل كليهما، وإذا ذكرا معا كان لكل معنى في قبال الآخر، ذلك أنهما كالظرف والجار والمجرور: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) (2).

وفي الزيارة: «أشهد أنك أديت عن الله وعن رسوله صادقاً وقلت أميناً ونصحت لله ولرسوله مجتهداً» (3).

والاجتهاد كل ما يكون فيه جهد على النفس ومشقة لها.

وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال:

«من اجتهد من أمتي بترك شهوة من شهوات الدنيا فتركها من مخافة الله آمنه الله من الفرع الأكبر وأدخله الجنة» (4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«من اجهد نفسه في إصلاحها سعد» (5).

وفي الحديث عنه (عليه السلام) قال:

ص: 183

1- إشارة إلى قوله تعالى: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» سورة الحجر: 99.

2- راجع كتب اللغة والنحو.

3- المزار: ص 109.

4- إرشاد القلوب: ص 189 ب 52.

5- غرر الحكم: ص 237 ح 4770.

«خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش يسبحه بجميع اللغات المختلفة فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا ويطلع إلى أهل الأرض ويقول: ... يا أبناء الأربعة جددوا واجتهدوا» الحديث (1).

وقال (عليه السلام): «اجتهدوا في العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي» (2).

وعنهم (عليهم السلام): «جدوا واجتهدوا وان لم تعملوا فلا تعصوا» (3).

ص: 184

1- إرشاد القلوب: ص 193 ب 52.

2- أعلام الدين: ص 153 باب صفة المؤمن.

3- عدة الداعي: ص 313.

القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب أو يجب - حسب اختلاف الموارد - أن يسعى الإنسان ليكون قريبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل شأنه وفي جميع أموره: في الفكر والعمل، والقلب والقالب، في مأكله ومشربه، وملبسه ومنكحه، ويقظته ومنامه وغير ذلك، كما كان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) كذلك، حيث وصفته السيدة الزهراء (عليها السلام) ههنا بقولها: (قربيا من رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وهي إحدى أهم فضائله (عليه السلام).

هذا إذا أريد ب(قربيا) معنى القرب العملي، أي قريبا (في أعماله) أو (من حيث العمل) منه (صلى الله عليه وآله)، وأما إذا أريد ب(قربيا): القرب النسبي أي (ذوقا) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو أيضا بيان لإحدى فضائله (عليه الصلاة والسلام) حيث أن القريب يرث - بالمعنى الأعم والأخص (1) أيضا - قربه إذا كان مؤهلا (2) للإرث

ص: 185

- 1- الإرث بالمعنى الأخص: إرث الاموال، وبالمعنى الأعم: إرث العلم والمسؤولية، والاعتبار وما أشبه ذلك، كما قال (صلى الله عليه وآله): «علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي» التحصين لابن طاووس: ص 633.
- 2- أشار الإمام المصنف (رحمة الله) بقوله (إذا كان مؤهلا) إلى نقطة دقيقة وهي أن قوام الإرث بالمعنى الأخص: النسب، أما قوام الإرث بالمعنى الأعم فهو: الأهلية وكما أن عدم توريث ذي النسب على خلاف القاعدة كذلك عدم توريث المؤهل على خلاف الحكمة، وحيث كانت الأهلية منحصرة في الإمام علي (عليه السلام) كان توريثه هو المحتم لا محالة.

.....
ولم يكن ثمة مانع.

وقد ورد في الحديث: (لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته).

ويمكن أن يراد بكلمة (قريباً): الجامع بين كلا المعنيين فهما مصداقان لذلك الكلي.

وهل يستحب طلب القرابة النسبية أو السببية؟

يحتمل ذلك، قال (صلى الله عليه وآله): «كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي»⁽¹⁾.

ويحتمل أن يراد من قولها (عليها السلام): (قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حروبه بل مطلقاً.

أو تعني (عليها السلام) - كما سبق - أنه (عليه السلام) من أقرب أقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه ابن عمه بينما العباس لم يكن كذلك، لأن علياً (عليه السلام) أبويني، والعباس أبي فقط⁽²⁾ وإذا كان المراد (الجامع) بين المعنيين، كان انحصار القرب فيه (عليه السلام) أجلى وأوضح.

قال تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»⁽³⁾.

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما

ص: 186

1- شواهد التنزيل: ج 1 ص 530 ح 564، وكشف اليقين: ص 192.

2- المناقب: ج 1 ص 261.

3- سورة الشورى: 23.

رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً» (1) قال: «قربة الرسول (صلى الله عليه وآله) وسيدهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، أمروا بمودتهم فخالقوا ما أمروا به» (2).

وقد اعترفوا بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول الناس في الإسلام سبقاً وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) (3).

وفي حديث احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة قال (عليه السلام): «... فأنشدك بالله، أنت الذي سبقت له القربة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أنا» (4). وعن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: «وإن القربة التي أمر الله بصلتها وعظم من حقها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب الله حقنا على كل مسلم» (5).

ص: 187

1- سورة النساء: 1.

2- المناقب: ج 4 ص 179.

3- راجع الفصول المختارة: ص 265 وفيه: «مر علي بن أبي طالب (عليه السلام) على أبي بكر ومعه أصحابه فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً، وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) قربة فليتنظر إلى علي بن أبي طالب».

4- الخصال: ص 552.

5- تأويل الآيات: ص 531.

سيدا في أولياء الله (1)

ذكر الفضائل

مسألة: سبق أن ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) فضيلة وعبادة، وهي من المستحبات النفسية، وبعض مصاديقه من الواجبات النفسية، فيستحب - وقد يجب - ذكر فضائله مطلقا، فإن ما ذكرته (عليها الصلاة والسلام) إنما هو من باب المصداق لا من باب الحصر أو الخصوصية(2)، كما هو واضح، نعم ما ذكرته كان من المصاديق البارزة جدا في حياته (عليه الصلاة والسلام).

ولا يخفى أن الذكر أعم من اللفظ والكتابة والإشارة وما أشبه ذلك.

و(ولي الله) هو الذي يطيعه ولا يخالفه ويجتهد في امتثال أوامره.

مقتضى السيادة المطلقة

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام) (سيدا في أولياء الله) أو (سيد أولياء الله) وجوب احترامه (عليه السلام) وتعظيمه والذب عنه واطاعة أوامره، فإن ذلك هو مقتضى (السيادة على الإطلاق)(3) بل مقتضى مطلق (السيادة) - في الجملة -.

ص: 188

1- وفي نسخة: (سيد أولياء الله).

2- أي (الخصوصية) التي تجعل ذكر هذه الصفات مستحبة أو واجبة، دون غيرها.

3- أي (السيادة المطلقة) وهي أرفع أنواع السيادة.

وقد كان (صلوات الله عليه) (سيدا على الإطلاق) واستفادة ذلك على تقدير كون النسخة (سيد أولياء الله) - بناء على قراءته بالنصب - واضحة، أما على تقدير كونها (سيدا في أولياء الله) فالأمر كذلك بلحاظ السياق والمقام (1)، بل بلحاظ الجملة بذاتها إذ تعني كان (عليه السلام) (في أولياء الله سيدهم) كما هو المستفيد عرفاً عند إطلاق هذه الجملة كما فيما لو قلت (رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيد في أنبياء الله). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي سيد الأوصياء ووصي سيد الأنبياء» (2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «علي سيد العرب.. والسيد من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي» (3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب» (4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم» (5).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت سيد هذه الأمة بعدي وأنت إمامها وخليفتي

ص: 189

-
- 1- الظاهر أن المراد به: مقام كونها (عليها السلام) في صدد إثبات أحقيته بالخلافة، وهو ما ينسجم مع كونه السيد على الإطلاق، لا كونه مجرد أحد السادة، وهذه النقطة الهامة تجري في (مشرراً ناصحاً..) وسائر الصفات أيضاً.
 - 2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.
 - 3- معاني الأخبار: ص 103.
 - 4- الخصال: ص 561.
 - 5- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 64.

عليها، من فارقك فارقتي يوم القيامة ومن كان معك كان معي يوم القيامة»(1).

وعن سليم عن سلمان قال: «كان الحسين (عليه السلام) على فخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقبله ويقول: أنت السيد، ابن السيد، أبو السادة، أنت الإمام، ابن الإمام، أبو الأئمة، أنت الحجة، ابن الحجة، أبو الحجج، تسعة من صلبك وتاسعهم قائمهم»(2).

وعن أنس بن مالك قال:

«بينما أنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الآن يدخل سيد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وأولى الناس بالنبين، إذ طلع علي بن أبي طالب»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»(4).

ص: 190

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 303.

2- المناقب: ج 4 ص 70 - 71.

3- كشف الغمة: ج 1 ص 343.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 400.

الإخبار في مقام الإنشاء

مسألة: ربما يقال: كما أن (يعيد صلاته) إخبار في مقام الإنشاء، كذلك هذه الصفات المذكورة في كلامها (عليها السلام) وصفا للإمام (عليه السلام) تعد إخبارا في مقام الإنشاء، بفارق أن ذلك إنشاء الأمر لمن وقع مخبرا عنه وهذا إنشاء الأمر لغير من وقع مخبرا عنه (1).

وربما يقال: باستفادة ذلك عرفا في كل ما هو أمثال المقام (2)، حيث إن قوام الإنشاء بالمقصد والمبرز، وهما مما يرى العرف تحققهما في أمثال المقام، نظرا للقرائن المقامية، وإلا فمن الممكن القول بأن ذلك من البطون، فتأمل.

ص: 191

1- إذا المخبر عنه ب (مشمراً ناصحاً..) وهو الإمام علي (عليه السلام) والإنشاء هو بالنسبة لعامة الناس، أي يجب عليكم أن تعتقدوا بكونه (عليه السلام) سيذا، الخ .

2- كما في (إياك اعني واسمعي يا جارة) حيث قد يكون الإخبار في مقام إنشاء التهديد مثلا، كما يخاطب الحاكم جماعة ممن يخاف خروجهم عليه بإخبارهم عن قصص عقوبته لمن خرج عليه سابقا، وكما تخاطب الكسول بذكر برنامج المجدين كأن تقول له: فلان من زملائك يستيقظ في الخامسة صباحا ويطالع ويدرس حتى منتصف الليل، أي افعل أنت كذلك..

على أهبة الاستعداد

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان مشتمراً دائماً لأجل الله سبحانه، وهذا مما يستفاد من كلامها (عليها السلام) كما سبق، ومن الآيات والروايات بالدلالة المطابقة أو الالتزامية أو غيرها كقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» (1).

وقوله سبحانه: «فاستبقوا الخيرات» (2).

والتشهير: عبارة عن جمع الثياب من الرجلين واليدين كي لا تكن عائقاً عن الحركة، وهو كناية عن الاستعداد الدائم للحركة والانطلاق في مختلف الأبعاد لأجل نصرته دين الله، دون عائق ومانع.

ثم إنه هل يعد من مصاديق التشهير ما جاء في بعض الروايات من (تخففوا لتحقوا) (3)؟

الظاهر ذلك، فيشمل إذن كل ما يعوق الإنسان عن الحركة ويسبب أن يكون كما قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل» (4).

ص: 192

1- سورة آل عمران: 133.

2- سورة البقرة: 148 والمائدة: 48.

3- خصائص الأئمة: ص 112 وعدة الداعي: ص 115.

4- سورة التوبة: ص 38.

ومن ذلك تملك الدور والعقار أكثر من الاحتياج، وكذلك القصور والرفاهية في العيش وشبه ذلك، ولذلك عاتب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أحد أصحابه بالبصرة وهو العلاء بن زياد الحارثي لما دخل عليه يعوده، فلما رأى سعة داره قال: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة»(1).

وهكذا المخلصون لله والمجاهدون في سبيله (مشتمرون أبداً) و(متخفون دائماً).

ويؤمى إليه ما ذكره التاريخ من قصة سلمان وأبي ذر ووقوفهما على الصخرة المحممة.

النصيحة لله

مسألة: يستحب النصح لله وقد يجب، فإن النصح واجب في مقام الوجوب ومستحب في مقام الاستحباب، وهو - في أحد معنييه - عبارة عن التوجيه إلى الخير بكل جد وإخلاص(2).

ص: 193

1- نهج البلاغة: الكلام: رقم 209.

2- قال في لسان العرب: (النصيحة كلمة واحدة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، ونصيحة عامة للمسلمين: ارشادهم إلى المصالح، والنصح تقيض الغش، مشتق منه: نصحه ونصح له وهو باللام أفصح).

وحيث حُذِفَ (المتعلق) منه، فإنه يفيد كلا معنبي النصح، إذ النصح قد يكون للإنسان وقد يكون لأمر الله سبحانه وتعالى (1). فيقال: (نصحة) في الأول، و: (نصح له) في الثاني - غالبا -، ويمكن استفادة ذلك (2) بضميمة دليل الأسوة.

قال سبحانه: «ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم» (3).

وقال تعالى: «وأنا لكم ناصح أمين» (4).

ف (ناصحا) أي لكم على الاحتمال الأول، أو (ناصحا) أي لله على الاحتمال الثاني.

والنصح لله، أي خلوص النية والعمل له وخلوها من كل شرك ورياء وسمعة وما أشبه.

والنصح للناس: إرشادهم، وهو مشرب بمعنى الخلوص، أي إرشادهم غير مشوب بمصلحة أو غش أو خداع، أي إرشادهم خالصا مخلصا ويقصد الهداية لا غير.

ص: 194

1- قال في لسان العرب: (وأصل النصح: الخلوص) ويقال: (نصحت له: أي أخلصت وصدقت) و (الناصح: الخالص من الغش وغيره).

2- أي وجوب أو استحباب النصح.

3- سورة التوبة: 91.

4- سورة الأعراف: 68.

قولها (عليها السلام): (مشمرا ناصحا) أي أن أمير المؤمنين عليا (عليه الصلاة والسلام) كان مشمرا ثيابه دائما في سبيل تقديم الإسلام إلى الأمام، والمراد به الجهد والاهتمام والمضي والنفوذ، وكان مع ذلك ناصحا وليس ككثير من الناس حيث يجدون ويكدحون لكنهم لا يريدون النصح(1) وإنما يريدون لأنفسهم جاهاً ومالاً وعزةً ورفاهاً وما أشبه ذلك، أو أنهم يجدون ويكدحون لكن يمزجون ذلك بالغش والخداع، فالتشمير هو المظهر والنصح هو المخبر، وذاك فعل وهذا (2) صفة، وهذا واضح على المعنى الثاني للنصح(3) ومتضمنٌ في المعنى الأول(4).

قال (عليه السلام): «ثلاثة لا يعذر المرء فيها: مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتجيب إلى الناس»(5).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اقبلوا نصيحة ناصح متيقظ وقفوا عندما أفادكم من التعليم»(6).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون إلى الله جميعاً فتعلمون»(7).

ص: 195

1- كما سبق منه دام ظله قوله: (وهو مشرب بمعنى الخلوص).

2- أي النصح.

3- أي النصح لله.

4- أي النصح للناس والهداية والإرشاد لهم.

5- تحف العقول: ص 318.

6- غرر الحكم: ص 225 ح 4573.

7- مشكاة الأنوار: ص 320 الفصل 7.

وقال (عليه السلام): «فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته»⁽¹⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الموعظة نصيحة شافية»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «من أعرض عن نصيحة الناصح أحرق بمكيدة الكاشح»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «اتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «ألا إن الفضائل عشرة: صدق الحديث، وصدق المودة، ونصيحة الناس...» الحديث⁽⁵⁾.

وقال (عليه السلام): «وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك...»⁽⁶⁾.

وفي الزيارة: «السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح»⁽⁷⁾.

وفي زيارة الإمام الحجة (عليه السلام): «اللهم صل على حجتك في أرضك... المرتقب الخائف والولي الناصح...»⁽⁸⁾.

ص: 196

1- تحف العقول: ص 17.

2- غرر الحكم: ص 224 ح 4519.

3- غرر الحكم: ص 226 ح 4588.

4- إعلام الدين: ص 105.

5- معدن الجواهر: ص 70.

6- الأمل للشيخ الصدوق: ص 374 المجلس 59.

7- مصباح المتهجد: ص 723.

8- الاحتجاج: ص 494.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فأياك والخلاف فإن في ذلك العطب»(1).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغبش، والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب»(2).

وقال (عليه السلام): «ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح»(3).

وقال (عليه السلام): «لا شفيق كالودود الناصح»(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليك بعلي (عليه السلام) فإنه الهادي المهدي الناصح لأمتي، المحيي لستتي وهو إمامكم بعدي»(5).

ص: 197

1- المحاسن: ص 602 باب الاستشارة، ح 25.

2- غرر الحكم: ص 111 ح 1973.

3- غرر الحكم: ص 416 ح 9503.

4- غرر الحكم: ص 416 ح 9507.

5- اليقين: ص 452.

الجد والكدح

الجد والكدح(1)

مسألة: يستحب التأكيد على الجدّ والكدح، وبيانها (عليها السلام) المطلوب بعبارات قد يترانى أنها مترادفة للأهمية، ولكن: لا يخفى الفرق بين الجدّ والاجتهاد والكدّ والكدح، كما يعرف ذلك المتأمل في فقه اللغة، وكما هو شأن لغة العرب حيث إن اللفظ يتضمن دلالة لا توجد في اللفظ المشابه له وإن عبّر عنه بالمرادف.

وقد ألمعنا في (الأصول) إلى أنه لا يوجد (ترادف) حقيقي في لغة العرب، فالأسد يطلق عليه: الأسد والهزبر والليث والضرغام وغير ذلك، كل واحد منها بلحاظ حالة من حالاته أو جهة من جهاته، وهكذا وهلمّ جرّاً.

قولها (عليها السلام): (مجداً كادحاً) أي أن علياً أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان مجداً في أمر الله تعالى، في جهاده وحروبه وعبادته وسائر شؤونه كلها. و(كادحاً): الكدح أشدّ التعب(2)، قال سبحانه: «يا أيها الإنسان إنك

ص: 198

1- الكدح: شدة السعي والحركة.

2- قال في لسان العرب: (الكدح: الاكتساب بمشقة) و (الكدح في اللغة: السعي والحرص الدؤوب في العمل في باب الدنيا وباب الآخرة) وقال في الميزان قال الراغب (الكدح: السعي والفناء) وقيل: (الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها)، وقال في تفسير التبيان: (الكدح: السعي الشديد في الأمر، يقال كدح الإنسان في أمره يكدح وفيه كدوح وخدوش: أي آثار من شدة السعي في الأمر).

كادح إلى ربك كدحا فملاقيه»(1).

يعني: إن الإنسان في أشد التعب و النصب إلى أن يلاقي ربه.

وفي الخطبة الشقشقية:

«ويكدح فيها قلب المؤمن حتى يلقي به»(2).

وعلي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان هكذا، غير أن الفرق أن الإنسان:

تارة: تحيط به المشاكل والهموم ويقع في تعب ونصب بدون اختياره(3).

وتارة: يكدُّ ويكدح ويبدل قصارى جهده ويحمل نفسه قصوى طاقاتها بملأ اختياره، وذلك في سبيل الله عزوجل.

وثالثة: يكون ذلك كله، لكن لأجل لذة عابرة أو هوى متبع.

والآية الشريفة تشمل الأقسام الثلاثة تفسيراً، و القسم الثاني بلحاظ (إلى ربك)(4) أو أنه أجلى المصاديق وأكملها.

وفي أدعية شهر رمضان: «وارزقنا في هذا الشهر الجدد والاجتهاد، والقوة والنشاط...»(5).

ص: 199

1- سورة الانشقاق: 6.

2- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

3- كمن يقع له حادث اصطدام، أو يسرق لص كل ثرواته، ومن قبل: كمشاكل الولادة وشبهها.

4- سورة الانشقاق: 6.

5- المقنعة: ص 336.

وفي دعاء كميل: «وهب لي الجد في خشيتك»(1).

وقال (عليه السلام): «لا يدرك الحق إلا بالصدق والجد»(2). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لقد أخطأ العاقل اللاهي وأصابه ذو الاجتهاد والجد»(3).

وقال (عليه السلام): «المؤمن يعاف الله ويألف الجد»(4).

وقال (عليه السلام): «طاعة الله لا يحوزها إلا من بذل الجد واستفرغ الجهد»(5).

وقال (عليه السلام): «ان كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة واللهو وألزموا الاجتهاد والجد»(6).

وقال (عليه السلام): «ما أدرك المجد من فاته الجد»(7).

وقال (عليه السلام): «اللهو يفسد عزائم الجد»(8).

ص: 200

1- مصباح الكفعمي: ص 560.

2- دعائم الإسلام: ج 1 ص 391.

3- غرر الحكم: ص 60 ح 677 وص 66 ح 872.

4- غرر الحكم: ص 89 ح 1520.

5- غرر الحكم: ص 184 ح 3480.

6- غرر الحكم: ص 266 ح 5749.

7- غرر الحكم: ص 443 ح 10120.

8- غرر الحكم: ص 461 ح 10550.

هل الرفاهية مذمومة؟

مسألة: هل يستفاد من كلامها (عليها السلام) أن الرفاهية والدعة والفكاهة والأمن مذمومة بما هي هي؟

الظاهر: لا، إذ من الواضح أن الذم لهذه الصفات بالعرض لا بالذات كما يفيد منحه الكلام ومصبه وسياقه، إذ أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان (مكدوداً.. مجتهداً.. مشمراً...) والحال كنتم (أنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون) فكون الجملة حالية، ولحوقها ب (تتربصون بنا الدوائر) خير شاهد على ذلك.

وبعبارة أخرى:

الإشكال على القوم هو: أنكم مع كون الإسلام في خطر رهيب، والرسول (صلى الله عليه وآله) في صراع مرير، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مواجهة صعبة، لكنكم كنتم تعيشون وادعين فاكهين آمنين!

بل الأدلة العامة والخاصة تدل على مطلوبية الأمن، وعدم كراهة الرفاهية والدعة - ولو في الجملة - قال تعالى: «فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (1).

ص: 201

وقال سبحانه: «وليدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»(1).

وقال عز وجل: «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق»(2).

مواصاة الشعب للقائد

مسألان: كما يذم العقلاء ويحكم العقل بقبح أن يعيش الأب في راحة ودعة وهناء وأبناؤه في خوف وقلق ومشاكل وهو لا يمد لهم يد العون ولا يشاركهم جشوبة العيش، كذلك العكس، فإنه أيضاً قبيح ومذموم.

وكما يكره(3) - عقلاً و عرفاً - أن يعيش القائد في بحبوحة من العيش وشعبه يتضور جوعاً، أو يعيش آمنًا وشعبه وجل خائف، كذلك العكس بأن يلقي الشعب كل العبء على كاهل الدولة أو القائد، لينصرف إلى حياته اليومية وملذاته الجسدية.

وربما كان ذلك بين محرم ومكروه.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»(4).

ص: 202

1- سورة النور: 55.

2- سورة الأعراف: 32.

3- الكراهة هنا بمعناها اللغوي.

4- ارشاد القلوب: ص 214، وفي نهج البلاغة أيضاً.

.....
وكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى الصورة الثانية كما لا يخفى.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في حث قومه على المسير إلى الشام لقتال معاوية:

«اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فان الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وان الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاغياً في دين الله عزوجل وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس فجتتموني راغبين إلي في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني... فبسطت لكم يدي يا معشر المسلمين وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لتقرن لي ولتسمعن لأمري ولتطيعوني وتناصحوني وتقاتلون معي كل باغ علي أو مارق إن مرق... فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا على جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين الناكثين واسمعوا ما أتلوا عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا فإنه والله أبلغ عظة لكم فانتفعوا بموعظة الله وازدجروا عن معاصي الله فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه (صلى الله عليه وآله) «ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليهم بالظالمين»⁽¹⁾ اتقوا الله عباد الله

ص: 203

وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم»(1).

ومن كلامه (عليه السلام) ما اشتمل على التوييح لأصحابه على ثقلمهم عن قتال معاوية: «أيها الناس اني استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا، وأسمةتكم فلم تجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا شهوداً بالغيب، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها... وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم تربعون حلقا تضربون الأمثال وتشدون الأشعار وتجسسون الأخبار... ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأضاليل، فالعجب كل العجب، وكيف لا أعجب عن اجتماع قوم على باطلهم وتخاذلكم عن حقكم... إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه»(2).

وبشكل عام فإن عدم مشاطرة الشعب للقائد والدولة همومها وغمومها، قد يكون لنقص في الشعب، وقد يكون لنقص في القائد (كما في الحاكم المستبد الجائر) وقد يكون في الاثنين معاً.

ولا ريب أن كلام السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها من الشق الأول

ص: 204

1- الاحتجاج: ص 172 - 173.

2- الاحتجاج: ص 174.

كما هو أوضح من أن يخفى (1).

ولهذه الأقسام الثلاثة مباحث كثيرة ذكرناها في الفقه (2).

قولها (عليها السلام): (وأنتم في رفاهية من العيش)، إذ الغالب أنهم كانوا لا يعملون عمل أمير المؤمنين علي (عليه

الصلاة والسلام) من الجد والاجتهاد والكدح ونحو ذلك، بل يعيشون عيشة رفاه حقيقي أو نسبي، ولعلّ السيدة الزهراء (عليها السلام) كانت تقصد أولئك الذين سيطروا على الأمور وقد كان همّهم لذات الحياة ورفاهية العيش.

وإلا فلا شك أن كثيرا من المسلمين أيضا كانوا يجتهدون ويجاهدون، وإن كانت النسبة بين جهادهم وجهودهم وجهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجهوده كنسبة الثرى إلى الثريا بل أكثر، وكأن كلامها تعريض بهم في قبال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

فهل يصلح للخلافة من كان (في رفاهية من العيش فكهاً آمناً وادعاً) وهو يرى الأخطار تحيط بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن كل حذب و صوب.

وهل يصلح لرعاية الأمة ودرء الأخطاء عنها من كان في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كذلك؟

ص: 205

1- فإن عدم مشاطرة الكثيرين للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في تحمل مشاكل الجهاد، يعود الى وساوس الشيطان أو الركون إلى الدنيا أو حب النفس أو الجبن أو الحقد والحسد أو شبه ذلك عند المتخاذلين والمنافقين.

2- راجع (الفقه: السياسة) و(الفقه: الاجتماع)، و(الفقه: الدولة الإسلامية) وغيرها مما تطرقت لمباحث الدكتاتورية والديمقراطية والتعددية والشورى وما أشبه.

أو ليس الأمر متعينا في الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو الوحيد الذي انطبقت عليه تلك الصفات وفي أعلى الدرجات.

قال تعالى: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا فيالحرق نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون»⁽¹⁾. وقال سبحانه: «وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين»⁽²⁾. وقال عز وجل: «لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة...»⁽³⁾.

قولها (عليها السلام): (وادعون فاكهون)، أي: هم في دعة وفراغ بال فيتفكهون بالأحاديث وبأنواع الأطعمة وغيرها.

(آمنون) من الخطر والخوف، لأن الذي لا يحارب الأعداء يأمن منهم عادة، فإذا غلبه المسلمون فهم مع الغالبين، وإذا غلب المسلمون فالأعداء قد لا يضرورنهم لأنهم لم يكونوا من المحاربين⁽⁴⁾ وحتى لو اشتركوا في الحروب فإن مشاركتهم هامشية ولم تكن عن جد وواقعية، بل كانت لبعضهم صداقات مع الكفار وعلاقات أو عهود ومواثيق كما هو مذكور فيالتواريخ.

ص: 206

1- سورة التوبة: 81.

2- سورة التوبة: 86.

3- سورة التوبة: 42.

4- قال تعالى: «إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون». سورة التوبة: 50.

أقوى من الملامة

مسألة: الواجب على القائد أن لا يصدّه عن العمل بالحق لوم اللائمين، فلا تأخذه في الله لومة لائم، كما ورد بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) وجدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فإنه إذا كان على العكس من ذلك انحرف عن الطريق، وكل انحراف عن طريق الله سبحانه وتعالى ولو بمقدار شعرة يجرّ إلى مشاكل دنيوية قبل المشاكل الأخروية، فإن الله عزوجل جعل قوانينه في التشريع مثل قوانينه في التكوين، فكما أن كل انحراف عن قوانين الله التكوينية يوجب عطبا وخبالا ويجرّ إلى مآسي وويلات، كل بقدره، كذلك كل انحراف عن القوانين التشريعية يوجب ذلك، حتى وإن لم يظهر أثره فوراً، فإن الأعمال كالبدور والنوى تظهر نتائجها بعد مدّة قريبة أو بعيدة.

قال تعالى: «يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»⁽¹⁾.

وعن محمد بن أبي عمير قال: «ما سمعت ولا استفتدت من هشام بن الحكم طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام (عليه السلام)...

ص: 207

- إلى أن قال: - فإن الله عزوجل قد فرض عليه (أي على الإمام) إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم»(1).

وعن أبي ذر (رحمة الله) قال: «أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبع... وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا تخف في الله لومة لائم»(3).

وقال علي (عليه السلام) في وصيته لابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام): «أوصيكما بتقوى الله... ولا تأخذكما في اللهلومة لائم»(4).

ثم إنه على القائد أن يجعل رضى الله هو المقياس لا - كلام الناس وتقييمهم ولومهم وعتابهم، وعليه أن يكون أقوى من (الملامة) لا مستسلما لها.

قال تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولن اتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير»(5).

وقال سبحانه: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»(6).

ص: 208

1- الخصال: ص 215، وجوه الذنوب أربعة، ح 35.

2- الخصال: 345، أوصى رسول الله أبا ذر بسبع، ح 12.

3- معاني الأخبار: ص 335.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 431.

5- سورة البقرة: 120.

6- سورة البقرة: 207.

وقال تعالى: «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»(1).

وقال سبحانه: «ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم»(2).

وعن الإمام الصادق عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال: «ان رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى أبي الحسين بن علي (عليه السلام) يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب (عليه السلام):

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من طلب رضى مخلوق بسخط الخالق، سلط الله عز وجل عليه ذلك المخلوق»(4).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما أعظم وزر من طلب رضى المخلوقين بسخط الخالق»(5).

ص: 209

1- سورة آل عمران: 162.

2- سورة محمد: 28.

3- الاختصاص: ص 225.

4- تحف العقول: ص 52.

5- غرر الحكم: ص 482 ح 11130.

وقال (عليه السلام): «من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق»⁽¹⁾. وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «إن من اليقين ألا ترضوا الناس بسخط الله عز وجل»⁽²⁾.

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله»⁽³⁾.

وإطلاق كلامها (عليها السلام) يشمل الملامة على الالتزام بالواجبات (كالجهاد والعدل وإنصاف الناس من النفس) وترك المحرمات (كموادة من حارب الله، ومداهنتهم، والرشوة و..).

ثم إن الملامة قد توجه للإنسان لالتزامه بمكارم الأخلاق، كسعة الصدر، والإغضاء عن السيئة، والعفو عند المقدرة، والإيثار، وانهاك البدن في طاعة الله، وفي قضاء حوائج الناس و.. كما لا يخفى.

والقائد - بل مطلق المؤمن - عليه أن لا يصدّه عن كل ذلك لوم اللائمين وعتابهم، فإن إحراز رضى الخالق جل وعلا أولى من إحراز رضى المخلوق، ولوم العاجلة أهون من لوم الآخرة.

ولقد عدّت السيدة الزهراء (عليها السلام) هذه الصفة في طليعة السمات البارزة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، لأنه كان الذي لا تأخذه في الله لومة لائم بشكل

ص: 210

1- التوحيد: ص 60.

2- الأمالي للشيخ المفيد: ص 284 المجلس 34 ح 2.

3- تنبيه الخواطر: ج 2 ص 163 وص 210.

مطلق، وفي كل الأزمنة، وبالنسبة لمختلف الأفراد، وفي مختلف الحالات، وفي مؤازرته للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في أشد الظروف، في مكة والمدينة، وفي تعامله مع أخيه عقيل (عليه السلام) ومساواته في العطاء.

وفي قوله (عليه السلام): «أنا فقت عين الفتنة وما كان أحد ليجتري عليها غيري»⁽¹⁾ .. و.. أكبر شاهد ودليل.

والجدير بالذكر أن الذي يسبب (أن لا تأخذ الإنسان في الله لومة لائم) هو: الإيمان والشجاعة والإخلاص لله، وكلما كانت درجتها أشد كان أقرب إلى المطلق في عدم الاعتناء بالملامة، وقد كانت القمة في الإمام (عليه السلام).

ص: 211

1- كتاب سليم بن قيس: ص 156 وراجع أيضاً المناقب: ج 2 ص 144.

تربص الدوائر بالمؤمنين

مسألة: تربص الدوائر بالمؤمن - فكيف بأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) - محرّم إن اقترن بالفعل الخارجي، وإن اقتصر على الحالة النفسية، فإن استلزم سلب الإيمان والاعتقاد، كان حراماً طريقياً بالنسبة إلى غير المعصومين (عليهم السلام)، ومحرم نفسي بالنسبة لهم (عليهم السلام).

وقد يقال: بحرمة مطلق تربص دائرة السوء بالنسبة لمطلق المؤمنين، بل سيأتي إن (الرضي) بظلم المؤمن حرام فكيف بتربص ذلك به.

من الواضح أن خطابها (عليها السلام) في هذه الجملة وأشباهاها موجّه إلى جماعة من الصحابة لا إلى جميعهم لوجود بعضهم المخلصين في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وكأنها ذكرت هذا الجمل تمهيداً لما تريد أن تقوله من انفضاضهم عن أهل البيت (عليهم السلام) بعد ذلك وغضبهم الخلافة والسلطة وفدكوغير ذلك.

فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال في تفسير قوله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم باللغور» (1).

ص: 212

قال: «أما انها نزلت فينا وفي شيعتنا وفي الكفار، أما انه إذا كان يوم القيامة وحسب الخلائق في طريق المحشر ضرب الله سوراً من ظلمة فيه باب باطنه فيه الرحمة يعني النور، وظاهره من قبله العذاب، يعني الظلمة، فيصيرنا الله وشيعتنا في باطن السور الذي فيه الرحمة والنور ويصير عدونا والكفار في ظاهر السور الذي فيه الظلمة، فيناديكم عدونا وعدوكم من الباب الذي في السور من ظاهره: ألم نكن معكم في الدنيا، نبينا ونبيكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجنا وحجكم واحد، قال: فيناديهم الملك من عند الله: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم بعد نبيكم ثم توليتهم وتركتم اتباع من أمركم به نبيكم وتربصتم به الدوائر وارتبتم فيما قال فيه نبيكم وغرتكم الأمانى...»(1).

قولها (عليها السلام): (تربصون بنا الدوائر) التربص: بمعنى الانتظار(2).

والدوائر عبارة عن صروف الزمان وحوادث الأيام والشدائد، لأن الزمان له حالة دورانية أخذاً من دوران الفلك(3).

والتاريخ أيضاً له حالة دورانية ولو في الجملة(4).

ص: 213

1- تأويل الآيات: ص 636 سورة الحديد.

2- قال في لسان العرب (التربص: الانتظار) و(تربص به أي انتظر به خيراً أو شراً).

3- الزمان - حسب أحد الأقوال - هو مقدار حركة الفلك، فالليل والنهار ينجمان عن حركة الأرض حول نفسها، والشهر من حركة القمر حول الأرض، والسنة من حركة الأرض حول الشمس.

4- راجع (الفقه: الاجتماع) و(الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف.

أي: كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا وزوال النعمة عتًا، وأن ينتصر الكفار وينهزم المسلمون، لأن كثيرا منهم كانوا كذلك حقا على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وحسداً، أو لأن ثقل الجهاد - بما يستلزم من تضحيات وهجرة وقلق وخوف وعدم استقرار نفسي واقتصادي و.. - يؤذيهم.

وهكذا حال كثير من المجاهدين على مرّ العصور حيث إنهم في الظاهر يجاهدون، ولكنهم في الباطن يريدون التخلص من الجهاد وتبعاته، كيما يرجعوا إلى حالتهم العادية ويعيشوا هادئين مطمئنين في بلدهم وفي أحضان أسرهم.

وتتوكفون الأخبار(1)

التجسس والتحسس والتوكف

مسائل: هنالك ثلاثة عناوين: التجسس و التحسس وتوكف الأخبار.

فالتجسس على الرعية - من قبل الدولة - حرام.

وتجسس المؤمن على المؤمن حرام.

نعم يجوز التجسس على الكفار الحريين لأجل صدّ تعديهم وبغيهم، كما يجوز التجسس على المسؤولين من قبل الدولة كي لا يظلموا الرعية كذلك(2).

قال تعالى: «ولا تجسسوا»(3).

وقال في كشف الريبة: «ومعنى التجسس أن لا- تترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كاناسلم لقلبك ودينك»(4).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معشر من آمن بلسانه ولم يصل الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين ولا تذموا المسلمين، فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته، فضحه في

ص: 215

1- وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأخبار).

2- راجع (الفقه: الدولة الإسلامية) و(إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف (قدس سره).

3- سورة الحجرات: 12.

4- كشف الريبة: 23.

جوف بيته»(1).

أما التحسس بشكل مطلق(2)، فقد يكون راجحاً كما هو في قوله تعالى عن لسان يعقوب (عليه السلام): «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه»(3).

وأما توكل الأخبار، والمراد به في أشباه المقام: انتظار وتوقع الأخبار السلبية ضد المؤمنين، فإنه مذموم وقد يكون حراماً كما لا يخفى، وفي غير أشباه المقام جائز بالمعنى الأعم.

ولو اقترن التوكف والتوقع والترصد للأخبار السلبية ضد المؤمنين بما يقترن به عادة، من العمل بمجرد سماع الخبر على إشاعته ونشره، مما يسبب ضعف جبهة المؤمنين وإضعاف معنوياتهم والشد من أزر الكافرين والأعداء، فإنه بهذه الجهة محرم.

قولها (عليها السلام): (وتتوكفون الأخبار) التوكف عبارة عن التوقع، والمراد: أنهم كانوا يجلسون في بيوتهم(4) ويتوقعون وصول أنباء وأخبار المحن والفتن والمصائب على النبي وآل النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) والمؤمنين المخلصين، كما تشير إلى ذلك جملة من آيات سورة التوبة(5) والسور الأخرى أيضاً، والتواريخ

ص: 216

1- الأمامي للشيخ المفيد: ص 141 المجلس 17 ح 8.

2- أي في غير هذا المقام.

3- سورة يوسف: 87.

4- كناية عن مطلق عدم مشاركتهم في المعامع.

5- كقوله تعالى: «قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون». سورة التوبة: 52.

.....
ملئمة بالقصص والشواهد على ذلك.

وكلامها (عليها السلام) يكشف عن انهم كانوا بعيدين عن التصديوانسياق مع حركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن العمل والجهاد والاجتهاد بل كانوا بمعزل عن كل ذلك، وهم - إلى جوار كل ذلك - (يتوكفون الأخبار) وينتظرون ويتوقعون ويتصيدون الأخبار السلبية.

والجدير بالذكر أن سورة التوبة هي من تلك السور السياسية التي تبين نوعاً ما، ما عاناه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) والمخلصون من أيدي ضعفاء الإيمان ومن أيدي المنافقين.

ص: 217

الإحجام عن المعركة

مسألة: يحرم النكوص عند النزال، وقد كان كثير من ضعفاء الإيمان والمنافقين يتشاقلون عن الجهاد ويتراجعون عن الحرب.

قولها (عليها السلام): (وتنكصون عند النزال) أي تحجمون عن الإقدام في الحروب، ونكص بمعنى أحجم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فاقلوا الكلام واكثروا ذكر الله عزوجل ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله ربكم وتستوجبوا غضبه»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «أيها الناس إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا... نسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأباطيل»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «معالجة النزال تظهر شجاعة الأبطال»⁽³⁾.

و(النزال) المصطلح من باب المصداق، إذ إن كل نكوص وتراجع وإحجام عن أي (نزال) بين جبهة الحق وجبهة الباطل في أي بعد من الأبعاد السياسية

ص: 218

1- الخصال: ص 617.

2- الإرشاد: ج 1 ص 278.

3- غرر الحكم: ص 445 ح 10176.

.....
والثقافية وما أشبه - كالعسكرية - مذموم ومحرم فيما إذا لم يقيم به من فيه الكفاية، في غير ما يعلم عدم حرمة ولو من باب العنوان والمحصّل، فليدقق.

قال تعالى: «قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون»(1).

من حقوق المعارضة

مسألة: استنادا إلى قولها (عليها السلام) وفعلها، وكلاهما حجة، يجوز - بالمعنى الأعم - للمعارضة فضح الأكثرية أو شبهها فيما إذا جارت في الحكم أو عدلت عن الصواب، كما يجوز فضح المتصدين للحكومة والرئاسة، بذكر دوافعهم الحقيقية للقرار المتخذ، والتنويه إلى مواقفهم وضلالاتهم الماضية، باعتبار أنها تكشف مخطئهم الحالي والمستقبلي.

بل بما هي هي، كي لا يتخذوا أسوة وقدوة - وهي على هذين من طرق النهي عن المنكر -.

بل لمجرد أن يتحقق تمييز الحق من الباطل، والخبيث من الصالح كما قال عزوجل: «ليميز الله الخبيث من الطيب»(2).

أو لمجرد التظلم حيث قال تعالى: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم»(3).

ص: 219

1- سورة المؤمنون: 66.

2- سورة الأنفال: 37.

3- سورة النساء: 148.

.....
ويجوز - بالمعنى الأعم - (فضحهم) عبر شتى وسائل الإعلام من الصحف والجرائد والراديو والتلفزيون وعلى رؤوس الأشهاد.

ولذلك نجدها (عليها الصلاة والسلام) تستعرض مواقفهم السابقة، وحالاتهم الماضية وأسلوبهم على رؤوس الأشهاد والى يوم القيامة: (وانتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال..). وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية، وناهبوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام وتحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة»(1).

وقد قال (عليه السلام): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»(2).

ص: 220

1- تنبيه الخواطر: ج 2 ص 162.

2- غرر الحكم: ص 483 ح 11144.

الفرار من الزحف

مسألة: يحرم الفرار من القتال، فإن الفرار من الزحف من أشد الكبائر ومن الموبقات كما ورد في مستفيض الروايات.

وذلك غير الفرار لأجل إقامة الحق، أما فيه فقد يكون واجباً - على ما سيأتي - كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى موسى (عليه الصلاة والسلام): «ففررت منكم لَمَّا خفتكم»⁽¹⁾.

وكما في فرار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من محاولة اغتياله ليلة المبيت وهجرته إلى المدينة، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولي بمحمد (صلى الله عليه وآله) أسوة حين فر من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه...»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «الفرار فيوقته ظفر»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من اللئيم الأحمق»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من الفاجر الفاسق»⁽⁵⁾.

ص: 221

1- سورة الشعراء: 21.

2- علل الشرائع: ص 149 ح 7 ب 121.

3- غوالي اللئالي: ج 1 ص 290.

4- غرر الحكم: ص 261 ح 5598.

5- غرر الحكم: ص 462 ح 10601.

وقال (عليه السلام): «الفرار في أوانه يعدل الظفر في زمانه»(1).

وكما في قول الشاعر:

(خرج الحسين من المدينة خانفا كخروج موسى خانفا يترقب)

فالفرار قد يكون من الزحف وهو حرام «إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الكبائر سبع فينا نزلت ومنا استحلت فأولها الشرك بالله العظيم وقتل النفس التي حرم الله قتلها وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وقذف المحصنة والفرار من الزحف وإنكار حقنا...» الحديث(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الفرار أحد الذلين»(4). وقال (عليه السلام): «استحيوا من الفرار فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب»(5).

وقال الأشتر في حرب صفين: «فإن الفرار من الزحف فيه سلب العز والغلبة على الفياء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة»(6).

وقد يكون الفرار في غيره، كما في التأمر على المصلح لقتله غدرا وغيلة فيجب عليه هنا الفرار.

ص: 222

1- غرر الحكم: ص 333 ح 7679.

2- سورة الأنفال: 16.

3- علل الشرائع: ص 474 ب 223 ح 1 باب العلة التي من أجلها أوجب الله على أهل الكبائر النار.

4- غرر الحكم: ص 333 ح 7675.

5- غرر الحكم: ص 333 ح 7676.

6- وقعة صفين: ص 255.

والجامع أن (الفرار) قد يكون خوفاً وجبنا، وقد يكون حكمة ومصلحة، فإن انسحاب أي قائد من المعركة إذا رآها غير متكافئة حفاظاً على جيشه كي يعد العدة لمعركة أخرى بشرائط أفضل، هو من الحكمة ويشمله ملاك «إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة» (1).

مع وضوح أن الآية الكريمة تشير إلى الفارين من المعركة رغم قرار القيادة بالاستمرار فيها، ولا يحق للفرد هنا أن يعلل انسحابه بالمصلحة مع وجود الأمر من القيادة بالمواصلة وإلا لزم الهرج والمرج وغير ذلك من المحاذير وتفصيل البحث في محله (2).

وفي تبكيتهما (عليها السلام) المسلمين بفرارهم من القتال - (وهو أسوأ أنواع الفرار إذ كان فراراً من الزحف جبناً، أو لعدم الاعتقاد بها أولاً، وكان على خلاف أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) الصريح بالاستمرار ثانياً، وكان يشكل خطراً على حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بنفسه ثالثاً، وعلى الإسلام ككل رابعاً، لذلك كان فرارهم من أعظم الكبائر) - إشارة لطيفة ودقيقة إلى أنه كيف يصلح هكذا أناس للخلافة (3)؟ أو لترشيح شخص للخلافة؟ حتى مع قطع النظر عن وجود نص الهي بتعيين الخليفة فرضاً؟، ثم كيف يؤمن عليها من كان دأبه التفريط بها؟

قولها (عليها السلام): (وتفرون عند القتال) والفرق بين هذا وبين سابقه:

ص: 223

1- سورة الأنفال: 16.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 47 - 48 كتاب الجهاد، وقد تطرق الإمام الشيرازي إلى مسألة إطاعة القائد ولزوم الهرج والمرج في عدم طاعته في كتاب (الفقه: المرور) فراجع.

3- انظر الفصول المختارة: ص 121.

.....
أن (النكوص) معناه الرجوع من منتصف الطريق، كما حدث في خيبر، وغزوة ذات السلاسل وغيرهما(1)، والنزال وإن كان يطلق على الحرب توسعا لكنه - دقة - قد يكون مرحلة ما قبل الحرب لان هذا ينزل إلى الميدان وذلك ينزل أيضا (2) فتأمل.

الإرشاد للنواقص

مسألة: يستحب بيان نواقص الفرد والأمة لهدف الإصلاح... مع حفظ الموازين الإسلامية، سواء كانت نواقص قصورية أو تقصيرية، وقد يجب ذلك لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارشاد الضال وتنبية الغافل، كل حسب الموازين الفقهية المذكورة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه.

وفي الصحيفة السجادية: (وامنحني حسن الإرشاد)(3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا عبيد الدنيا والعاملين لها، إذا كنتم في النهار تبيعون وتشترون، وفي الليل على فروشكم تتقلبون وتسامون، وفيما بين ذلك عن الآخرة تغفلون وبالعامل تسوفون، فمتى تفكرون في الإرشاد، ومتى تقدمون الزاد ومتى تهتمون بأمر المعاد»(4).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام): «ثم حق رعيتهك بالعلم فان

ص: 224

-
- 1- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج1-2) للإمام المؤلف (قدس سره).
 - 2- فكان كل طرف ينزل عن ابله أو فرسه ليتقاتلا.
 - 3- الصحيفة السجادية: ص108 ومن دعائه في مكارم الأخلاق.
 - 4- غرر الحكم: ص145 ح2630.

.....
الجاهل رعية العالم»(1). ووجوب بيان النقص القصورى - والحيلولة دون تحققه - فى بعض أقسامه، إما لانطباق عنوان(المنكر) عليه عرفاً ولبا(2)، وأما لكونه مما علم من الشرع إرادة عدم تحققه فى الخارج، فكما أن الطبيب عليه أن يبين للمريض مرضه وعلاجه، وكما على المريض أن يستجيب، كذلك على كل واحد من المصلحين - بل على الكل ممن اجتمعت فيه الشرائط - أن يبين للناس مرضهم وعلاجهم، وعليهم التقبل والاستجابة لا العناد والمقاطعة.

معاقبة القائد والامة

مسألة: يجوز للقائد أن يعاتب الأمة، وللأمة أيضاً معاقبة القائد، وكذلك عتاب الفرد أو الجماعة كالحزب والجمعية والهيئة وما أشبه ذلك. والجواز هنا بالمعنى الأعم، من الوجوب والاستحباب، كل فى مورده، وإن استلزم ذلك إيذاء بعضهم أو جلهم أو كلهم - مراعىً الموازين الشرعية - ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وإن استلزم ذلك فى الجملة(3). هذا إذا كان العتاب من مصاديقهما، وإن لم يكن كذلك فإنه جائز إن كان

ص: 225

1- الخصال: ص564.

2- فلو شاهدنا شخصاً يحاول قتل نفس محترمة جهلاً منه بذلك حيث تصور أنه كافر حربى مثلاً، وجب علينا إلفاته إليه أو الحيلولة دون ذلك، وهذا القتل (منكر) عرفاً وحقيقاً وإن لم يلتفت الفاعل على ذلك.

3- كما أن الجهاد واجب وإن استلزم إيذاء عوائل المحاربين البغاة مثلاً، ممن لم يكن على رأي أزواجهن، وذلك لحكومة أدلة الجهاد والأمر والنهي على أدلة النهي عن الإيذاء، وللأهم والمهم، ولورودها فى موردها.

مما بنى عليه الطرفان - ولو ارتكازا - كما في كثير من الحقوق التي يسقطها أصحابها من باب التواضع (1) والتقابل، وإن لم يكن كذلك أيضا فلا دليل على حرمة مطلقا إذ لا دليل على حرمة حتى هذه المرتبة من الإيذاء في هكذا موارد، نعم البالغ منه لا يجوز.

ثم (العتاب) قد يكون مستحبا وإن لم يكن من مصاديق الأمر والنهي المستحيين (2) لوقوعه مقدمة وطريقا إلى أشباه ما ذكرته الرواية الشريفة: (العتاب حياة المودة) (3). وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «العتاب مفتاح المقال والعتاب خير من الحقد» (4). وقد يكون العتاب أو كثرته مكروها، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة» (5). وقال (عليه السلام): «كثرة العقاب تؤذن بالارتباب» (6). وقال (عليه السلام): «لا تعاتب الجاهل فيمقتك وعاتب العاقل يحبك» (7).

وأما الفرار فهو فرارهم عند القتال كما حصل في (أحد) وكما حصل في (حنين) وفي غيرهما (8).

ص: 226

1- المراد ب (التواضع) التباني.

2- وهما المتعلقان بالمستحب والمكروه، كأن يعاتبه على النوم بين الطلوعين أو على ترك صلاة الليل.

3- غرر الحكم: ص 414 ح 9465.

4- أعلام الدين: ص 311.

5- غرر الحكم: ص 479 ح 11007.

6- غرر الحكم: ص 479 ح 11005.

7- غرر الحكم: ص 74 ح 1131.

8- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج 1-2) للإمام المؤلف.

تكاملية الدنيا والآخرة

مسألة: يلزم النظر إلى معادلة الدنيا والآخرة بلحاظ أنها مراحل فيمسار التكامل، فكما أن الدنيا بالنسبة لمرحلة (الكون في الأرحام) مرحلة متقدمة ومسيرة تكاملية، كذلك الآخرة بالنسبة للدنيا (1)قال تعالى: «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» (2). وهذا بالنسبة لأولياء الله الصالحين، فكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو سيد الخلائق أجمعين.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تشير بقولها (اختار الله لنبية.. (3) إلى حقيقة هامة هي أن قبضه (صلى الله عليه وآله) إلى ربه كان خيرا له، فإنه سير له (صلى الله عليه وآله) إلى ربه، وتكامل، وراحة (فمحمد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة، قد حفر بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار) (4).

ص: 227

- 1- لهذا المبحث ذيل عريض في المباحث الفلسفية وشبهها في (قوس الصعود والنزول) وكيف تكون التكاملية التكوينية حتى بالنسبة لغير المؤمن، وقد تطرق الإمام المؤلف إلى جوانب من هذا المبحث في كتابه (العقائد) و(شرح منظومة السبزواري) وفي الفقه بالمناسبة.
- 2- سورة العنكبوت: 64.
- 3- اختار إما بمعنى خار (افتعل بمعنى فعل) وعلى هذا ف: خار الله له في الأمر: جعل له فيه الخير، وأما بمعنى الطلب: فاختر له كذا أي طلب له الخير في كذا. ويأتي بمعنى الانتقاء والاصطفاء والذخر أيضاً.
- 4- انظر ما سبق من خطبتها (عليها السلام).

.....
وإن كان ذلك بالقياس إلى الأمة خسارة وضرراً كبيراً.

ففي تعبيرها (عليها السلام) ب (اختار) إلفات إلى هذا الأمر، فقد استخلصه الله لنفسه، واصطفاه لرحمته، وأنقذه من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن سجن المادة إلى عالم الملكوت، ومن أمواج الفتن واثقال الرزايا والمحن إلى فسيح جنانه، وأنقذه (منكم) بما أضمرتم وأظهرتم من تخاذل وتواكل وعداء، وبقيتنا نحن أهل بيته نواجه فيكم كل أحقادكم وضغائنكم.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى حقيقة إيدائهم للرسول (صلى الله عليه وآله) في آيات كثيرة، منها: قوله تعالى: «لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور»(1).

وقوله سبحانه: «ومنهم من يلمزك في الصدقات»(2).

وقوله تعالى: «ومنهم الذين يؤذون النبي»(3).

وقوله سبحانه: «ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم»(4).

وقوله تعالى: «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله»(5).

وقوله عز وجل: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا

ص: 228

1- سورة التوبة: 48.

2- سورة التوبة: 58.

3- سورة التوبة: 61.

4- سورة التوبة: 63.

5- سورة التوبة: 107.

.....
والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا»(1).

الإحياء والإماتة بيد الله

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الإحياء والإماتة بيد الله تعالى لا غيره، فإن الإماتة والإحياء انما هما باختيار الله سبحانه وتعالى، من غير مدخلة اختيار الإنسان إلا بالنسبة إلى بعض المقدمات في الجملة، واختيارية تلك المقدمات أيضا إنما هي بلطفه سبحانه وجعله كما لا يخفى، وذلك كالتجار الذي يؤدي إلى سعة الرزق، وكالاتحار المؤدي إلى الهلاك، والمقاربة المؤدية إلى تكون الجنين، وغير ذلك. قال تعالى: «والله يحيي ويميت»(2).

وقال سبحانه: «وهو الذي يحيي ويميت»(3).

وقال عز وجل: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون»(4). وقال تعالى: «لا إله إلا هو، يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين»(5).

نعم كان اختيار الله سبحانه وتعالى لموت الرسول (صلى الله عليه وآله) برضاه (صلى الله عليه وآله) وإذنه تكريما له، كما ورد في الأحاديث.

ص: 229

1- سورة الأحزاب: 57.

2- سورة آل عمران: 156.

3- سورة المؤمنون: 80.

4- سورة الروم: 19.

5- سورة الدخان: 8.

ظهر فيكم حسيكة النفاق(1)

أقسام النفاق

مسألة: إطلاق كلامها (عليها السلام) يشمل الأقسام الأربعة للنفاق.

فإن النفاق قد يكون في أصول الدين، وقد يكون في الفروع، اعتقاداً(2) أو أداءً(3).

والأول كفر.

والثاني قد يستلزمه(4).

والثالث من المحرمات.

وهناك نفاق رابع بالنسبة للأشخاص(5) فإنه رذيلة خلقية وقد يكون بعض أقسامه حراماً.

وقد كان في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) منافقون من الأقسام الأربعة.

ومن الأول: ما أشار إليه تعالى بقوله: «إذا جاءك المنافقون قالوا

ص: 230

1- وفي بعض النسخ: (حسكة النفاق).

2- كالنفاق في الاعتقاد بالصلاة، بأن يظهر الاعتقاد بوجوبها ويبطن الإنكار.

3- بأن يصلي متى كان بمرأى من الناس ومسمع دون إنكار لوجوبها، وهو المعبر عنه بالرياء.

4- كما لو أنكر الاعتقاد بوجوب الصلاة وكان ذلك مستلزمًا لإنكار أصل الرسالة.

5- بأن يظهر لك المحبة ويسر البغض ويظهر الصداقة ويضمّر العداوة، إما لجهة شخصية كحسد أو بغض، أو لجهة نوعية، أو لجهة عقائدية

وقد كان بعض أعداء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من مصاديق «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». سورة النساء: 54.

نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون»(1).

وكأمثال من قال للإمام (عليه السلام): «بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن و مؤمنة»(2).

ومن الثاني: ما أشار إليه سبحانه بقوله: «إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس»(3).

وقوله عز وجل: «وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم إلا- أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا- يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون»(4).

وقد اجتمعت هذه الأنواع الأربعة من النفاق في عدد من أعداء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واتّصف بعضهم ببعضها فقط، والتفصيل في كتب التاريخ(5).

هذا وقد جعل الله عز وجل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) علماً بين الإيمان والنفاق وميزاناً لذلك، وجعل حبه (عليه السلام) علامة للإيمان وبغضه علامة للنفاق،

ص: 231

1- سورة المنافقون: 1.

2- راجع الإرشاد: ج 1 ص 177، والأمالى للشيخ الصدوق: ص 2 المجلس 1 ح 2، وكشف الغمة: ج 1 ص 237 والعمدة: ص 106.

3- سورة النساء: 142.

4- سورة التوبة: 54.

5- راجع كتاب (الغدير) للعلامة الأميني (رحمة الله).

.....

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم لأصحابه: معاشر أصحابي إن الله جل جلاله يأمركم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) والافتداء به فهو وليكم وإمامكم من بعدي لا- تخالفوه فتكفروا ولا تفارقوه فتضلوا، إن الله جل جلاله جعل علياً علماً بين الأيمان والنفاق فمن أحبه كان مؤمناً ومن أبغضه كان منافقاً»(1).

إظهار النفاق محرم

مسألة: يحرم إظهار النفاق(2) كما يحرم أصل النفاق، ولهذا قالت (عليها السلام): (ظهر)، فإن بعض الصفات إظهاره حرام دون إبطانه وإضماره كالحسد، وبعض الصفات يحرم إبطانه وإظهاره كالكفر والنفاق والرضا بما يحل بأنبياء الله وأوليائه (عليهم السلام) من المشاكل والمحن.

ولا يخفى أن الرضا هاهنا ليس بنية السوء موضوعاً وحكماً، إذ قد ورد أن نية السوء لا تكتب، وقد ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «ولعن اللهامة سمعت بذلك فرضيت به»(3).

وقال (عليه السلام): (الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم)(4).

ص: 232

1- الامالي للشيخ الصدوق: ص 284 - 285 المجلس 47 ح 19.

2- كما في «وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون» سورة البقرة: 14.

3- الاقبال: ص 589 فصل في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العشرين من صفر.

4- غرر الحكم: ص 331 ح 7633 وص 433 ح 9885، وخصائص الأئمة: ص 107.

ويدل على ذلك (1) جملة من الأحاديث، ذكرنا بعضها في باب التجري.

وقد فصله الشيخ المرتضى (قدس سره) في التقريرات، وكلامها (عليها السلام) هنا يعد أحد الأدلة على حرمة النفاق (2).

لا يقال: إذا أظهر النفاق لم يعد نفاقاً.

فإنه يقال: أولاً: قد يظهر النفاق لغير من نافقه، كما في قوله تعالى: «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مسهترون» (3).

وثانياً: قد يتجلى النفاق في مصاديق أخرى - رغم تكتمه عليه - (4) كما سيأتي بعد قليل.

وثالثاً: الإضافة في قولها (عليها السلام): (حسيكة النفاق) أما بيانية أو لامية.

وعلى الأول: فيجاب أيضاً بالظهور بعد الخفاء (5).

ص: 233

-
- 1- أي على حرمة الرضا بسوء فعل قوم، أو بما يحل بأنبياء الله وأوليائه من المحن، ويحتمل إرادة: حرمة إظهار النفاق.
 - 2- وجهه ما سيأتي منه (قدس سره) في (سمل جلباب الدين)، إضافة إلى ما سبق منه من كونه إخباراً يتضمن إنشاء لكونها (عليها السلام) في مقام التوبيخ والردع والزجر، أو بطنه الإنشاء، أو لدلالة الاقتضاء.
 - 3- سورة البقرة: 14.
 - 4- أي أن واقع النفاق قد يتسرب ويظهر عبر بعض (النوافذ) و(المظاهر).
 - 5- أي إن ظهر فيكم حسيكة النفاق فعلى الإضافة البيانية يكون المعنى: (حسيكة هي النفاق) وقد ظهر هذا النفاق بعد أن كان خفياً فلا تناقض إذ كان نفاقاً والآن ظهر فأصبح ظاهره مطابقاً لباطنه.

وعلى الثاني: لا مانعة جمع بين خفاء النفاق وظهور عداوته.

وهناك روايات عديدة في النفاق وأبوابه وأسبابه:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللهو، والبذاء، وإتيان بابالسلطان، وطلب الصيد»⁽¹⁾، أي كما كان عادة الملوك.

وفي الدعاء: «اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق»⁽²⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو في القلب لمعة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله»⁽³⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق»⁽⁴⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إياكم وتخشع النفاق وهو ان يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع»⁽⁵⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بالكذب يتزين أهل النفاق»⁽⁶⁾.

ص: 234

1- الخصال: ص 227 ح 63.

2- مصباح الكفعمي: ص 96 الفصل 17.

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 94.

4- تنبيه الخواطر: ج 1 ص 113 باب الكذب.

5- تحف العقول: ص 60.

6- غرر الحكم: ص 219 ح 4371.

وقال (عليه السلام): «شر الأخلاق والكذب والنفاق»(1).

وقال (عليه السلام): «الكذب يؤدي إلى النفاق»(2).

وقال (عليه السلام): «النفاق يفسد الإيمان»(3).

وقال (عليه السلام): «إياك والنفاق فان ذا الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله»(4).

وقال (عليه السلام): «النفاق أخو الشرك»(5).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر»(6).

وقال (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق»(7).

قولها (عليها السلام): (الحسيكة) هي: الضغينة والعداوة.

وفي بعض النسخ: (حسكة النفاق)، وهو على الاستعارة يعني: إنهم كانوا يضمرون النفاق في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويظهرون النفاق من خلال بعض أعمالهم، مثل النكوص، ومثل الفرار، ومثل ما سجل التاريخ من بعض

ص: 235

1- غرر الحكم: ص 219 ح 4373.

2- غرر الحكم: ص 220 ح 4408.

3- غرر الحكم: ص 458 ح 10475.

4- غرر الحكم: ص 458 ح 10480.

5- غرر الحكم: ص 458 ح 10483.

6- غرر الحكم: ص 458 ح 10484.

7- غرر الحكم: ص 460 ح 10519.

كلماتهم وقد تقدم بعضها، إذ (ما اضممر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)⁽¹⁾، وقال (عليه السلام): «من أستر لأخيه غشاً أظهره الله على صفحات وجهه»⁽²⁾..

فلما فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحياة ظهر نفاقهم وتجلى في مصاديق جديدة كمنع أهل البيت (عليهم السلام) عن خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) والهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغصب فدك، وما أشبه ذلك كما جاء في مختلف التواريخ.

وأصل الحسك: الشوك، يقال: حسك السعدان، والواحدة حسكة، ثم استعير للنفاق الكامن في الباطن الذي يسبب وخز الآخرين بالأعمال والأقوال وحتى بالنظرات والإشارات، بل حتى بتموجات الفكر وإشعاعات القلب.

ص: 236

1- شرح النهج: ج 18 ص 137.

2- ارشاد القلوب: ص 84.

وسمل جلباب الدين(1)

المحافظة على نضارة الدين

مسائل: يحرم أن يقوم الإنسان بما يؤدي إلى فقدان الدين نضارته وطراوته، ليتحول خَلْقًا بالياً(2) وهذا في مرحلة الثبوت.

ويحرم أن يقوم بما يسبب أن يظهر الدين بمظهر الخلق البالي الذي لا يستطيع حل مشاكل الحياة أو أن يتَّهم ب (الرجعية)(3)، وهذا في مرحلة الإثبات.

كما يحرم أن يتَّهم أحد (الدين) بالرجعية والسَّمَل أو ان يتَّهم الدعاة إليه بذلك.

والوجه في قولها (عليها السلام): (سمل جلباب الدين) أن القوم بتنحيتهم من نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة له، وقد كان أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وأفواهم على الحق وأتقاهم وأكثرهم حكمة وعقلا ودراية، كانوا السبب

ص: 237

1- وفي بعض النسخ: (وسمل جلباب الإسلام) راجع كشف الغمة: ج 1 ص 487.

2- فعدم ممارسة عملية الاجتهاد والاستنباط في المسائل المستحدثة التي ابتلي بها عالم اليوم كمسائل التأمين والتأمين والبنوك والقوة الشرائية وحجم النقد، وكذلك عدم استخراج الحكم الإسلامي في أبواب: الحقوق، القانون، الأحزاب، السياسة، الإقتصاد، علم النفس والاجتماع...، يؤدي الى فقدان الدين نضارته وطراوته.

3- فعدم استخدام الوسائل الحديثة في التبليغ: كالأدب الحديث، والكمبيوتر والانترنت والأقمار الصناعية، والاقْتصار على أسلوب القدماء في التعبير والاستدلال والوسائل، يؤدي الى أن يظهر الدين بمظهر الخلق البالي فتفر منه جموع الشباب لتقع في فخ الأحزاب الشرقية والغربية.

.....
في فقدان الدين نضارته وطراوته وتحوله خَلِقًا باليا:

ثبوتاً، وذلك بجهل كثير من الأحكام في كل أبعاد الحياة، وبوضع الشيء في غير موضعه - كنصب من لا أهلية له أميراً ووالياً وقاضياً وشبه ذلك.

وإثباتاً، حيث ظهر بذلك المظهر قديماً وحديثاً، وحيث اتهم بالكثير مناتهم (1).

ولذلك نرى أن الحق عندما يعود إلى نصابه بظهور الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) يعود الدين على يديه غضاً جديداً..

وإننا وإن لم نقدر على ذلك كما هو المفروض وفي جميع المجالات لكن يجب علينا قدر الاستطاعة قال تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها» (2). ولعموم أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه.

وقولها (عليها السلام): (سمل جلباب الدين) وإن كان إخباراً عن قضية تاريخية إلا أنه يستنبط منه بدلالة الاقتضاء وغيرها حرمة كل ما يؤدي إلى أن يسمل ثوب الدين..

بل يدل على شدة حرمة حيث اعتبرته (عليها السلام) في عداد تلك الكبائر (3) وعدته إحدى النتائج المؤلمة لإعراضهم عن خليفة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

ص: 238

1- كاتهامه بأنه دين السيف بسبب بعض الفتوحات غير المدروسة، واتهامه بالاستبداد والاثرة والظلم بسبب تصرفات الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن شاكلهم.

2- سورة البقرة: 286.

3- أي (ظهر فيكم حسكة النفاق) و(نطق كاظم الغاوين..).

.....
وسمى جلباب الدين: كناية عن التفرق عن الدين حتى صار كالجلباب الخلق ليست له تلك الطراوة التي كانت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك في كل زمان و مكان وجماعة.

(وسمى) على وزن نصر، أي صار خلقاً، وجلباب الدين: تشبيه بالجلباب الواسع الذي تغطي المرأة به جسمها، فكأن الدين - في أحد احتمالات المعنى (1) - كان جلباباً على هؤلاء يغطي عيوبهم ونفاقهم، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانقلبوا على أعقابهم صار ثوباً خليفاً وظهر من خلاله ما كانوا ينوونه ويضمرونه من النفاق والشقاق.

ص: 239

1- والمعنى الآخر: هو ما بني عليه المبحث السابق. فليدقق.

ونطق (1) كاظم الغاوين

تستر أهل الضلالة

مسألة: يحرم (2) أن يكظم الغاوي (3) غيه ويكتم غوايته بقصد التستر والمحافظة على ذاته وغيبه كي تسنح له الفرصة المناسبة فيفسد، أما إذا كان بقصد ضده (4) ولنلا تشيع الفاحشة فلا.

ونطقه وإفصاحه عند تهيأ الفرصة وسنوحها، عما كظمه وستره من الغي - نطقاً قولياً أو عملياً - محرم أيضاً. وفي أمثال المقام الذي كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) بصدده، من أكبر الكبائر، فإنها محاربة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته (عليهم السلام). قال تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين» (5).

وقال سبحانه: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» (6).

ص: 240

1- وفي بعض النسخ: (فنطق).

2- من باب المقدمة، ولأنه لفاعل مكر، وقد قال تعالى: «ومكروا ومكر الله» سورة آل عمران: 54، أو ما أشبهه.

3- الغاوي: الضال، والكاظم: الساكت، وكظمه: حبسه وأمسك على ما في نفسه منه.

4- أي بقصد أن يعالج نفسه كي يطهر من ذلك.

5- سورة الأعراف: 175.

6- سورة الحجر: 42.

لزوم الحذر

مسألة: يجب أن لا يغتر المرء بسكوت أهل الضلالة، إذ رب يوم له ما بعده، وسكوتهم هذا قد يخفي ما خلفه، وقد يكون من مصاديق (ومكروا..)، فإن (كاظم الغاوين) قد يتربص الفرص لينطق يوماً ما.

وقد ورد: «المؤمن كئيس فطن حذر» (1). وقال (عليه السلام): «اعلم أن للأُمور أواخر فاحذر العواقب، وأن للأُمور بغتات فكن على حذر» (2). وقال (عليه السلام): «المؤمن إذا وعظ ازدجر وإذا حذر حذر» (3). وقال (عليه السلام): «مناعتبر حذر» (4).

الفاعل والساكت والراضي

مسألة: الحرمة تكون بالنسبة إلى تلك الصفات الأربع: الناطق، النابغ، الهادر، الخاطر. وبالنسبة إلى من يظهر فيهم مثل هؤلاء الغاوين والأقلين والمبطلين وهم يقدرون على رده فلم يردوه، ككل منكر يظهر في جماعة وهم قادرون على رده والمنع عنه فلا يفعلون. وبالنسبة للراضي بفعلهم، وذلك لأن (الساكت عن الحق شيطان أخرس)، ولما ورد في تكثير السواد (5)، ولأدلة

ص: 241

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 297.

2- تحف العقول: 367.

3- غرر الحكم: ص 90 ح 1540.

4- غرر الحكم: ص 472 ح 10792.

5- راجع المناقب: ج 4 ص 59 فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام)، ومثير الأحزان: ص 80، واللّهوف: ص 136-137، واللفظ للّهوف: «وروى ابن رباح قال: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين (عليه السلام) فسئل عن ذهاب بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنني لم أضرب ولم أرم، فلما قتل (عليه السلام) رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال أحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانه يدعوك، فقلت: ما لي وله، فأخذ بتليبي وجرني إليه، فإذا النبي (صلى الله عليه وآله) جالس في صحراء، حاسر عن ذراعيه، أخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار، فقتل أصحابي التسعة، فكلما ضرب ضربة التهب أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد علي، ومكث طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي وفعلت ما فعلت، فقلت: والله يا رسول الله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال: صدقت ولكنك كثرت السواد، ادن مني، فدنوت منه فإذا طست مملوء دماً، فقال لي هذا دم ولدي الحسين (عليه السلام) فكحلني من ذلك الدم، فاتتبهت حتى الساعة لا أبصر شيئاً».

النهي عن المنكر(1)، وقوله (عليه السلام): (الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم)(2).

قولها (عليها السلام): (ونطق كاظم الغاوين) المراد بكاظم الغاوين: الذي كان ساكتا ويكظم غيظه عن النبي (صلى الله عليه وآله) والدين، كما كان كذلك المنافقون وضعفاء الإيمان الذين يقولون في أنفسهم «نؤمن ببعض ونكفر ببعض»(3)، ويريدون التخلص من النبي (صلى الله عليه وآله) وآله حتى يستريحوا - بزعمهم(4) - ويتركوا الجهاد في سبيل الله والتقدم عبر العمل بأمر الله عز وجل.

ص: 242

1- راجع موسوعة الفقه: ج 48 كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- غرر الحكم ودرر الكلم: ص 331 ح 7633، وفي نهج البلاغة أيضاً، الكلمات القصار.

3- سورة النساء: 150.

4- في قوله (بزعمهم) إشارة دقيقة إلى أن الراحة في الحقيقة هي في اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) دنيا وآخرة، وإن بدى لمن يجهل كل الأبعاد والغايات إن في اتباعه ضدها.

ونبع حامل الاقلين ، وهدر فنيق المبطلين

ونبع حامل(1) الاقلين(2)، وهدر فنيق المبطلين

قولها (عليها السلام): (ونبع) أي ظهر وخرج (حامل الاقلين)، والمراد بالاقلين: الذين كانوا في جيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه في جماعة المؤمنين، ولكنهم كانوا يضمرون النفاق والشقاق، فإنهم ظهروا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وبعد خمولهم في زمانه (صلى الله عليه وآله) خوفاً منه (صلى الله عليه وآله) وهذا محرم كما لا يخفى.

قولها (عليها السلام): (وهدر فنيق المبطلين) الفنيق: هو البعير، والمراد بهدره: صوته، لأن الهدر هو صوت البعير الذي يخرج من حنجرتة، والمراد: أن زعماء أهل الباطل من المسلمين المنافقين أخذوا يرفعون أصواتهم ويكررونها ويرددونها(3) ضد قيادات الإسلام ومناهجه وهذا من المحرمات الكبيرة.

من أساليب المبطلين

مسألة: يلزم معرفة أساليب المبطلين لمواجهتها، وقد أشارت (صلوات الله عليها) باختيارها كلمة (هدر) في التعبير عن أسلوب زعماء المبطلين(4) إلى حقيقة هامة، وهي أنهم لا يكتفون لإثبات باطلهم بمجرد ذكره، بل إنهم يعتمدون

ص: 243

- 1- الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.
- 2- وفي بعض النسخ: (الأولين).
- 3- إذ هدر البعير: ردد صوته في حنجرتة.
- 4- عبر الإمام المؤلف (قدس سره) ب (زعماء المبطلين) نظراً لأن (الفنيق) من الإبل هو: الفحل المكرم الذي لا يؤذى ولا يركب لكرامته، فاستعارت (عليه السلام) الفنيق لهم كناية عن كبارهم وزعمائهم.

.....
منهج (غسيل الدماغ) عبر التكرار والترديد وإعادة القول مرة بعد مرة (كما يردد البعير صوته في حنجرتة)، وهي نفس القاعدة التي اعتمدها لينين (1) حيث قال: (أكذب ثم أكذب ثم أكذب حتى يصدقك الناس)!!

وفي المقابل، على جبهة الحق أن تعتمد أسلوب الإرشاد بعد الإرشاد، والتكرار بعد التكرار، كما قالتعالى:

«وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» (2).

وقال سبحانه: «فذكر إن نفعت الذكرى» (3).

وقال عز وجل: «فذكر إنما أنت مذكر» (4).

دراسة سنن الحياة

مسائل: تجب دراسة سنن الحياة وحركة التاريخ وكيفية حدوث التطورات وردود الأفعال، والاعتبار بذلك، واتخاذ الموقف المناسب لنصرة الحق وإبطال الباطل.

ص: 244

1- فلاديمير لينين (1870-1924) زعيم الثورة الاحادية في روسيا ومؤسس الحزب الشيوعي، من كبار منظري الماركسية.

2- سورة الذاريات: 55.

3- سورة الأعلى: 9.

4- سورة الغاشية: 21.

فإن كلامها (عليها الصلاة والسلام): أبعد غورا في شرح ما جرى وإدانتهم عليه، إذ يستفاد منه التحليل الدقيق للظواهر الاجتماعية وكيفية تحرك قوى الضلال، للاعتبار على ضوء «لقد كان فيقصصهم عبرة لأولي الألباب»⁽¹⁾، وللحيطة والحذر للناقد البصير الذي ينظر إلى كلامها (عليها السلام) بلحاظ كونه إنشاءً أيضاً بالنظر للمستقبل كما هو إخبار عن الماضي.

فكما حدث مع الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) سيحدث مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وهكذا وهلم جرا، ولو اعتبرت الأمة بكلامها لما تكرر الخطأ ولما حدثت المآسي اللاحقة.

وفي الحال الحاضر علينا أيضاً أن نضع كلامها (عليها السلام) نصب أعيننا في تقييم حركة القوى الضالة، ورصدها، واتخاذ التدابير اللازمة قبل حدوث أي منعطف يستغله الضالون (لينطقوا)، والخاملون المغمورون (ليظهروا) ويصلوا ويجولوا، ورؤوس الفتن (ليهدروا)، ثم بعد ذلك (ليخطرنا).

ص: 245

الشیطان في مسرح القلوب

مسألة: يحرم أن يجعل الإنسان من نفسه ما يخطر الشيطان في عرصاته.

وعبر أدب تصويري رائع تعبر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: (فخطر في عرصاتكم) عن طريقة الشيطان التي يرسمها وحالته، إذ يقال خطر البعير بذنبه خطراً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيته.

والمراد: أنه صال وجال في محالكم، فقد هدر بصوته وحرك عقبه فرحاً وتبخرتراً كما يفعل البعير ذلك، ومنه قول الحجاج (1) - لما نصب المنجنيق على الكعبة ورمى الكعبة وأهلها (2) - قال:

خطارة كالجمل الفنيق *** أعددتها للمسجد العتيق (3)

وقد شبه رمي الكعبة بخطر الفنيق، يقصد بذلك أن اليوم لنا والقوة لنا في قبال الكعبة، ومن اعتصم بها.

ص: 246

- 1- الحجاج بن يوسف الثقفي (- 95هـ) ولد في الطائف، ولاه عبد الملك بن مروان ثم تولى مكة والمدينة والطائف والعراق، كان سفكاً وسفاحاً وقمة في الاستبداد والطغيان.
- 2- راجع علل الشرائع: ص 89، والخرائج والجرائح: ص 268، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 6 ص 108 وج 15 ص 242 وج 16 ص 126، وبلاغات النساء: ص 173.
- 3- عوالم العلوم، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) خطبتها في المسجد (الحاشية) طبع وتحقيق مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) قم المقدسة.

.....
وفي كلامها (عليها السلام) هنا إشارة دقيقة، إذ عبرت ب (عرصاتكم) مشيرة إلى قابلية القابل ووجود الأرضية عندهم لتقبل وساوس الشيطان والاستجابة ل (خَطَرِه)، فإن (العرص): هو اللعب والمرح، و(العرصة) و(العرصات): هي ساحة الدار، وقد سميت بذلك لاعتراض (أي لعب ومرح) الصبيان فيها، وقد قال تعالى: «فاستخف قومه فأطاعوه» (1).

فقد (خطر) الشيطان، ولكن أين؟، في ساحات قلوبهم وأفكارهم التي جعلوها مسرحاً للأهواء والشهوات، قال تعالى: «أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» (2).

ومن ذلك نعرف أن الشيطان لا (يتمكن) من ابن آدم، إلا لو (مكَّنه) هو منه، حيث لا جبر كما مر، وقد فصلنا الحديث عنه في بعض كتبنا (3).

مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام)

مسألة: يلزم فضح المتآمرين على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيان صفاتهم، وقد تضمنت الجمل السابقة من كلماتها (صلوات الله عليها) إشارة رائعة ودقيقة لصفات المتآمرين فهم كانوا يتصفون ب:

ص: 247

1- سورة الزخرف: 54.

2- سورة النحل: 99 - 100.

3- راجع موسوعة الفقه (المدخل): كتاب العقائد.

- 1- الغي والضلالة.
- 2- المكر والحيلة، لكظم غيظهما استعدادا للمستقبل.
- 3- الجهر بالباطل عند سنوح الفرصة (ونطق).
- 4- انهم كانوا اقلية ولا تعبر في حقيقتها عن رأي الاكثرية، بل تسلحت بالإرهاب لإسكات جبهة الحق والأكثرية.
- 5- أنهم مجموعة ساقطة لا مستوى لها.
- 6- أنها برزت وظهرت عند منعطف استراتيجي، وهو وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وذلك لسرقة الثورة والنهضة والدولة والقوة، والحكومة التي أرسى دعائمها الرسول (صلى الله عليه وآله).
- 7- انها تستخدم أسلوب (غسيل الدماغ): (هدر) - كما سبق -.
- 8- أن ظاهرها أنيق مكرم (فنيق) رغم أن الواقع تعيس مهشم.
- 9- انها قطعة من الباطل والضلالة.
- 10- انها تتبع الخطة بالخطة (هدر.. فخطر).
- 11- انها تتخذ قواعد المؤمنين مسرحا لمخططاتها ومؤامراتها.
- 12- انها في سبيل الشيطان وتابعة له.

فسح المجال لقوى الشر

مسألة: يحرم تهيئة الأرضية وفسح المجال لقوى الشر والشياطين، لكي تنطلق من مكائنها وتخرج رؤوسها من مغرزهها، هاتفة بالبشرية، مستدرجة للجماهير، مضللة لها.

قال تعالى: «ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»(1).

ومن المعلوم أن للحرمة في هذا الباب درجات مختلفة، وما حدث بعد الرسول كان من أشد المحرمات، لأنه غيّر مجرى التاريخ وحرّف مسيرة الأمة، وقد ورد أن:

(من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص منوزره شيء)(2).

وذلك لأن (الدال على الخير كفاعله)(3) والدال على الشر كذلك، فإنه السبب وهو (سعيه).

ص: 249

1- سورة المائدة: 2.

2- راجع ثواب الأعمال: ص 132 باب ثواب من سن سنة هدى، والصراط المستقيم: ج 3 ص 80، ومكارم الأخلاق: ص 454.

3- الخصال: ص 134، والاختصاص: ص 240، وثواب الأعمال: ص 1.

فلا يقال: إن هذا ينافي قوله سبحانه: «وإن ليس للإنسان إلا ما سعى»⁽¹⁾ حيث أن سعيه خاص بعمله هو، وبسعيه المباشر، ولا يشمل عمل الآخرين الذين يقتدون به، وأيضاً: ينافي قوله تعالى: «كل امرئ بما كسب رهين»⁽²⁾ وما أشبهه كقوله سبحانه: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»⁽³⁾.

لأنه يقال: إن سن السنة السيئة فعله هو ووزر نفسه، ففعله هو الذي سبب وزر الآخرين، فهو وزرهم وفي نفس الوقت وزره أيضاً.

و(السعي) و(الكسب) أعم من (السعي) و(الكسب) المباشر، إذ يصح الإسناد إليهما⁽⁴⁾ وهو كذلك عقلاً ولُبّاً وكتاباً وسنة⁽⁵⁾، كما في «وما رميت إذ رميت»⁽⁶⁾. ثم (التسبب) من مصاديق السعي والكسب⁽⁷⁾ وقد تطرقنا إلى ذلك في (الفقه: الاقتصاد)⁽⁸⁾ وغيره.

ص: 250

-
- 1- سورة النجم: 39.
 - 2- سورة الطور: 21.
 - 3- سورة الأنعام: 164.
 - 4- أي يصح إسناد الفعل للفاعل المباشر وللسبب المرشد والمحرض، كما تقول: يزيد قاتل الامام الحسين (عليه السلام)، وعمر بن سعد قاتله، وشمر كذلك.
 - 5- إذ من الواضح أن «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها» [سورة البقرة: 114] يشمل قرار الحكومة بالمنع، وعمل الشرطة المباشر بالمنع، وأسعى في خرابها» يشمل المخططين لخرابها والمحرضين والمنفذين.
 - 6- سورة الأنفال: 17.
 - 7- فيستحق العقوبة عليه، من باب المقدمة.
 - 8- موسوعة الفقه: ج 107-108 كتاب الاقتصاد.

مكامن الشيطان

مسألة: يجب التعرف على مكامن الشياطين، وقواعد رؤوس الضلالة، ومغاور الفتن، ومن ثم إقامة السدود والحواجز دونهم، بل السعي لاستئصال شأفتهم فإن (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواسب) (1).

ومن مصاديق ذلك ما طلبوه من ذي القرنين حيث « قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً » (2).

ولا يخفى عظيم هذه المسؤولية في زمن الغيبة الكبرى على العلماء، فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: « فقيه واحد، ينقذ يتيماً من ايتامنا، المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف ألف عابد وألف ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه نفسه وذات عباد الله وامانه ينقذهم من إبليس ومردته » (3).

وعن الإمام الحسن (عليه السلام): « فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل يخرج منه من جهل ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس إلى السها » (4).

ص: 251

1- تحف العقول: ص 356.

2- سورة الكهف: 94.

3- الصراط المستقيم: ج 3 ص 56.

4- منية المرید: ص 116.

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده بهداه وهداه قال له الله عز وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي اني أولى بهذا الكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم»(1).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»(2).

وقال الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام): «إن من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيادي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم، ليفضلوا عند الله على العابدين بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابدين كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»(3).

ص: 252

1- منية المرید: ص 116.

2- منية المرید: ص 117.

3- منية المرید: ص 118.

والمراد بالشیطان في قولها (صلوات الله عليها) إما المعنى الحقيقي، كما هو الظاهر.

أو المعنى المجازي، أي: أخرج زعماء الشرك والنفاق رؤوسهم من مغارزها، كما في قوله تعالى:

«وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون»(1).

ويمكن إرادة كلا المعنيين، بناء على إمكان ذلك عبر (الجامع) أو (في المجموع) أو (على سبيل القول) والتفصيل في الأصول(2).

ثم هل للشیطان (مغرز) حقيقي، أم ان التعبير كناية عن الظهور بعد الخمول؟

لا يبعد الأول، وربما يدل عليه بعض الروايات.

هذا ولا فرق - من حيث الحرمة والأثر الوضعي - بين أن يقصد من (سنّ سنة حسنة) أو من (سن سنة سيئة) أن يعمل بالسنة غيره أم لا، إذ هو (السبب) على كلا التقديرين، وإن كان ربما يقال بالدرجات والمراتب، وهل هناك فرق بين أن يعلم أو لا يعلم، أو الجاهل القاصر والمقصر ذكرناه في محله في باب التجري وما أشبه(3).

ص: 253

1- سورة البقرة: 14.

2- راجع (الأصول) للإمام المؤلف ج 1 ص 112 مبحث (استعمال اللفظ في أكثر من معنى).

3- راجع (الفقه: المرور) للإمام المؤلف.

قولها (عليها السلام): (مغرزه) المراد بالمغرز: محل اختفاء الرأس، ولعله تشبيه بالقنفذ وما أشبه حيث يخفي رأسه عند الخوف ويخرج رأسه عند زوال الخوف، وإن المنافقين ومن إليهم كانوا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يختفون ويتسللون لواداً، فلما توفي (صلى الله عليه وآله) أظهروا أمرهم، وهذا كناية عن تلك الحالة على ذلك الاحتمال.

وقد قال عبد الله بن الزبير، لما قيل له: لماذا لم تذكر اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة الجمعة؟: إن له أهيل سوء إذا ذكر اسمه إشرأبت أعناقهم(1).

أقول: لكن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يشرأبون للحق، وهؤلاء المنافقون كانوا يشرأبون لإظهار الباطل بعد اختفاء الحق بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: 254

1- راجع الصوارم المهركة: ص 97 وفيه: «إذا ذكرته اشروا وشمخوا بأنوفهم». وفي شرح النهج ج 2 ص 127: «إذا ذكرته اتلعوا أعناقهم».

الاستجابة للشيطان

مسألة: إجابة الشيطان - بما هي هي - محرمة في المحرمات ومكروهة في المكروهات، وربما يقال بلحاظ كونها استجابة له - بما هي استجابة - محرمة في الجملة حتى في غير المحرمات فتأمل، فلو تعنون المكروه - عرفاً - بكونه استجابة لدعوة الشيطان كان من هذا الباب، وكذلك المباح في الجملة، ولو قام به مسندا ذلك إليها ففيه الإشكال، وربما استلزم ما يخرج به عن الإيمان.

وقد يكون نظير ذلك التشبه بالكفار، والتفصيل في (الفقه).

وعلى هذا فإن قولها (عليها السلام): (فألفاكم لدعوته مستجيبين) يستفاد منه الإشارة إلى محرمين: المدعو إليه، والاستجابة معنونة بذلك (1)، أو مسندة إليها (2)، ولا بذلك: محرمة طريقاً، أو مكروهة كذلك (3).

ص: 255

1- أي معنونة بكونها استجابة.

2- أي مسندة إلى دعوة الشيطان.

3- والفرق بينهما: أن الثاني قصدي، دون الأول، فتارة يقوم بالعمل لانه قد دعاه إليه الشيطان أو من يجب، وتارة يقوم بالعمل لا لذلك بل لرغبة فيه لكنه عرفاً يتأطر بإطار الاستجابة وينطبق عليه عنوانها (كما أن التشبه بالكفار أيضاً كذلك فتارة يلبس ملابسهم لأنهم كذلك يلبسونها وتارة لا يقصد ذلك بل لأجل التوقي من البرد مثلاً بهذا المصداق من الملابس مكنه عندما يراه الناس يصدق عليه عندهم عرفاً أنه تشبه بالكفار). فيشمله الحرمة أو الكراهة حسب ما هو المذكور في الفقه.

.....
وفي القرآن الكريم: «وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب اليم»(1).

وقال تعالى: «ولا تتبعوا خطوات الشيطان»(2). هذا وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن مخالفة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) استجابة للشيطان واتباع لخطواته والدخول في حزبه، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبا العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى، يا علي أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين، يا علي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر، يا علي أنت خليفتي على أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداتي، يا علي أنت المظلوم بعدي يا علي، أنت المفارق بعدي، يا علي أنت المحجور بعدي، أشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي حزبك حزبي وحزبي حزب الله، وإن حزب أعدائك حزب الشيطان»(3).

ص: 256

1- سورة إبراهيم: 22.

2- سورة البقرة: 208.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 6.

الثبات على العقيدة

مسألة: يجب الثبات على العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، وعدم التهاون في ذلك.

وقد قال سبحانه بالنسبة إلى فرعون: « فاستخف قومه فأطاعوه »(1) وبالنتيجة أدخلهم النار في الآخرة كما أغرقهم في الدنيا، وصار مثلاً للطغاة الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وشعوبهم أيضاً.

ولقد كان هؤلاء المنافقون في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) كما كان قوم فرعون في زمنه، وكان شيطانهم كفرعون أولئك، فكما (استخف قومه فأطاعوه) كذلك (أفاكم لدعوته مستجيبين) أي: وجدكم الشيطان لدعوته للباطل مستجيبين.

أرضية الاستجابة مسألة

أرضية الاستجابة مسألة(2): لعل الإتيان بباب الاستفعال من قبيل قوله سبحانه «استجيبوا لله وللرسول»(3)، وقوله تعالى: «استجيبوا لربكم»(4)، فإن الإنسان الذي يجيب يتطلب الإجابة أولاً نفسياً أو ما أشبه ثم يظهره عملياً.

ص: 257

1- سورة الزخرف: 54.

2- قوله (قدس سره): (مسألة) بلحاظ الحكم الشرعي الذي سيذكره بعد أسطر.

3- سورة الأنفال: 24.

4- سورة الشورى: 47.

وهذه (الأرضية النفسية للاستجابة إلى الشيطان) في جانبها الاختياري، تعد من رذائل الاخلاق، وقد تكون محرمة.

فالمفروض أن يجاهد الإنسان نفسه كي (تكره) أية تلبية لنداء الشهوات والشياطين، وأية (رغبة) في ما تدعو إليه الأبالسة، وكما يكره الإنسان بطبعه أكل القاذورات يمكن له بالمجاهدة والرياضة أن (يكره) ارتكاب المحرمات.

وقد كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية: «ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك»⁽¹⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا يتمكن الشيطان الوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله واستهان وسكن إلى نهيه ونسي إطلاعه على سره»⁽²⁾.

وقال رجل للإمام الرضا (عليه السلام): «أوصني، قال: احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الشيطان من قيادك فتذل»⁽³⁾.

ص: 258

1- وقعة صفين: ص 109.

2- مصباح الشريعة: ص 79.

3- إرشاد القلوب: ص 103.

وللغرة فيه ملاحظين(1)

الاغترار الفكري والعاطفي

مسألة: الاغترار بالشیطان قد يكون فكرياً أو عاطفياً أو عملياً، والأقسام الثلاثة تتراوح بين الحرمة والكراهة.

والظاهر من إطلاق(2) كلامها (صلوات الله عليها) أن القوم كانوا للاغترار بالشیطان في كل الأقسام الثلاثة ملاحظين، كما أن التاريخ يشهد بذلك أيضاً.

والاغترار الفكري من مصاديقه: تبرير الانحراف والتمسك بالتشكيك حجة على عدم الدفاع عن الحق وعلى التعاون مع أئمة الكفر ودعاة الضلال وحكام الجور.

والاغترار العاطفي من مصاديقه: الميل والركون إلى الأعداء، وقد قال تعالى: [لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين](3).

وقال عزوجل: «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً»(4).

ص: 259

1- وفي بعض النسخ: (وللعزة ملاحظين).

2- حيث إن المفرد المحلى بأن يفيد الشمول، كما في قوله تعالى: «وأحل الله البيع» [سورة البقرة: 275] و(الغرة) كذلك.

3- سورة آل عمران: 28.

4- سورة النساء: 139.

.....
وقال سبحانه: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله أولياء ثم لا تنصرون»(1).

أما الاغترار العملي: فواضح. ومن البين أن ذلك يسبقه عادة النوعان الآخران، وذلك مما قد يتجه الإنسان نحوه للتخلص من عذاب الوجدان، ووخز الضمير، وللحفاظ على ماء وجهه وكرامته أمام الآخرين، ولكن مع كل ذلك «بل الإنسان على نفسه بصيرة* ولو ألقى معاذيره»(2). وقد قال سبحانه: «إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»(3)، والمراد بالغرور الشيطان، إذ يكثر منه غر الإنسان وغشه وخداعه.

وقد خطب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء حينما رأى صفوف الأعداء كالسيل فقال: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور... فنعم الرب ربنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ثم أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ولقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين»(4).

ص: 260

-
- 1- سورة هود: 113.
 - 2- سورة القيامة: 14 - 15.
 - 3- سورة لقمان: 33، فاطر: 5.
 - 4- المناقب: ج4 ص100 فصل في مقتله (عليه السلام).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الناس أحذروكم الدنيا والاعتثار بها»(1).

وقال (عليه السلام): «أكبر الحمق لاغترار»(2).

وقال (عليه السلام): «الدنيا حلم والاعتثار بها ندم»(3).

وقال (عليه السلام): «الغفلة تكسب الاغترار وتدني من البوار»(4).

وقال (عليه السلام): «خذ بالثقة في العمل وإياك والاعتثار بالأمل»(5).

التراجع عن الدين

مسألة: يحرم التراجع عن الدين وأن يتقلب المسلمون على أعقابهم.

فإنه أشد حرمة من عدم الدخول في الدين، لأنه ارتداد، والارتداد أشد من الكفر في بعض الأحكام، كما ذكر في موضعه، ولما فيه من إضعاف جبهة المؤمنين، وإيجاد التشكيك في صفوفهم، والبلبلة في أوساطهم، وذلك كان من مخططات المشركين المنافقين زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) في المعارك وغيرها.

قال سبحانه: «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون»(6).

ص: 261

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 150.

2- غرر الحكم: ص 52 ح 374.

3- غرر الحكم: ص 135 ح 2348.

4- غرر الحكم: ص 266 ح 5759.

5- التحصين لابن فهد: ص 16.

6- سورة آل عمران: 72.

وقال تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(1).

وهذا إخبار من الله عزوجل عن ردتهم بعد نبيه (صلى الله عليه وآله).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته يوم الغدير بعد ما قرأ هذه الآية المباركة(2): «معاشر الناس انه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، معاشر الناس إن الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس انهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدرك الأسفل من النار وليأس مشوى المتكبرين...»(3).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن النبي لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثاً سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري»(4). وعنه (عليه السلام): «إن الذين ارتدوا على أدبارهم عن الإيمان بتركهم ولاية علي أمير المؤمنين»(5).

وقد ورد في أخبار غيبة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن «له غيبة يرتد فيها أقوام»(6).

وفي الدعاء: «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد»(7).

ص: 262

1- سورة آل عمران: 144.

2- سورة آل عمران: 144.

3- الاحتجاج: ص 62 احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلهم.

4- الاختصاص: ص 6.

5- تفسير القمي: ج 2 ص 308 سورة محمد.

6- كمال الدين: ص 317.

7- البلد الأمين: ص 109 من أدعية الإمام الكاظم (عليه السلام).

قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه ملاحظين) المراد بالغرة: الاغترار والانخداع، يعني: انهم اغتروا بالشیطان، ولا حظوا أمره واستمعوا إلى صوته وهتافه، ولهذا رجعوا على أدبارهم القهقري.

ولا يخفى اللطف في تعبيرها (عليها السلام) ب (في) بدل (الباء) (1) نظرا لأفادتها الظرفية، وهو أوقع من باء السببية في المقام، إذ يتضمن معنى تصويريا يكون المظروف فيه (الغرة) والظرف (دائرة الشيطان).

هل الأصحاب كالنجوم؟

مسألة: هذه الفقرات من كلماتها (عليها السلام) وما سبقها وسيلحقها تكشف النقاب عن عدم صحة التمسك بعموم ما ذكر في كتب العامة من أمثال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

فإذا كان أصحابه (صلى الله عليه وآله) كما ذكرت (عليها السلام): (فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا.. فوسمتم غير إبلکم.. ألا في الفتنة سقطوا.. وكتاب الله بين أظهرکم.. وقد خلفتموه وراء ظهورکم.. وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي.. والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون... وسرعان ما أحدثتم.. حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.. فأنى حزتم بعد البيان.. وأشركتم بعد الإيمان.. الخ).

فكيف يمكن أن يكونوا كالنجوم وكيف يجوز أن يقال: (بأيهم اقتديتم

ص: 263

1- أي قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه) ولم تقل (وللغرة به).

.....
اهديتم؟ وكيف يكون هنالك (عشرة مبشرة بالجنة)؟

وما كلامها (عليها السلام) إلا إيضاح وتفصيل، لقوله تعالى: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»⁽¹⁾.

بل إن كلماتها (عليها السلام) هاهنا تكشف عن أن كثيراً من المهاجرين والأنصار في المدينة انصرفوا عن جادة الصواب ولذا كان خطابها وعتابها شاملاً- للكثير من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله). هذا وفي الروايات الصحيحة: (أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهديتم)⁽²⁾.

وفي تفسير العياشي عن الحسين بن المنذر قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» القتل أم الموت، قال: يعني أصحابه فعلوا ما فعلوا»⁽³⁾.

وفي تأويل الآيات عن علي بن إبراهيم قال: «إن المخاطبة لقوله عز وجل «من یرتد منكم عن دينه»⁽⁴⁾ لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين ارتدوا بعد وفاته وغصبوا آل محمد حقوقهم»⁽⁵⁾.

ص: 264

1- سورة آل عمران: 144.

2- غوالي اللئالي: ج 4 ص 86 ح 100.

3- تفسير العياشي: ج 1 ص 200 سورة آل عمران.

4- سورة المائدة: 54.

5- تأويل الآيات: ص 155 سورة المائدة: 54.

وقور عند الهزاهز

مسألة: يحرم على الإنسان أن يكون (ألعوبة) بيد الشيطان و(أداة طيعة) بيده، أو بيد سائر قوى الشر والضلال، بحيث يجده (خفيفاً) عند الاستشارة (غضوباً) عند التهيج. بل على الإنسان أن يكون وقوراً عند الهزاهز، ملازماً للحق، بحيث لا يميل إلى هذا الجانب وذاك، فان البعض (تستفزه) الأحداث فينفجر ضد الحق أو يتخذ قرارات مرتجلة.

وعلى الإنسان أيضاً أن لا يكون مستسلماً للعواطف السيئة أو مهبالاً لها، كالغضب والشهوة والجبن والخوف والشر وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أن يكون ثقيلاً في الحق، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) لولده: «تزول الجبال ولا تزول» (1).

وقال (عليه السلام): «كن في الشدائد صبوراً وفي الزلازل وقوراً» (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة» (3).

ص: 265

1- نهج البلاغة: الخطبة 11.

2- غرر الحكم: ص 282 ح 6290.

3- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 592 المجلس 86 ح 17.

.....

وعنه (عليه السلام) قال: «صفة المؤمن: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في استقامة، واغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور..»
الحديث(1).

ولا يكون كما قال الشاعر:

كريشة في مهب الريح طائشة *** لا تستقر على حال من القلق

قولها (عليها السلام): (ثماستنهضكم) يعني: أن الشيطان أولاً هتف بكم فلما رآكم قد استجبتم له طلب نهوضكم بالأمر، فإن كل مبطل أو محق يدعو الناس أولاً بالقول، فإذا رأى فيهم الاستجابة النفسية وما أشبه وعلى صعيد الكلمات والشعارات أيضاً، دعاه ذلك إلى دعوتهم للعمل ووضع المخطط العملي لهم.

(فوجدكم خفافاً) أي في الحركة، سراعاً فيها، مبادرين إلى ما دعاكم إليه ولستم بثقالٍ تلزمون الحق، كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى فرعون « فاستخف قومه فأطاعوه»(2).

ص: 266

1- الخصال: ص 571 خمسون خصلة من صفات المؤمن ج 2.

2- سورة الزخرف: 54.

الأصل: النهضة أم التحفظ؟

مسألة: هل الأصل (النهضة) و(التحرك)؟

أم الأصل (الاحتياط) و(التحفظ)؟

أم الأصل (إحقاق الحق)؟

الظاهر أنه ليست النهضة أصلاً ولا الثورة ولا الحركة، إذ قد يستنهض الشيطان الناس للثورة على وضع قائم، كما قالت (صلوات الله عليها): (ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً) وكما في الثورات الشيوعية والانقلابات العسكرية، ثم إنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الحسن والحسين إمامان قاما وإن قعدا»⁽¹⁾.

وليس الأصل السكون والتحفظ أيضاً، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض»⁽²⁾. وفي الحديث: «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

و: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام ظالم»⁽³⁾.

وفي بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر»⁽⁴⁾..

ص: 267

1- علل الشرائع: ص 211، الإرشاد: ج 2 ص 30، الفصول المختارة: ص 303، المسائل الجارودية: ص 35، النكت في مقدمات الأصول: ص 48، متشابه القرآن: ج 2 ص 46، كفاية الأثر: ص 36.

2- سورة التوبة: 38.

3- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 200.

4- غوالي اللئالي: ج 1 ص 432 ح 131.

بل (إحقاق الحق) هو الأصل، فقد تكون النهضة والثورة طريقاً إليه، وقد يكون السكون والتحفظ كذلك، قال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»(1).

وقد يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر أسلوب المقاومة السلبية: من عدم التدريس، الجلوس في الدار، وعدم الذهاب للعمل، وسائر ما يسمى اليوم بالعصيان المدني.

وكان أمير المؤمنين (عليه صلوات الله وسلامه) هو أول من استخدم أسلوب المقاومة السلبية ضد الحكومة الجائرة، وكانت السيدة الزهراء (عليها السلام) هي أول من استخدمت ذلك أسلوباً كذلك. ومن هذا الباب نرى أن الإمام الحسن (عليه السلام) صالح معاوية والإمام الحسين (عليه السلام) حارب يزيد والتفصيل في محله.

ومثل ما ذكرناه ما جاء في السكوت وما أشبهه، فقد سئل (عليه السلام) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال (عليه السلام): «لكل واحد منها آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل وكيف ذلك يا بن رسول الله، قال لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»(2).

ص: 268

1- نهج البلاغة: قصار الحكم 1، وغرر الحكم: ص 464 ح 10675 الفصل التاسع في الفتنة.

2- الاحتجاج: ص 315.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السكوت عند الضرورة بدعة»(1).

وقال (عليه السلام): «لا خير فياالسكوت عن الحق كما أنه لا خير في القول بالجهل»(2).

وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق»(3).

وقال (عليه السلام): «خير الأمور ما أسفر عن الحق»(4).

وقال (عليه السلام): «الحق أحق أن يتبع»(5).

وقال (عليه السلام): «الزموا الحق تلزمكم النجاة»(6).

وقال (عليه السلام): «من نصر الحق أفلح» وفي رواية (غنم)(7).

وقال (عليه السلام): «قولوا الحق تغنموا، واسكتوا عن الباطل تسلموا»(8).

ص: 269

1- غوالي اللثالي: ص 293 ح 175.

2- غرر الحكم: ص 70 ح 991.

3- غرر الحكم: ص 59 ح 632.

4- غرر الحكم: ص 68 ح 925.

5- غرر الحكم: ص 69 ح 959.

6- غرر الحكم: ص 69 ح 966.

7- غرر الحكم: ص 69 ح 975 و976.

8- غرر الحكم: ص 70 ح 986.

واحمشكم (1) فألفاكم غضابا (2)

من أسلحة الشيطان

مسألة: يلزم التعرف على (أسلحة الشيطان)، فإن التعرف على أسلحة العدو من أهم عوامل المقدرة على التصدي لها ومواجهتها، ومن أهمها القوة الغضبية والعصبية الجاهلية والقومية والعائلية وغيرها.

كما قالت (صلوات الله عليها): (وأحمشكم) فقد أثار فيهم الشيطان العصبية والحسد ضد وصي الرسول (صلى الله عليه وآله) الإمام علي (عليه السلام) فقد كان قتل منهم - بأمر من الله ورسوله - كثيراً وذلك إبان مواجهتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المعارك والغزوات؟

فقالوا: كيف تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد؟

وكيف يتأمر عليهم من عرفوه ب (شدة تتمره في ذات الله)، ولو حكم لحملهم على الحق مره وحلوه.

فالعصبية العائلية كانت سبباً، والأضغان الشخصية كانت سبباً آخر، والحسد كان عاملاً ثالثاً كما قال تعالى: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» (3).

وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والأئمة أهل البيت (عليهم السلام) حيث

ص: 270

1- وفي بعض النسخ: (وأحمشكم).

2- وفي بعض النسخ: (عطافاً).

3- سورة النساء: 54.

.....
حسدھم الناس(1).

والخوف على المصالح الشخصية كان العامل الرابع.. إلى غير ذلك.

قولها (عليها السلام): (واحمشكم) أي: أغضبكم الشيطان، (فألفاكم غضابا): أي وجدكم تغضبون لغضبه.

ولا يخفى أن (حمش) و(حشم) كلاهما ورد بمعنى: أَعْضَبَ .

وفي بعض النسخ: (واحمشكم فألفاكم عطافا) من العطف بمعنى الميل، وهذا يصح على كل معنيي حمش(2): (أغضبكم فوجدكم مائلين إليه) أو (جمعكم فوجدكم منعطفين إلى ما جمعكم عليه).

وعلى إرادة معنى (الجمع) تكون هذه الفقرة مشيرة إلى معنى جديد زائد على (استنهضكم) كما كانت على ذلك المعنى مشيرة إلى معنى آخر.

الشيطان وسياسة الخطوة خطوة

مسألة: يتضمن كلامها (صلوات الله عليها) الإشارة إلى أسلوب ماكر يستخدمه إبليس وشياطينه، فإن من أقوى أسلحة الشيطان الرجيم في اصطیاد المؤمنین هو (التدرج) في استدراجهم، فهو يزين للإنسان النظرة، ثم الابتسامة، ثم الحديث، ثم اللقاء، ثم الزنا بالأجنبية، وهو يزين للإنسان السكوت عن الظالم، ثم فتح حوار معه، ثم زيارته، ثم الذوبان في بحر عطاءاته حتى النخاع..

ص: 271

1- راجع كمال الدين: ص 680، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 7 ص 220 وفيه: «أنها نزلت في علي (عليه السلام) وما خص به من علم».

2- حمشه: اغضبه وهيجه، وحمشه: جمعه.

وهكذا وهلم جرا.

فقد (اطلع الشيطان رأسه من مغرزه)، (هاتقا بكم)، (فأفاكم)، (ثم استنهضكم)، (واحمشكم)... وذلك من أسرار ما ورد من قوله (عليه السلام) (أشد الذنوب ما استهان به صاحبها)(1).

وفي الحديث أن: (السيئات بعضها آخذ بعنق بعض).

وفي الآية الشريفة: «سنستدر جهم»(2).

فيجب الحذر والاحتياط عند أول خطوة، وان كانت في حد ذاتها غير محرمة، فان (لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه)(3) و(أخوك دينك فاحفظ لدينك)(4).

وهذا الاسلوب يستخدمه الشيطان مع من له بعض القوة والحصانة، أما هتس الإيمان فانه يستجيب له بمجرد إشارة واحدة فقط، وقد كان البعض كذلك.

ولعل كلامها (عليها السلام) منصرف إلى القسم الأول، أما القسم الثاني فكانوا على وفاق مسبق معه، وكانوا يخططون للأمر قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) بل منذ إسلامهما الظاهري(5).

ص: 272

1- نهج البلاغة: قصار الحكم 348، 477.

2- سورة الأعراف: 182، وسورة القلم: 44.

3- غوالي اللثالي: ج 2 ص 83.

4- الأمالي للشيخ المفيد: ص 283 المجلس 33 ح 9.

5- إشارة إلى حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إجابة على سؤال: كيف أسلما ولم أسلما طوعاً أو كرهاً؟ فقال (عليه السلام): بل طمعاً، راجع الخرائج ص 483 وفيه: «قال (عليه السلام): ما أسلما طوعاً ولا كرهاً، وإنما أسلما طمعاً، فقد كانا يسمعان من أهل الكتاب منهم من يقول: هو نبي يملك المشرق والمغرب وتبقى نبوته إلى يوم القيامة، ومنهم من يقول: يملك الدنيا كلها ملكاً عظيماً وينقاد له أهل الأرض، فدخلا كلاهما في الإسلام طمعاً في أن يجعل محمد (صلى الله عليه وآله) كل واحد منهما والي ولاية، فلما أيسا من ذلك، دبرا مع جماعة قتل محمد (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة فكمنوا له وجاء جبرائيل وأخبر محمد (صلى الله عليه وآله) بذلك، فوقف على العقبة وقال: يا فلان، يا فلان، يا فلان، أخرجوا فاني لا أمر حتى أراكم كلكم قد خرجتم، وقد سمع ذلك حذيفة، ومثلها طلحة والزبير فهما بايعا علياً (عليه السلام) بعد قتل عثمان طمعاً في أن يجعلهما كليهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) والياً على ولاية، لا طوعاً ولا رغبة، ولا إكراهاً ولا اجباراً، فلما أيسا من ذلك من علي (عليه السلام) نكثا العهد وخرجا عليه وفعلا ما فعلا».

فوسمتم غير ابلکم، ووردتم (1) غير شربکم (2)

التصرف في ملك الغير

مسألة: يحرم - حرمة نفسية ومقدمية - : أن يسم الإنسان غير ابله وأن يرد غير مشربه، فإن التصرف في ملك الغير أو حقه لا يجوز إلا بإذنه، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض» (3).

وقال (عليه السلام): «لئلا يتوى حق امرئ مسلم» (4).

ص: 273

1- وفي بعض النسخ: (أوردتم).

2- وفي بعض النسخ: (مشربکم).

3- سورة النساء: 29.

4- غوالي اللئالي: ج 1 ص 315.

وجهان للقضية

قولها (عليها السلام): (فوسمتم غير ابلکم) الوسم عبارة عن: الكي ، ووضع علامة على الشيء يعرف بها أنه ملك لهذا الشخص أو لذلك، وهذا تشبيه لأخذهم الخلافة وغصبهم فدك بمن يستولي على ابل غيره فيجعلها لنفسه غصبا ونهباً، كمن يسم ابل الناس بسمة نفسه حتى يستولي عليه ويستملكه متذرعاً بالعلامة، وكمن يدخل ويرد على غير مشربه فإنه غاصب للمشرب.

ولكلامها (عليها السلام): هنا (عقدان) عقد سلب وعقد إيجاب: فما ليس لهم قد وسموه، وما هو لغيرهم لم يسمحوا له بوسمه والتصرف فيه.

وبعبارة أخرى: الخلافة ليست لكم بل هي لغيركم، والتصرف فيها كان لغيركم فاتخذتموه لأنفسكم.

قولها (عليها السلام): (ووردتم غير شربكم) وفي بعض النسخ (أوردتم) وفي بعضها (وأوردتموها شرباً ليس لكم) وفي بعضها (مشربكم)⁽¹⁾ والكل بمعنى واحد تقريباً.

(الورد)⁽²⁾: عبارة عن الحضور على الماء والصيرورة إليه. كما قال سبحانه في قصة موسى (عليه السلام): «ولما ورد ماء مدين»⁽³⁾.

ص: 274

1- المشرب: موضع الشرب، ويطلق على نفس الماء أيضاً، كما هو الشأن في المصدر الميمي.

2- الورد: هو الاسم من ورد، والمصدر: الورد.

3- سورة القصص: 23.

.....
فإنهم أوردوا آبألهم على ماء غيرهم.

و(الشرب) بالكسر عبارة عن: الحظ من الماء، لأن الجماعة التي لها البئر أو النهر، يكون لكل واحد منهم حظ فيه، من ساعة أو ساعتين أو أكثر أو أقل، وهاتان الجملتان كنايةان عن أخذ القوم ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وفدك وغير ذلك كما وضحناه.

ثم إن الحرمة تترتب على كلا المعنيين: الحقيقي والمجازي الكنائي (1) كما لا يخفى.

وإن وسم إبل الغير محرم نفسي بما هو تصرف في ملك الغير، وطريقي باعتبار كونه مقدمة للاستيلاء والتملك وتثبيت ذلك.

وادعاء الخلافة أيضاً لغير وصيه (صلى الله عليه وآله) محرم نفسي ومقدمي، فإن نفس هذا الادعاء - من غير أهله - بما هو محرم نفسي، وبما هو طريق إلى فعلية الغصب للخلافة محرم مقدمي.

مصادرة الحقوق

مسائل: تحرم مصادرة حقوق الآخرين، وانتهاك حرمتهم، كما يحرم (تبرير) ذلك و(التعليل) له و(تغطيته) تحت عنوان (المصلحة العامة) أو ما أشبه ذلك، فإنه إغراء وتلبيس وخداع وتضليل كما هو شأن كل طاغ وجبار وجائر، ويحرم تبرير الآخرين متحلقين وغيرهم عمل الجائر أيضاً.

ص: 275

1- المعنى الحقيقي هو وسم الإبل وورود مشرب الغير، والمجازي هو غصب الخلافة كما هو المقصود من كلامها (عليها السلام).

وقد علل القوم مصادرتهم الخلافة وغضبهم حق الإمام علي (عليه السلام) ب (لأن فيه دعابة)(1)، ولأن كلمة العرب لا تجمع عليه لكثرة من قتل منهم إبان مواجهتهم للرسول (صلى الله عليه وآله)، ولأنه حدث السن، وكما قالت (عليها السلام): (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة) وشبه ذلك.

وحقيقة الأمر غير ذلك كما صرحت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ السبب الحقيقي كان (ظهر فيكم حسكة النفاق.. وهدر فنيق المبطلين.. واطلع الشيطان رأسه من مغرزه.. هاتفا بكم.. ثم استنهضكم.. واحمشكم..) (ف) والفاء للتفريع (وسمتم غير ابلكم..). وعلى ضوء كلامها (عليها السلام) نعرف السبب الحقيقي وراء مصادرة الحكومات الجائرة أملاك الناس وثرواتهم وتأميم بعضها للشركات الكبرى والمعادن والصناعات الأم وغيرها.

ثم إنه تشمل التكنية ب (وسمتم غير ابلكم ووردتم غير مشربكم) : سرقة (الاعتبار)، كما كان صفة القوم يومذاك، وهو مشمول لاطلاق كلامها (عليها السلام)، وكما يصنعه (سراق الثورة) والذين يتخذون سياسة ركوب الموج وأشباههم.

وكان من ذلك سرقة ألقاب أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) (2).

ص: 276

1- راجع شرح نهج البلاغة: ج 1 ص 25 وص 185، وج 12 ص 142، وراجع المناقب: ج 3 ص 213 فصل في حساده (عليه السلام)، هذا وقد ورد أن أصل الدعابة من صفات المؤمن قال (عليه السلام): «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة» معاني الأخبار: ص 164 باب معنى الدعابة، ومشكاة الأنوار: ص 190 ومستطرفات السرائر: ص 579.

2- من ألقابه (الصديق) و(الفاروق) و(سيف الله) و(أمير المؤمنين).. الخ.

ومنه سرقة الفضائل والأمجاد والبطولات والتاريخ المشرق أيضاً(1).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خذوا بحجة علي (عليه السلام) فإنه الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أبغضه الله، ومن تخلف عنه محقه الله»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين... يا علي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر»(3).

وورد في زيارته (عليه السلام): «السلام عليك أيها الصديق الأكبر، السلام عليك أيها الفاروق الأعظم»(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي سيف الله على أعدائه»(5). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا سيف الله على أعدائه ورحمته على أوليائه»(6).

ص: 277

1- كوضع حديث الخوخة في قبال حديث سد الأبواب راجع (الغدير) للعلامة الأميني (رحمة الله).

2- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص 673 المجلس 96 ح 8.

3- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 6 ح 13.

4- المزار: ص 78.

5- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.

6- المناقب: ج 3 ص 113.

جواز الكناية

مسألة: الكناية في الخطاب جائزة، بل هي مما قد يحسن ويرجح، وليست الكناية كذباً كما سبقت الإشارة إليه، والكتاب والسنة مليئان بذلك، ومنه كلامها (عليها السلام) هاهنا: (فوسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم).

فإن الميزان في الكذب ليس حجم الكلام ولا هيكله وشكله، ولذا قالوا خرج عن الكذب التورية والمبالغة والإغراق والكناية(1).

والفرق بين المبالغة والإغراق: إن المبالغة فوق الواقع بقليل، أما الإغراق فهو فوق الواقع بكثير، فقد يقول: استقبله من أهل المدينة مائة، وقد يقول: استقبله كل أهل المدينة، بينما في الأول لم يستقبله مثلاً إلا ثمانون وفي الثاني لم يستقبله إلا نصف أهل المدينة.

وهكذا خرج عن الكذب مثل الاستهزاء وما أشبهه، لان الاستهزاء ليس من مقولة الخبر، بل من مقولة الإنشاء، والإنشاء لا مسرح للكذب والصدق فيه.

نعم قد يكذب الإنشاء باعتبار كونه طريقاً إلى الخبر، مثلاً يقول: تفضل إلى دارنا، فانه إنشاء، لكنه يجاب بأنك تكذب، ويراد تكذيب قصده الواقعي، أي ما أراده أن يفهمنا بالكلام، يعني انك لا- تقصد (الدعوة) عن جدّ، وانما تقصده خداعاً أو هزلاً- كما ذكرناه في حاشية المنطق(2).

ص: 278

1- للتفصيل راجع موسوعة الفقه، كتاب المكاسب المحرمة: ج2 ص33.

2- مخطوط... وللتفصيل راجع أيضاً كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

حرمة نقض العهد

مسألة: يحرم نقض العهد، وأشد منه حرمة بل هو من أشد الكبائر: نقض عهد الله ورسوله، ومثل نقض عهد بيعة الغدير يعد من الكبائر الموبقة.

وذلك بدلالة العقل والنقل.

وهذا بخلاف الوعد، فإن المشهور بين الفقهاء عدم حرمة خلفه، وإن كان الوفاء بالوعد من الصفات الحسنة.

والفرق بين العهد والوعد، ان العهد ما يقع في العهدة، وأما الوعد فهو ما يتلفظ به مع القصد من دون أن يكون كذلك، فالعهد أكد من الوعد، ومن هذه الجهة يقال: (العهد بين الدول)، و(المعاهدات الدولية)، ولا يقال الوعود بين الدول، إلى غير ذلك.

ومن تلك الفروق: أن العهد عقد وليس الوعد عقداً.

وإذا علمنا بأن العهد واجب الوفاء فما بالك بعهد يعهده رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) إلى الأمة؟ - وهي خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - خاصة مع تأكيدات متكررة بأنه عهد عهده الله إليه ليلبغه الأمة؟! كما في القرآن الحكيم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (1).

ص: 279

وقال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم»(1).

وقال سبحانه: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل»(2).

وقال تعالى: «وبعهد الله أوفوا»(3).

وقال سبحانه: «وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً»(4).

وقال تعالى: «وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم»(5). وقد ورد في العديد من الروايات تفسير العهد بولاية أمير المؤمنين وإمامته وخلافته.

ففي تفسير القمي في الآية المباركة: «الذين ينقضون عهد الله»(6) قال: «نزلت هذه الآية في آل محمد وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذر من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده (عليهم السلام)، وهو قوله: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الذي أخذ الله عليهم في الذر، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم»(7).

ص: 280

1- سورة النحل: 91.

2- سورة البقرة: 27.

3- سورة الأنعام: 152.

4- سورة الإسراء: 34.

5- سورة البقرة: 40.

6- سورة الرعد: 25.

7- تفسير القمي: ج 1 ص 363 سورة الرعد.

.....
وروي أيضاً في تفسير قوله تعالى: «واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها»⁽¹⁾ عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنها
نزلت في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)⁽²⁾.

إلى غيرها⁽³⁾.

والكلم رحيب

قولها (عليها السلام): (والكلم رحيب) أي الجرح، فإن الكلم عبارة عن الجرح، والرحيب بمعنى وسيع، لأن موت الإنسان يحدث جرحاً عميقاً واسعاً في نفوس أقربائه وأودائه ثم يتجمع الجرح حتى يندمل، وفي هذا إلفات إلى أنه لم يمض على وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) سوى ساعات حتى اجتمعوا في السقيفة، وكلامها (عليها السلام) هذا يدل على شدة حرمة ما فعله القوم.

ص: 281

-
- 1- سورة النحل: 91.
 - 2- تفسير القمي: ج 1 ص 389.
 - 3- راجع تفسير القمي: ج 2 ص 301 سورة محمد.

وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)

مسألة: يمكن التمسك بكلامها (عليها السلام) هنا - وبدلالة الاقتضاء(1) - دليلا آخر على وجوب إبقاء مصاب الرسول (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) حيا في القلوب، طريا على الألسن، ظاهرا على الجوارح كشعيرة من شعائر الله.

فإن عدم اندمال الجرح حقيقة - أو تنزيلا عبر ما يقوم به مقامه(2) - هو من أكبر أسباب إدانتهم، ومن أكبر عوامل فضح الظلمة والجائرين، ومن مقومات ردع من تسول له نفسه اتخاذ منهجهم والسير على دربهم، وهو (إنذار) و(إرشاد) و(تنبيه) كما لا يخفى.

وقد كان من علل بكائها (عليها السلام) تذكير الناس بمصاب الرسول (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) وإبقائه حيا طريا، إحياءً لذكراه (صلى الله عليه و آله) ولكلماته ومنهجه ومدرسته، إضافة إلى فضحهم كما كان ذلك من علل بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) عشرين أو أربعين سنة(3).

ص: 282

1- وهي ما يتوقف صحة أو صدق الكلام أو بعضه عليه، فإن صحة اعتراضها (عليها السلام) عليهم ب (والجرح لما يندمل) موقوف على كون عدم اندمال الجرح سببا لمزيد القبح في فعلهم، وسببا لصحة الاعتراض والفضح، وإذا كان ذلك وكان ما يقوم مكانه كذلك، اشتركا في الحكم.

2- كالتذكير، والتصدير، والتمثيل وغير ذلك.

3- الأماي للشيخ الصدوق: ص 140.

وكلامها (عليها السلام) في خطبتها في المسجد وغيرها كانت ولا تزال من أهم العلل لتحول تلك المصائب والرزايا الكبرى إلى صور حية متجسدة أمام النواظر، متجذرة في النفوس، حارة في القلوب إلى يوم القيامة، فهي تذكرنا دائماً بالمؤامرة على منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) والصراط المستقيم، وتدعونا للعودة إلى ما أكد (صلى الله عليه وآله) عليه مكرراً بقوله: (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (1). فإن موت الرسول (صلى الله عليه وآله) خلف في القلوب جرحاً، ولم يطل الزمان حتى يندمل الجرح وينسى الناس وفاته، أي كيف فعلتم هذه الفعلة مع أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يدفن بعد، فقد اجتمعوا في السقيفة قبل دفن الرسول (صلى الله عليه وآله) وفعلوا ما فعلوا.

وذكر بعض العلماء أن حكمة إبقاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) جسد الرسول (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أيام يصلى عليه، بالإضافة إلى إرادة صلاة الناس عليه، أنه أراد أن لا يترك لهم عذراً يدفعهم إلى نبش القبر بحجة الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا عذراً يدفعهم حتى إلى مجرد طرح هذا الأمر في المجالس وتردده على الألسنة، فإنه هتك حرمة بنفس هذا المقدار، كما حدث بالنسبة للسيدة الزهراء (عليها السلام) حيث أرادوا نبش القبر والصلاة عليها، ولكنها (عليها السلام) كانت قد أوصت بتجهيزها ليلاً حتى تثبت مظلوميتها للعالمين ولكي تسلب الشرعية ممن آذوها وغضبوا حقها وحق بعلمها (صلوات الله عليهما).

ص: 283

التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يحرم عدم التفاعل مع ما ورد على الزهراء (عليها السلام) من المصائب ، وعدم الاهتمام بما ورد عليها (صلوات الله عليها).

وقد ورد في مستفيض الأحاديث بل متواترها - ولو تواترا معنوياً أو إجمالياً - (شيئتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)(1).

وقد صح عن الفريقين غضبها (صلوات الله عليها) على الشيخين (2) وإيذائهما لها (عليها السلام) (3)، كما ثبت عند الفريقين قوله (صلى الله عليه وآله): «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها» (4)..

ص: 284

1- راجع الخصال: ص 635، وغرر الحكم: ص 117 ح 2050، وجامع الأخبار: ص 179، وفضائل الأشهر الثلاثة: ص 105 فضائل شهر رمضان ح 95، وصفات الشيعة: ص 3 ح 5، وارشاد القلوب: ص 144 وص 257 وص 423، وبشارة المصطفى: ص 18 وص 162 وص 196.

2- بحار الأنوار: ج 28 ص 322 ب 4 ح 52. وانظر أيضاً: صحيح البخاري: ج 3 ص 1126 ح 2926، وج 4 ص 1594 ح 3998، وج 6 ص 2474 ح 6346، وصحيح مسلم: ج 4 ص 29-30 ح 1759، وسنن الترمذي: ج 4 ص 135، ح 1609، والسنن الكبرى للبيهقي: ج 6 ص 300، ومسند أحمد: ج 1 ص 18 ح 56.

3- انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج 1 ص 20.

4- بحار الأنوار: ج 27 ص 62 ب 1 ح 16. وانظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج 3 ص 167 ح 4730، وميزان الاعتدال: ج 1 ص 535 ح 2002، وأسد الغابة: ج 7 ص 224، والإصابة: ج 4 ص 378، وتهذيب التهذيب: ج 12 ص 469 ح 2860، ومجمع الزوائد: ج 9 ص 203، وذخائر العقبى: ص 39، وتذكرة الخواص: ص 310، وكفاية الطالب للكنجي: ص 364، والشرف المؤبد: ص 125.

وقوله (صلى الله عليه وآله): «من أذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» (1).

هذا وقد قال سبحانه: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً» (2).

وكيف لا يتفاعل المؤمن مع منبغضها يغضب الرب الجليل؟ (3).

ثم إن المراد ب(الجرح لما يندمل) قد يكون: الأعم من جرح موت الرسول (صلى الله عليه وآله) ومما ورد عليها من الجراح، وفي قصة حرق الدار وعصرها بين الحائط والباب وكسر الضلع وإسقاط الجنين وغير ذلك مما هو مذكور في التواريخ.

وقد يكون المراد من (والجرح لما يندمل) جرحها فقط.

وكلا الأمرين جائز فإن الجرح مادي ومعنوي، والجامع أنه جرح، ولذا قال الشاعر: جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

ولعل الآية المباركة أيضاً يراد بها الاثنان، قال سبحانه: «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله» (4). ومن المعلوم أنه أصابتهم في الحرب قروح نفسية وقروح بدنية، لأن الحرب لها أهوال ومخاوف، كما أن لها جروحا ومعاطب. ولا يخفى أن كل واحد من القرح والجرح يطلق على الآخر مع انفراده، أما مع اجتماعه فالجرح ما يجرح والقرح يراد به الدمامل ونحوه.

ص: 285

1- المناقب: ج3 ص332، فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج16 ص273.

2- سورة الأحزاب: 57.

3- إذ إن تلك الجرائم الكبرى بحق ابنة الرسول ووصيه أوجبت سخطها وغضبها الشديد وغضب الله سبحانه وتعالى، فكيف لا يغضب المؤمن لغضب الرب.

4- سورة آل عمران: 140.

عدم دفن الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: من المحرمات ترك الرسول (صلى الله عليه وآله) دون تكفين وغسل ودفن والاشتغال بما اشتغلوا، ووجه الحرمة فيه إضافة إلى كونه مخالفه لواجب مسلم (1) أنه (2) إهانة بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) كما هو إهانة بالنسبة إلى كل ميت له شيء من الاحترام، والإهانة محرمة مطلقاً خصوصاً بالنسبة إلى عظماء الدين فكيف بالرسول (صلى الله عليه وآله) الذي هو اعظم من كل عظيم، مضافاً إلى أن القضية كانت مؤامرة ضد وصي الرسول (صلى الله عليه وآله) وخليفته المنصوص عليه. ووجه احتجاجها (عليها السلام) ب (الرسول لما يقبر) هو: الجوانب النفسية والطريقية وما أشبه مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، لذلك الترك.

ويدل عليه أيضاً قولها (عليها السلام) بعد قليل: (ألا في الفتنة سقطوا) فان (السقوط) امتد بامتداد الزمن وفي شتى الجهات.

توضيح ذلك: إن تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن محرم نفسي كما كان حراماً من جهة طريقيته إلى الانشغال بغصب الخلافة، ومن جهة طريقيته أيضاً باعتبار كونه فتح باب لأمثال ذلك، - متعللين بعذر أو بآخر - كما جرى بالنسبة إلى سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حيث تركه القوم هو وأصحابه دون غسل

ص: 286

- 1- واجب المسلم هو دفن المسلم وكفنه وتغسيله وهو واجب شبه فوري ولا يجوز تأخيره أكثر من المقدار المتعارف.
- 2- أي تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن والانشغال بالدنيا.

.....
وكفن ودفن، وكما فعلوا مع زيد بن علي (عليه السلام) بعد صلبه، إلى غير ذلك، وهذه السنة السيئة قد ستوها من ذلك اليوم فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

إشارات

المراد من (والعهد قريب) أي عهدكم بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وفي تعيينه خليفة من بعده، وذلك يوم الغدير وغيرها.

ويحتمل إرادة العهد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا أيضاً بذلك اللحاظ، بقرينة ما سبقه من الجمل (1).

فإنهم في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يكن بمقدورهم المخالفة العلنية بهذا النحو وبهذه الدرجة وإن خالفوا بانحاء آخر، لكنهم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) بادروا إلى الانقلاب على الأعقاب بسرعة قياسية.

(وقريب) إشارة إلى الامتداد الزمني، وهو الكم المتصل غير القار.

(ورحيب) إشارة إلى السعة، هو كم متصل قار.

(ولما يندمل) إشارة إلى العمق، وهو من لوازم السعة أيضاً.

(ولما يقبر) إشارة إلى طرف آخر للإضافة، فان نقضهم لبيعة الغدير له إضافتان: أولهما: إلى العهد والميثاق نفسه. وثانيهما: إلى صاحبه ومن عقده (2).

ومن الواضح أن الجريمة تكون أقبح وأسوأ بلحاظ الإسناد، ومتعاكسة في الجهة، ومساوية في القوة مع درجة من أجرم بحقه.

ص: 287

1- فوسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم.

2- وهو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

.....
وله إضافة ثالثة أيضاً: إلى (من عقد له) (1). ورابعة: إلى (الامة).

وخامسة: إلى (الأجيال القادمة)، فان نقضهم لبيعة الغدير كان جريمة بحق الأمة وبحق كل الأجيال اللاحقة، إذ شرعوا بذلك طريق الفساد والاستبداد والضللال والإضلال إلى يومنا هذا. وهناك إضافة سادسة أيضاً: إلى (أنفسهم) إذ بذلك النقض، خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

قولها (عليها السلام): (هذا) أي الانقلاب على الأعقاب والاعتصاب للحق البديهي ووسم غير ابلهم وورود غير مشربهم، (و) الحال أن (العهد) برسول الله (صلى الله عليه وآله) (قريب) إلى درجة كبيرة بل مذهلة، فان (الرسول لما يقبر) وهذا يتضمن مزيد إدانة لهم عقليا وعقلانيا وإنسانيا وعاطفيا...

ثم إنه يمكن أن يعد ذلك دفعا لدخل مقدر وإجابة على سؤال مفترض، إذ قد يتعلل بمخالفة القرار الصادر عن القيادة ب (النسيان) أوب (بتغير الظروف)، وطرو مستجدات غيرت المعادلة، لكن (هذا والعهد قريب، والرسول لما يقبر) فأبي عذر بعدها لكم؟ مع قطع النظر عن الجواب باستحالة كون هذا العهد مما يقبل التغير على كل الظروف.

وأما التعلل بخوف الفتنة فهو ما سشير إليه (عليها السلام) في ما سيأتي.

ثم إن نقض العهد والحال أنه قريب، يكشف عن مزيد من خبث الباطن وعن مدى انقيادهم للشيطان الرجيم، كما أن في الجانب الآخر المسارعة إلى مغفرة من الرب تكشف عن سمو النفس وقوة العبودية له جل وعلا.

ص: 288

1- وهو الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

ابتداراً (1) زعمتم خوف الفتنة

المسارعة للشر

مسألة: ربما يستفاد من قولها (عليها السلام): (ابتداراً) حرمة المبادرة للغضب ولمطلق المعصية، فقد يقال: بأن (الاعتصاب) محرم و(المبادرة إليه) محرم آخر.

وذلك بلحاظ أن (المبادرة) إلى الشر مذمومة عقلاً، كما ان فعله مذموم، كما أن (المسارعة) إلى الخير حسنة وممدوحة كفعله، ولذلك قال تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» (2) وقال سبحانه: «فاستبقوا الخيرات» (3).

بضميمة (4) مثل: (العجلة من الشيطان) و«إياك والعجلة بالأمر قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها» (5).

ولأنها أكثر زماناً (6) وأوسع تأثيراً وأكبر آثاراً، ولما فيها (من سن سنة سيئة) (7)، فتأمل.

ص: 289

1- وفي بعض النسخ: (بداراً).

2- سورة آل عمران: 133.

3- سورة البقرة: 148، وسورة المائدة: 48.

4- ربما يكون التمهيد بذكر مذمومية المبادرة عقلاً، لدفع دخل كون مثل (العجلة من الشيطان) ملحوظة طريقتياً محضاً.

5- تحف العقول: ص 147، ودعائم الإسلام: ج 1 ص 368.

6- إذ انه يبتدأ من اللحظة الأولى، بينما غير الابتدار يبتدأ من لحظات لاحقة.

7- وهي سرعة المبادرة للشر والمعصية، وتجد الحديث في مكارم الأخلاق: ص 454.

وقد يكون السرف في الردع عنها عقلا، أن في التأخير - إضافة إلى ما سبق - احتمال ارتداعه، وان العجلة فيها تسد الطريق - عادة - على التراجع.

ثم إن المبادرة للشر تكشف عن شدة التجري على الله سبحانه، والاستخفاف بنواهيه، وشدة الحرص على الدنيا، وخبث السريرة، وسوء الباطن، وقد قال الله سبحانه في حكم الاعتصاب لأموال اليتامى: «وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف»(1).

أما المبادرة للخير فحسن وقد يجب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأمر المؤمنين (عليه السلام): «يا علي، بادر بأربع قبل أربع، بشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»(2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «دوام الطاعات وفعل الخيرات والمبادرة إلى المكرمات من كمال الإيمان وأفضل الإحسان»(3).

وقال (عليه السلام): «المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام»(4).

وقال (عليه السلام): «للكرام فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف واسداد الصنائع»(5).

ص: 290

1- سورة النساء: 6.

2- الخصال: ص 239 ح 86.

3- غرر الحكم: ص 184 ح 3478.

4- غرر الحكم: ص 245 ح 5005.

5- غرر الحكم: ص 383 ح 8719.

وقال (عليه السلام): «بادر الفرصة قبل أن تكون غصة»(1).

وفي وصية لقمان (عليه السلام): «يا بني بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك وقبل أن تسير الجبال سيراً»(2).

وقال (عليه السلام): «اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل»(3).

وفي الحديث: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهوات ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه..»(4).

وقال (عليه السلام): «بادر الخير ترشداً»(5).

وقال (عليه السلام): «طوبى لمن بادر صالح العمل قبل أن تنقطع أسبابه»(6).

وقال (عليه السلام): «بادر الطاعة تسعداً»(7).

وقال (عليه السلام): «بادر البر فان اعمال البر فرصة»(8).

وقال (عليه السلام) في الشعر المنسوب إليه:

تزود من الدنيا فإنك راحل***وبادر فإن الموت لا شك نازل

ص: 291

1- تحف العقول: ص 80.

2- الاختصاص: ص 340.

3- كنز الفوائد: ج 1 ص 349.

4- تحف العقول: ص 281.

5- غرر الحكم: ص 104 ح 1855.

6- غرر الحكم: ص 154 ح 2878.

7- غرر الحكم: ص 183 ح 3454.

8- غرر الحكم: ص 449 ح 10321.

ومن المبادرة المذمومة ما قاله (عليه السلام): «المبادرة إلى الانتقام من شيم اللئام»⁽¹⁾

قولها (عليها السلام): (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة)، الظاهر أن (ابتدارا) مفعول له ⁽²⁾ مقدم لزعمتم، أي زعمتم خوف الفتنة، وهذا الزعم كان لأجل الابتدار إلى أخذ الخلافة، وإلا لم تكن هنالك فتنة لأن الخليفة معين من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) ⁽³⁾.

ثم إنه بلحاظ وقوع الابتدار في موقع الذم الأكيد والتقريع الشديد، بل في موقع أشد أنواع الذم والتألم والاحتجاج والردع، في كلامها (عليها السلام) يستفاد ما ذكر من الحكم ⁽⁴⁾.

تبرير المعصية

مسألة: يحرم تبرير المعصية في الجملة، فان (التبرير) إضلال ومكر وخديعة.

وقد أشارت (عليها السلام) في قولها (زعمتم خوف الفتنة) إلى الأسلوب الذي يستخدمه المنحرفون والطغاة عادة لإخماد صوت المعارضة، ولإقناع البسطاء والسذج، ولتكريس الواقع المنحرف، وهو (أسلوب التبرير).

ص: 292

1- غرر الحكم: ص 346 ح 7953.

2- كما في قولك (ضربته تأديبا)، ف (زعمتم خوف الفتنة ابتدارا).

3- كما يحتمل أن يكون (ابتداراً) مفعول له للأفعال السابقة.

4- أي الحرمة التي ذكرت في أول المسألة.

.....
وكثيرا ما نرى قادة انقلاب عسكري يعللون انقلابهم بدكتاتورية الحكم السابق، مع انهم جاءوا بدكتاتورية اشد، ويخططون لظلم اكبر، أو يعللون بانهم جاءوا للدفاع عن حقوق المستضعفين وشبه ذلك ثم يدوسونهم تحت أرجلهم.

وكان مما علل به القوم غضب الخلافة من الإمام علي (عليه السلام) أنهم قالوا إذا لم نبادر الى جعل الخليفة، تقع فتنة بين المسلمين، رغم ان الذين اعتذروا بمثل هذا كانوا يعلمون بأنه عذر غير صحيح، فان الفتنة بين المسلمين صارت بسببهم، وإلا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عين الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده وأخذ البيعة له من المسلمين يوم غدير خم(1)، لكن «بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره»(2).

بل كان السبب هو حب الرئاسة والسلطة ... كما قال علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير»(3).

مثلث المعصية

مسألة: أشارت (صلوات الله عليها) في هذه الجملة القصيرة الى مثلث المعصية الذي وقعوا فيه، فإنهم لم يرتكبوا محرما واحدا بل كانت الجريمة مزدوجة، بل كان عملهم (مجمع المعاصي)، فقد (كذبوا) و(مكروا) و(خانوا).

ص: 293

1- للتفصيل راجع موسوعة (الغدیر) للعلامة الأميني (رحمة الله).

2- سورة القيامة: 14 - 15.

3- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

فب (ابتدأهم) إلى غضب الخلافة (خانوا) الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، و(خانوا) العهد والبيعة، و(خانوا) الإمامة والأمة.

وقد (كذبوا) في زعمهم إن ذلك كان (خوف الفتنة)، إذ كان السبب غير ذلك، بل هو حب الدنيا والرئاسة وما أشبه حيث حليت الدنيا في أعينهم.

وقد (مكروا) حيث حاولوا التغطية على واقع الجريمة باختلاق عذر أرادوا به إقناع الأمة وإغفال الناس «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» (1).

وبذلك كشفوا عن خبث باطنهم وسوء سريرتهم.

وحيث إنها (عليها السلام) في مقام أشد أنواع التقرير، ربما استفيد من ذلك - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - مضافاً إلى حرمة الكذب والمكر والخيانة، كونها من أشد المصاديق حرمة، فإن كل واحد منها تكون حرمة اعظم في الأمور العظيمة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فاني سمعت جبرئيل يقول إن المكر والخديعة في النار، ثم قال (صلى الله عليه وآله): ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا سوء أسوء من الكذب» (3).

وقال (عليه السلام): «الكذب في العاجلة عار، وفي الآجلة عذاب النار» (4).

ص: 294

1- سورة آل عمران: 54.

2- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 270 المجلس 46 ح 5.

3- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 321 المجلس 52 ح 8.

4- غرر الحكم: ص 220 ح 4399.

وقال (عليه السلام): «الكذب فساد كل شيء»⁽¹⁾. وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ثلاثة يرجعن على صاحبهن: النكث والبغي والمكر»⁽²⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «وإياك والمكر فإن الله قضى أن لا يحق المكر السيئ إلا بأهله»⁽³⁾.

وقال (عليه السلام): «المكر لؤم والخديعة شؤم»⁽⁴⁾.

وقال (عليه السلام): «المكر سجية اللئام»⁽⁵⁾.

وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الخيانة⁽⁶⁾ وقال (صلى الله عليه وآله): «من خان أمانة في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها ثم أدركه الموت، مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان»⁽⁷⁾.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق»⁽⁸⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب»⁽⁹⁾.

ص: 295

1- غرر الحكم: ص 220 ح 4406.

2- تفسير العياشي: ج 2 ص 121 سورة يونس.

3- تحف العقول: ص 35.

4- غرر الحكم: ص 291 ح 6478.

5- غرر الحكم: ص 291 ح 6481.

6- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 430 المجلس 66.

7- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 430 المجلس 66.

8- غرر الحكم: ص 460 ح 10519.

9- الاختصاص: ص 231.

السقوط في الفتن

مسألة: قولها (عليها السلام) يدل على أن القوم سقطوا في الفتنة، ويلزم الاعتقاد بذلك، وهذا اقتباس من الآية المباركة: «ومنهم من يقول انذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين»⁽¹⁾.

وقد ذكرنا فيما تقدم إن الدنيا لها اوجه: وجه دنيوي ملموس، ووجه أخروي ناري، ووجه أخروي نوري، ولا حاجة إلى تكرار ما سبق، وستأتي إشارة إليها ولكننا نضيف هنا:

إن التعبير ب«في الفتنة»، وفي للظرفية، بلحاظ إن الفتنة ليست أمرا مفردا وجزئيا واحدا عادة، بل هي ظرف محيط يطوق الإنسان فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغير ذلك، إذ هي منظومة متكاملة من الجزئيات والأقوال والأفراد والأحداث التي تحيط بالمرء من كل حذب وصوب، ف (يسقط) فيها الناس.

والتعبير ب (سقطوا) أيضا لنكتة دقيقة، فإن الفتنة هي مهوى سحيق، وبئر عميقة موحشة يسقط فيها الإنسان، وليس الأمر مجرد منظومة تحيط بإنسان من كل صوب.

وكذلك كانت (فتنة السقيفة) فلم تكن مفردة واحدة، بل كانت سلسلة

ص: 296

أحد أطرافها إنكار وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وتهديد من يقول بذلك (1).

والطرف الآخر: حرق باب ابنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) (2) وكسر ضلعها

ص: 297

1- قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما توفي كان أبو بكر في منزله بالسنع... فقال عمر بن الخطاب: ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله وليرجع فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، لأسمع رجلاً يقول مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ضربته بسيفي!» وراجع الطرائف: ص 451.

2- من أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع كتاب (الهجوم على بيت فاطمة) لمؤلفه عبدالزهراء مهدي، ولا بأس هنا بالإشارة السريعة إلى بعض ما ورد في هذا الكتاب من قصة حرق الدار أو كسر الضلع وإسقاط الجنين وذكر بعض روايتها من مصادر الشيعة والسنة، تمييزاً للفائدة: فمن مصادر الشيعة: 1. أبو الصلاح الحلبي (ت 447): راجع تقريب المعارف: ص 233. 2. أبو الفتح بن مخدوم العريشاهي الجرجاني (ت 976): انظر مفتاح الباب: ص 199 المطبوع مع الباب الحادي عشر. 3. أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي (ت 449): كنز الفوائد: ص 63-64. 4. أبو القاسم جعفر بن محمد قولويه (ت 367): كامل الزيارات: ص 332-334. وص 326-327. 5. أبو جعفر الطبري: بشارة المصطفى: ص 198. 6. أبو محمد طلحة بن عبد الله العوني (ق 4): مثالب النواصب: ص 420-422. 7. أبو مخنف لوط بن يحيى (ت 158): (ترجمة بحر الأنساب) ص 1-2، عنه (الهجوم على بيت فاطمة ص 224). 8. أبو هاشم اسماعيل بن محمد الحميري (ت 173): الصراط المستقيم: ج 3 ص 13. 9. العلامة المولى مهدي النراقي (ت 1209): أنيس الموحدين: ص 180. 10. المحقق الثاني الكركي العاملي (ت 940): نفحات اللاهوت: ص 78 و 130. 11. ابن أبي الجمهور الأحسائي (ت 10): مناظرات في الإمامة: ص 378. والمجلى: ص 417 وص 437. 12. ابن بابويه القمي (ت 329): مثالب النواصب: ص 26. 13. ابن حمزة الزيدي (ت 614): الشافي: ج 4 ص 174. 14. ابن شهر آشوب (ت 588): مثالب النواصب: ص 419 و 420. 15. ابو اسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي (ت 283): الهجوم على بيت فاطمة: ص 231. 16. الإمامي الخاتون آبادي (ت 1128): جنات الخلود: ص 19. 17. الأمير علي بن مقرب الإحسائي (ت 629): ادب الطف: ج 4 ص 31. 18. الجرمقي البسطامي الخراساني (ق 13): خزائن المصائب: ب 2 ص 11. 19. الحاج محمد حسن القزويني (ت 1240): رياض الشهادة في مصائب السادة: ج 1 ص 122. 20. الحاج ملا اسماعيل السبزواري (ت 1312): جامع النورين: ص 206 و 244. 21. الحسن بن بدر الدين الحسيني الزيدي (ت 670): أنوار اليقين: ص 378-379. 22. الحسن علاء الدين الحلبي (ق 8): عنه الغدير: ج 6 ص 391-392. 23. الحسين العقيلي الرستمادري (ق 10) رياض الأبرار: ص 33. 24. السروجي: مثالب النواصب: ص 423. 25. السيد الحسيني الرازي (ق 6): تبصرة العوام: ص 49. 26. السيد بن طاووس (ت 664): الطرائف: ص 238. 27. السيد حيدر العلوي الحسيني الآملي (ت 787): الكشكول: ص 83-84. 28. السيد رضي الدين علي بن رضي الدين علي بن طاووس (ق 7): زوائد الفوائد، عنه البحار ج 98 ص 353. 29. السيد محمد التقوي الهندي (ت 1284): طعن الرماح المسمى بالفوائد الحيدرية: ص 93. 30. السيد محمد باقر المجتهد الكنجوي: (مرقات الإيقان): ج 1 ص 125 وص 112. 31. السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت 1212): مستدركات أعيان الشيعة: ج 2

ص 332 . 32. السيد ناصر الهندي (ت 1361): إفحام الاعداء والخصوم: ج 1 ص 93 . 33. السيد هادي بن إبراهيم الوزير (ت 822) :
نهاية التنويه في إزهاق التنويه: ص 122 . 34. الشريف أبو الحسن بن محمد طاهر النباطي العاملي (ت 1138): ضياء العالمين: ج 1
ص 546 و 557 . 35. الشريف المرتضى (ت 436): الشافي: ج 3 ص 241 . 36. الشيخ أبو السعادات اسعد بن عبد القاهر الاصفهاني
(ق 7) : رشح الولاء في شرح الدعاء، عنه البحار: ج 85 ص 264-266 . 37. الشيخ أبو زينب النعماني (ق 3) : الغيبة: ص 47 . 38. الشيخ
احمد الطبرسي (ق 6): الاحتجاج: ص 80 و 278 . 39. الشيخ البحراني في عوالم العلوم: ج 11 ص 391 . 40. الشيخ الديلمي (ت 771):
إرشاد القلوب: ص 295 . 41. الشيخ الصدوق (ت 381): أمالي الصدوق: ص 114 و 134 . ومعاني الأخبار: ص 206 . 42. الشيخ
الطوسي (ت 460): تلخيص الشافي: ج 3 ص 76 . 43. الشيخ الكليني (ت 329) : الكافي: ج 1 ص 458 . 44. الشيخ المفيد (ت 413):
الاختصاص: ص 185-187 . والأمالي: ص 49-50 . والجمل: ص 117-118 . 45. الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت 1228): كشف
الغطاء: ص 18 . 46. الشيخ حسن بن سليمان الحلبي (ق 8): المحتضر: ص 61 . 47. الشيخ حسن بن سليمان الحلبي: المحتضر:
ص 109 . 48. الشيخ حسين بن عبد الرزاق التبريزي (ق 13): بشارة الباكين: ص 26 . 49. الشيخ زين الدين العاملي البياضي (ت 877):
الصراط المستقيم: ج 2 ص 301 و ج 3 ص 94 و ص 239 50. الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني
(ت 1121): ذخيرة يوم المحشر: ص 98 . 51. الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس (ت 840): الصوارم الحاسمة، عنه اللجنة العاصمة
ص 252 . 52. الشيخ عبد الجليل القزويني الرازي (560): كتاب النقض: ص 317 . 53. الشيخ عبد الخالق بن عبدالرحيم اليزدي
(ت 1268): مصائب المعصومين: ص 127 . 54. الشيخ علي أكبر النهاوندي (ت 1369): أنوار المواهب: ص 97-98 . 55. الشيخ
محمد باقر الفشاركي (ت 1314): عنوان الكلام: ص 142، المجلس 25 . 56. الشيخ محمد باقر القايني البيرجندي (ت 1352): الكبريت
الأحمر: ص 277 . 57. الشيخ محمد تقي المعروف بأغا نجفي (ت 1332): أسرار الزيارة بهامش حقائق الأسرار: زيارة فاطمة (عليها
السلام) . 58. الشيخ محمد جواد اليزدي المشهدي الشيباني: شعشة الحسينية: ص 144 . 59. الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء
(ت 1373): جنة المأوى: ص 133 . 60. الشيخ محمد علي الكاظمي (ت 1281): حزن المؤمنين: ص 61 . 61. الشيخ مغامس الحلبي
(ق 9): المنتخب: ج 2 ص 69 . 62. الشيخ مفلح الصيمري (ت 900): المنتخب: ج 1 ص 137 . 63. الشيخ مفلح بن صلاح البحراني
(ق 9): الزام النواصب: ص 153-154 . 64. العلامة الأميني (ت 1390): الغدير: ج 7 ص 74-77 . 65. العلامة البياضي (ت 877) :
الصراط المستقيم: ج 2 ص 92 . 66. العلامة الحلبي (ت 726) : شرح التجريد: ص 376-377 . وراجع نهج الحق أيضا. 67. العلامة
الخواجوي المازندراني (ت 1173): الرسائل الاعتقادية: ج 1 ص 444 . 68. العلامة السيد عبد الله الشبر (ت 1242): حق اليقين: ج 1
ص 188 . و جلاء العيون: ج 1 ص 193 . 69. العلامة السيد محمد قلي الموسوي الهندي والد صاحب العبقات (ت 1268): تشييد
المطاعن: ج 1 ص 434 70. العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي (ت 1070): روضة المتقين: ج 5
ص 342 . 71. العلامة الشيخ محمد حسين المظفر: دلائل الصدق: ج 3 ص 52 و 53 . 72. العلامة المجلسي (ت 1111) حق اليقين:
ص 189 . ومراة العقول: ج 5 ص 318 . و جلاء العيون: ص 144 . وانظر بحار الأنوار: ج 43 ص 172 و 197 و ج 28 ص 38 و ص 297-
300 و... 73. العلامة شرف الدين: المراجعات: ص 266 . 74. الفاضل المقداد السيوري (ت 826): اللوامع الالهية: ص 301 . 75.
الفيض الكاشاني (ت 1091): علم اليقين: ج 2 ص 700 . 76. القاضي النعمان المغربي (ت 363) : الأرجوزة المختارة: ص 89-90 .
77. القاضي نور الله التستري (ت 1019): مصائب النواصب: ص 129 . 78. المحدث الجليل الشيخ عباس القمي (ت 1359): بيت
الأحزان: 102-103 . 79. المحدث الجليل الشيخ يوسف البحراني (ت 1186): الحدائق الناضرة: ج 5 ص 180 . 80. المحقق الأردبيلي
(ت 993): الحاشية على إلهيات شرح الجديد للتجريد: ص 258 . وحديقة الشيعة: ص 30 . و ص 265-266 . 81. المحقق الحلبي صاحب
الشرائع (676): المسلك في أصول الدين: ص 260 . 82. المحقق نصير الدين الطوسي (ت 672) : شرح تجريد الاعتقاد ص 376-377 .
83. المخزون السلمي (ت 1223): مصائب الأبرار: ص 27-28 . 84. الملا محمد باقر اللاهيجي (ق 11): تذكرة الأئمة: ص 63 . 85.

المولى محمد صالح المازندراني (ت1081): شرح الكافي: ج7 ص207. 86. حسن بن حمدان الخصبي (ت334): الهداية الكبرى: ص138-139. وص178-179. وص408. 87. حسن بن علي اليزدي (ت1297): أنوار الشهادة في مصائب العترة الطاهرة: ص207. 88. حيدر علي بن ميرزا محمد الشرواني (ق12): رسالة فيما ورد في صدر هذه الأمة: ص121. 89. رضي الدين علي بن يوسف الحلبي (ق7): العدد القوية: ص225. 90. سبهر صاحب ناسخ التواريخ (ت1297): ناسخ التواريخ، الخلفاء: ج1 ص51. 91. سليم بن قيس الهلالي (ت76 أو 90): كتاب سليم بن قيس. 92. شاذان القمي: الفضائل: ص9. 93. صدر الواعظين القزويني (ت1330): رياض القدس ج2 المسمى بحدائق الأنس: ص255. 94. ضياء الدين بن سديد الدين الجرجاني (ق9): رساله عقائد مذهب شيعة، رسائل فارسي جرجاني: ص210. 95. ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسن بن اليماني الصنعاني (ت1121): نسمة السحر: ج2 ص472. 96. عز الدين محمد بن احمد بن الحسن الديلمي (ت711): قواعد عقائد آل محمد: ص239 وص270. 97. علي بن الحسين المسعودي (ت346): اثبات الوصية: ص153-155. 98. علي بن حماد (ق4): مجالس المؤمنين: ج2 ص565. ومثالب النواصب: ص86. 99. علي بن داود الخادم الاسترآبادي (ق11): أنساب النواصب: ص45 وص95. 100. علي بن عيسى الإربلي (ت693): كشف الغمة: ج1 ص497. 101. علي بن محمد العمري النسابة (ت490): المجدي في انساب الطالبين: ص19. 102. علي بن محمد الوليد الداعي الاسماعيلي اليماني (ت612): تاج العقائد ومعدن الفوائد: ص80. 103. علي بن محمد بن عمار البرقي (ت245): الصراط المستقيم: ج3 ص13 ومثالب النواصب: ص423. 104. عماد الدين القرشي (ت872): عيون الأخبار: ص6. 105. عماد الدين حسن بن علي الطبري الآملي (ق7): تحفة الأبرار: ص249. 106. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت679): شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج1 ص252. 107. محمد باقر الشريف الحسيني الاصفهاني (ق12): نور العيون: ج2 المجلس3. 108. محمد بن اسحاق الحموي (ق10): انس المؤمنين: ص52. 109. محمد بن جرير الطبري الإمامي (ق5): دلائل الإمامة ص26-27 وص45. 110. محمد بن جمال الدين مكّي العاملي الشهيد الأول (ت786): بحار الأنوار: ج101 ص44. 111. محمد بن علي أكبر الخراساني (ت بعد 1261): ماتمكده: المجلس13. 112. محمد بن علي الطرازي (ت450): الاقبال: ص625. 113. محمد بن مسعود العياشي (ت320): تفسير العياشي: ج2 ص66-68. 114. محمد تقي سبهر الكاشاني (ت1321): ناسخ التواريخ، ترجمة فاطمة الزهراء ص97. 115. محمد هادي الميلاني (ت1242): لسان الذاكرين: ج1 ص94. 116. يحيى بن الحسين الزيدي اليماني (ت298): تثبيت الإمامة ص15-17. إلى غيرهم من المتقدمين والمتأخرين.. وإليك بعض النصوص في هذا الباب: * قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه: ج2 ص907 ط الحديثة: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنته فاطمة (عليها السلام): «إنك أول من يلحقني من أهل بيتي وأنت سيدة نساء أهل الجنة وسترين بعدي ظلما وغيظا حتى تضربي ويكسر ضلع من أضلاعك، لعن الله قاتلك ولعن الله الأمر والراضي والمعين والمظاهر عليك وظالم بعلك وابنيك». * وسليم أيضا في كتابه: ج2 ص673-675 ط الحديثة: «فلقيت عليا صلوات الله عليه فسألته عما صنع عمر، فقال: هل تدري لم كف عن قننذ ولم يغرمه شيئا؟ قلت: لا، قال: لأنه هو الذي ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم فماتت صلوات الله عليها وإن أثر السوط لفي عضدها مثل الدمج». وفي حديث آخر: «فنظر علي (عليه السلام) إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: شكر له ضربها فاطمة بالسوط فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدمج». * وقال أيضا: «... ثم عاد عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه...» المصدر: ج2 ص763-865. * وقال أيضا: «... وقد كان قننذ... ضرب فاطمة بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها، فألجأها قننذ إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعا من جنبها، فألقت جنبنا من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت (عليها السلام) من ذلك شهيدة». المصدر: ج2 ص584-588. * وقال الخصبي (ت334) في حديث عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): «فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت، فأخذت بعضادتي

الباب وقلت: ناشدتكم الله وبأبي رسول الله أن تكفوا عنا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنفذ مولى أبي بكر فضرب به عضدي فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فرده علي وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم...». الهداية الكبرى: ص 178-179. * والنخبي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «... وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط ورفس بطنها واسقاطها محسناً...». * وأيضاً عنه (عليه السلام): «... فقال لها عمر: دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء، فلم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخلافة، وأخذت النار في خشب الباب وإدخال قنفذ يده .. يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن لسته أشهر وإسقاطها اياه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد وصفقة خدها حتى بدا قرطها تحت خمارها وهي تجهر بالبكاء وتقول: واأبتاه، ورسول الله، ابنتك فاطمة تكذب وتضرب ويقتل جنين في بطنها... وصاح أمير المؤمنين بفضة: يا فضة مولاتك فأقبلي منها ما تقبله النساء فقد جاءها المخاض من الرفسة ورد الباب، فأسقطت محسناً... إلى أن قال: فبكى الصادق (عليه السلام) حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم قال: لاقرت عين لا تبكي عند هذا الذكر». الهداية الكبرى: ص 401-408. * وقال الشيخ الطوسي (ت 460): «ومما أنكر عليه ضربهم لفاطمة وقد روي أنهم ضربوها بالسياط والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة أن عمر ضرب بطنها حتى أسقطت فسمي السقط محسناً والرواية بذلك مشهورة عندهم». تلخيص الشافي: ج 3 ص 156. ومن مصادر العامة: * البلاذري في (أنساب الأشراف): ج 1 ص 586 ط مصر (ج 2 ص 268 ط دار الفكر): «ان أبابكر أرسل إلى علي يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة يا بن الخطاب، أترأى محرقاً علي بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك...». * والبلاذري أيضاً في (أنساب الأشراف) ج 1 ص 587 (ج 2 ص 269 ط دار الفكر) بسنده عن ابن عباس قال: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي حين قعد عن بيعته وقال: انتني به بأعنف العنف...». * والنوفلي في كتاب (الأخبار) عنه مروج الذهب ج 3 ص 77 ط دار الهجرة: «كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته كما أهرب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف...». * وابن أبي الحديد عن المسعودي: «كما فعل عمر بن الخطاب بيني هاشم، لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار» شرح نهج البلاغة: ج 20 ص 147. * وابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز البغدادي في كتابه (السقيفة وفدك): «سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتيا بيهما، فانطلقا... ثم قال (عمر) لعلي: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير وأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله» شرح النهج: ج 2 ص 57. * وأيضاً ابن أبي الحديد عن كتاب (السقيفة وفدك): (ثم دخل عمر فقال لعلي قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال...» شرح نهج البلاغة: ج 6 ص 11. * وابن أبي الحديد في شرح النهج: ج 6 ص 11: «جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم... ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبابكر». * وأيضاً في شرح النهج: ج 2 ص 56: «فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فنهتهن من الناس...». * وابن أبي الحديد عن أستاذه أبي جعفر النقيب أنه قال: «إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال انه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها، فقلت: اروي عنك ما يقوله قوم ان فاطمة روعت فألقت المحسن؟ فقال: لا تروه عني ولا ترو عني بطلانه، فإني متوقف في هذا الموضوع، لتعارض الأخبار عندي فيه» شرح نهج البلاغة: ج 14 ص 193. * واليعقوبي في (تاريخه): ج 2 ص 126: «وبلغ أبابكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد

اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجنن إلى الله...». * والطبري في (تاريخه): ج 3 ص 101 ط بيروت (وج 2 ص 203 ط مصر): «أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة». * والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج 5 ص 651 ح 14138: «عن أسلم انه حين بويج لأبي بكر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحب إلي من أبيك وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرهم أن يحرق عليهم الباب، فلما خرج عليهم عمر جاؤوا، قالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم الباب وأيم الله ليمضين لما حلف عليه». * وهذا رواه السيوطي أيضا في (مسند فاطمة): ص 36. * وقريباً منه رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب في معرفة الأصحاب): ج 3 ص 975 ط القاهرة. * والنويري في (نهاية الأرب في فنون الأدب): ج 19 ص 40. * والشاه ولي الله الدهلوي في كتابه (ازالة الخفاء) ج 2 ص 29 وص 179، وأيضا في كتابه (قرة العينين) ص 78. * وابن أبي شيبه في كتاب (المصنف): ج 7 ص 432 ح 37045. * وابن عبد ربه في العقد الفريد ج 4 ص 242 وفي ط ج 4 ص 259: «الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعباس والزبير فقعدها في بيت فاطمة، حتى بعث اليهم أبو بكر، عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: ان أبوا فقعاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب، أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة». * وابن حنزابه في كتابه (الغرر): «قال زيد بن اسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة، حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقتك ومن فيه، قال: وفي البيت علي والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: أفتحرق علي وولدي، فقال: أي والله أو ليخرجن وليبايعن». * عنه ابن شهر آشوب في (مثالب النواصب) ص 419، والسيد بن طاووس في الطرائف ص 239 والعلامة الحلبي في نهج الحق: ص 271. * وأبو الفداء في (المختصر في أخبار البشر): ج 1 ص 156 ط دار المعرفة بيروت: «ثم ان ابابكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها وقال: إن أبوا عليك فقعاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة رضي الله عنها وقالت: إلى أين يا بن الخطاب، أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخلت فيه الأمة». * والشهرستاني في (الملل والنحل): ج 1 ص 57 تحت عنوان النظامية وما يعتقد به النظام: (ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقى الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين). * وابن تيمية في (منهاج السنة) ج 4 ص 220: بعد ذكر اعتراف أبي بكر بالهجوم: «غاية ما يقال: انه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه». * وابن قتيبة الدينوري في (الامامة والسياسة) ص 17-20: «وان ابابكر تقعد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، ان فيها فاطمة، فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال: (حلفت ان لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن) فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقا، فأتى عمر أبابكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقتنذ وهو مولى له: أذهب فادع لي علياً، قال: فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلا، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقتنذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قننذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قننذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلا، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت (فاطمة) أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله،

ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصيح ويبكي وينادي يا «ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» (سورة الأعراف: 150)، فقال عمر لأبي بكر: ... انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام. فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب الي من قرابتي، وإنك لأحب الي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك مت، ولا أبقى بعده، أقراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقلك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أبك رسول الله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة! فقالت: رأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضائي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تهرق، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً، فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أفيلوني بيعتي». الحديث * والشاه عبد العزيز الدهلوي قال في الرد على الطعن الثاني من مطاعن عمر: «انما هدد عمر من التجأ إلى بيت فاطمة بزعم انه ملجأ ومعاذ للخائنين فجعلوه مثل مكة المكرمة وقصدوا الفتنة والفساد وتشاوروا في نقض خلافة أبي بكر، والحق ان فاطمة كانت تكره اجتماعهم في بيتها ولكنها لحسن خلقها لم تمنعهم من ذلك صريحاً، فلما تبين ذلك لعمر هددهم باحراق البيت عليهم» !! تحفة اثني عشرية ص 464. * والمقرزي في الخطط (المواعظ والاعتبار) ج 2 ص 346: «وزعم (أي النظام) أنه (أي عمر) ضرب فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنع ميراث العترة». * والحموي في (فرائد السمطين): ج 3 ص 34-35: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «... وأما ابنتي فاطمة ... وإني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الدل بيتها وانتهكت حرمتها وغضب حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنبينها وهي تنادي يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدي محزونة مكروية باكية...». * والصفدي في (الوافي بالوفيات) في ترجمة النظام: ج 6 ص 17: (إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقى المحسن). * والحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال): ج 1 ص 139، (وسير اعلام النبلاء): ج 15 ص 578، قال عند ذكر احمد بن محمد بن السري بن يحيى المعروف بابن أبي دارم: «... ثم كان في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: ان عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن». * ورواه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: ج 1 ص 268. * وأبو الوليد محمد بن شحنة في (روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، هامش الكامل لابن الأثير: ج 11 ص 113): «ثم ان عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه، فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة». * ثم هناك من العامة من تطرق إلى حديث حرق الدار وما أشبه ونسبه إلى الشيعة أو ردها، فمنهم: * المقدسي في (البدء والتاريخ): ج 5 ص 20 عند ذكر أولاد فاطمة: «وولدت محسنا وهو الذي تزعم الشيعة أنها أسقطته من ضربة عمر». * وأبو الحسين الملطي الشافعي في (التنبيه والرد): ص 25: «... فرعم هشام (أي هشام بن الحكم) ... ان أبابكر مر بفاطمة فرفس في بطنها فأسقطت وكان سبب علتها ووفاتها، وأنه غضبها فذك». * والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الاسد آبادي (المغني): ج 20 ص 335: «ومن جملة ما ذكروه من الطعن ادعاهم ان فاطمة لغضبها على أبي بكر وعمر أوصت أن لا يصلها عليها وأن تدفن سرا منهما فدفنت ليلاً، وادعوا برواية روهها عن جعفر بن محمد وغيره: ان عمر ضرب فاطمة بسوط وضرب الزبير بالسوط ... ثم نقل قول عمر لفاطمة: وأيم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك ليحرقن عليهم» ثم قال إلى غير ذلك من الروايات

البعيدة. * وابن تيمية في منهاج السنة: ج 4 ص 220: «انما ينقل مثل هذا جهال الكذابين ويصدقهم حمقى العالمين الذين يقولون: ان الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى اسقطت». * وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ص 51: «الا ترى إلى قولهم (أي قول الشيعة) ان عمر قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولدأ اسمه المحسن». * والبرزنجي في (النواقض للروافض والنواقض): ص 41: «إنهم قالوا: إن عمر بن الخطاب ذهب إلى دار علي ... وخافت فاطمة منه وأسقطت ولدأ اسمه المحسن». * ورسول بن محمد في (نصيحة الشيعة الإمامية) ص 45: «قول الإمامية إن عليا كان في بيته فجاء عمر ليأخذ منه البيعة لأبي بكر، فناداه من الباب، فخرجت إليه فاطمة فقالت من داخل الباب يا عمر أي شيء تريد من علي ... فغضب عمر لذلك فضرب الباب برجله وكسره ووقع من كسره رض في بطن فاطمة ووقع سقط من فاطمة اسمه محسن ودخل الدار وأوقع حبلا في عنق علي فجره إلى أبي بكر فأخذ منه البيعة لأبي بكر كرهاً وجبراً». * هذا وشعر محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل معروف: وقولة لعلي قالها عمر *** أكرم بسامعها أعظم بملقيها حرقت دارك لا أبقى عليك بها *** ان لم تباع و بنت المصطفى فيها ما كان غير أبي حفص يفوه بها *** أمام فارس عدنان وحاميتها إلى غير ذلك... علماً بأنهم قد كتموا كثيرا منها رعاية لسمعة خلفائهم، كما حذفوا بعض هذه التصريحات من بعض الطبعات لذلك، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين. (مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر).

.....

وإسقاط جنينها الذي سماه الرسول (صلى الله عليه وآله) محسنا (1)...

ص: 311

1- راجع المناقب: ج 3 ص 251.

وغير خفي إن السقوط في الفتنة أمر اختياري حدوثا واستمرارا، ولو فرض كونه في بعض مراحلها في بعض الأزمان غير اختياري، فإن ما بالاختيار لا ينافي الاختيار فعليه العقوبة دون ريب وذلك للتقصير في المقدمات.

وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الفتنة وأمر الناس باتباع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دون غيره، حيث قال:

«ستكون من بعدي فتنة فإذا كان كذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه الفاروق بين الحق والباطل»⁽¹⁾.

كما أخبر (صلى الله عليه وآله) بالفتن في آخر الزمان حيث قال: «سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود»⁽²⁾.

ص: 312

1- المناقب: ج 3 ص 91، وكشف الغمة: ج 1 ص 143.

2- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 253 وأعلام الدين: ص 406.

الكفر موضوعا وحكما

مسألة: اقتباسها (عليها السلام) الآية الشريفة: «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»⁽¹⁾ وذكرها هاهنا، يدل على شهادتها (عليها السلام) بأن ما فعلوه من غضب الخلافة وفدك، وإيذاء آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد قال فيها (صلى الله عليه وآله): (من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) ⁽²⁾ و...

استلزم الكفر وذلك واضح، وإلا لزم لغوية ذكر هذه الآية ههنا.

ثم إنه هل المقصود الكفر موضوعا أو حكما ⁽³⁾؟ فإن الكفر على قسمين:

1: كفر العقيدة.

2: كفر النعمة.

ص: 313

1- سورة التوبة: 49.

2- المناقب : ج 3 ص 332.

3- (الكفر موضوعا) يعني إنكار ضروري من ضروريات الدين وإنكار الأمر الإلهي الصريح عنادا ولجاجة كما قال تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» سورة النمل: الآية 14، والبعض قد أنكر خلافة الإمام علي (عليه السلام) رغم علمه بها في واقعة غدِير خم وغيرها، إلا أن الشارع لم يرتب عليه آثار الكفر من النجاسة وبينونة الزوجة وتقسيم الإرث وحرمة الذبيحة... فهو كفر موضوعي لاحكمي، وهذا هو رأي المشهور والناذر ذهب إلى الكفر الحكمي أيضا.

تفصيل البحث في المفصلات، وهذه الآيات ونظائرها توضح أقسام الكفر اكثر فاكثر. قال تعالى: «قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين * قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين» (1).

ومن الواضح أن نصب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) خليفة من بعده (صلى الله عليه وآله) كان من عند الله دون شك، قال تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك...» (2). وقال سبحانه: «فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع» (3). وقال تعالى: «وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به» (4).

وقال سبحانه: «إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا» (5).

وقال عز وجل: «سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع» (6).

وقال تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب» (7).

ص: 314

- 1- سورة الأحقاف: 9-10.
- 2- سورة المائدة: 67.
- 3- سورة النحل: 112.
- 4- سورة إبراهيم: 9.
- 5- النساء: 56.
- 6- سورة المعارج: 1-2.
- 7- سورة البقرة: 85.

وقال سبحانه: «ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب»(1).

قال تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين»(2). وقال عز وجل: «أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل»(3).

وقال سبحانه: «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله»(4).

وقال تعالى: «أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون»(5).

قال عز وجل: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً»(6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حب علي إيمان وبغضه كفر»(7).

وعن ابن عباس أنه مر بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لقائله ما يقول هؤلاء؟ قال: يسبون علياً.

قال: قربني إليهم. فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب لله؟

ص: 315

1- سورة آل عمران: 19.

2- سورة المائدة: 5.

3- سورة القصص: 48.

4- سورة البقرة: 61.

5- سورة النحل: 72.

6- سورة الأحزاب: 36.

7- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 89 المجلس 20 ح 1.

قالوا: سبحانه الله ومن يسب الله فقد أشرك بالله.

قال: فأيكُم الساب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

قالوا: ومن يسب رسول الله فقد كفر.

قال: فأيكُم الساب علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)؟

قالوا: قد كان ذلك. قال: فاشهد بالله واشهد الله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من حسد علياً فقد حسدني ومن حسدني فقد كفر»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كفر»(3). وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس لا تشك في علي فان الشك فيه كفر يخرج عن الإيمان ويوجب الخلود في النار»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن علياً خير البشر من أبي فقد كفر»(5).

قولها (عليها السلام): «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين»(6) فإنهم زعموا أنهم يريدون الخروج من الفتنة (المزعومة) فوقعوا

ص: 316

1- الأماي للشيخ الصدوق: ص 97 المجلس 21 ح 2.

2- المناقب: ج 3 ص 213.

3- المناقب: ج 3 ص 221.

4- كشف الغمة: ج 1 ص 390.

5- الصراط المستقيم: ج 3 ص 143، رواه عن عائشة وقيس بن جازم الأصفهاني والشيرازي وابن مردويه والخوارزمي وابن حنبل والبلاذري وابن عبدوس والطبراني.

6- سورة التوبة: 49.

في فتنة حقيقية مؤكدة، لأن مخالفة أمر الباري جلّ وعلا ورسوله (صلى الله عليه وآله) في الخلافة (1) فتنة ليست فوقها فتنة.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فارق علياً (عليه السلام) بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة، وجعل مأواه النار وبئس المصير، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقنه حجته عند المساءلة» (2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس من خالف علياً فلا تكون ظهيراً له ولا ولياً، فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخالفه أحد إلا غيّر الله ما به من نعمة وشوه خلقه قبل إدخاله النار» (3).

نافذة نحو العالم الآخر

أما «إن جهنم لمحيطة بالكافرين» (4) فلأن الآخرة امتداد للدنيا (5) والثواب والعقاب يكونان أيضاً في نفس هذه الدنيا، كما يكونان في عالم الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا، منتهى الأمر إن (منافذ) الإنسان و(نوافذه) نحوها مغلقة ما دام حياً، فما أعطي من الحواس الخمس نوافذها للعالم الدنيوي،

ص: 317

- 1- حيث قال تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» سورة المائدة: 67.
- 2- كمال الدين: ص 260 والتحصين لابن طاووس: ص 553.
- 3- كشف الغمة: ج 1 ص 390.
- 4- سورة التوبة: 49.
- 5- كما ان عالم الدنيا امتداد لعالم الأرحام والأصلاب.

والحاسة السادسة والأحلام وغيرها إنما هي (إشارات) لنوافذ ربما تطلّ على العالم الآخر..

ولذلك فإن الإنسان المؤمن لا (يحسّ) ولا (يشهد) عادة: حسن الآخرة ونعيمها مادام في الدنيا، والإنسان السيئ لا يحس بعقوبات عالم الآخرة مادام حياً لأن حواسهما ليست من حواس الآخرة، ولم يعط في الدنيا تلك الحواس التي تكشف له آفاق ذلك العالم، فحاله حال الإنسان الذي فقد ذوقه أو بصره أو سَمعه أو شَمّه أو لمسّه، فانه يلامس الأشياء دون أن يحس بلطافتها وطراوتها أو خشونتتها، ويكون أمامه المرئي وتملاً غرفته الأصوات (من صدح البلابل إلى هدير المحركات) دون أن يرى أو يسمع شيئاً، وهكذا بالنسبة إلى الذوق والشم، بينما قد يوجد الى جانبه من لم يفقد حواسه الخمس فإنه يحسّ بكلّ ذلك ويشهدا بوضوح. بل ربما أحسّ المريض بمرارة الحلاوة، بينما الصحيح يكتشفها حلوة كما هي.

وقد أكثر الباري جل وعلا- وأنبياءه وأوليائه في الآيات والروايات الإشارة إلى هذا القبيل، مثل قوله سبحانه «إنما يأكلون في بطونهم ناراً»(1) وقد أشرنا إلى بعض تفصيل ذلك في (الفقه)(2) وغيره(3).

ص: 318

1- سورة النساء: 10.

2- راجع موسوعة الفقه: (المدخل) كتاب العقائد.

3- راجع (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) للإمام الشيرازي (قدس سره).

محتملات (هيئات)

مسألة (1): يحتمل في المراد من قولها (عليها السلام): (هيئات) (2) وجوه:

إذ لعل المراد ب: (هيئات): أنهذه الأعمال كانت بعيدة عنكم، كقوله سبحانه: «هيئات هيئات لما توعدون» (3)، فكأنه أريد أن من المستبعد ممن عاشر الرسول (صلى الله عليه وآله) وعرفه وسمع وصاياه الأكيدة حول أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) أن يسكت عن غضب حقهم (عليهم السلام)، فكيف بأن يعين على ذلك، فكيف بأن يمارسه بتلك الطريقة الوحشية (4).

أو أن المراد: أن ما تكشفه تلك الأفعال من قصد مبطن كان بعيداً عنكم (5) فكان الأوفق بحالكم غير ذلك القصد.

أو: الجامع بين الأمرين، باستعمال (هيئات) في كلّي يكون كلا الأمرين مصداقاً له.

أو أن المراد: بعيد منكم الرجوع الى الحق ما دمتم قد عقدتم قلوبكم على

ص: 319

- 1- قوله: (مسألة) بلحاظ ذيل البحث عندما يحتمل الإمام المؤلف (قدس سره) إنشائية هيئات.
- 2- (هيئات) اسم فعل بمعنى بَعْدَ، وفاعله محذوف، فهيهات منكم أي بعد منكم كذا، والمصنف (قدس سره) أشار الى الفاعل في الاحتمالات الخمسة.
- 3- سورة المؤمنون: 36.
- 4- من حرق باب الدار وكسر الضلع وإسقاط الجنين وغير ذلك على ما عرفت.
- 5- ف (بعدت) منكم تلك الأعمال، أو (بعد) منكم ذلك القصد الذي تكشفه الأفعال.

الابتعاد عنه، فإن الإنسان - عادة - إذا عقد قلبه على الابتعاد عن شيء فإنه يسيطر على جوارحه الابتعاد عنه، كما أنه في عكسه إذا عقد الإنسان قلبه على الإقتراب من شيء فإنه يسيطر على جوارحه الإقتراب إليه، وبعد ذلك لا يهمه إن كان الابتعاد أو (الإقتراب) حقاً أو باطلاً. قال سبحانه بالنسبة إلى بعض الناس: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»(1).

وقال عز وجل: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»(2).

هذا كله بناء على كونها خبرية.

ويحتمل أن تكون إنشائية(3) بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن رحمة الله، وعلى هذا يستفاد منه مطلوية الدعاء على الأعداء ومنه اللعن، فإنه بمعنى البعد عن رحمة الله أو بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن الوصول لما كانوا يصبون إليه فتأمل. قال تعالى: «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون»(4).

وقال سبحانه: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً»(5).

وقال عز وجل: «إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً»(6).

ص: 320

1- سورة النمل: 14.

2- سورة البقرة: 146، وسورة الأنعام: 20.

3- فهي جملة خبرية في مقام الإنشاء كما في (يعيد صلاته).

4- سورة البقرة: 159.

5- سورة الأحزاب: 57.

6- سورة الأحزاب: 64.

.....
ويؤيد أول الاحتمالات سياق كلامها (عليها السلام) وقولها: (وكتاب الله بين أظهركم).

ومما ورد فيه كلمة (هيئات) بالمعنى المذكور ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عباس بعدما قطع خطبته الشقشقية: «هيئات هيئات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. فقال ابن عباس: فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا لم يبلغ به حيث أراد»⁽¹⁾. وقد ورد في باب التوحيد ونفي التشبيه: «الهي تاهت أو هام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك بعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى، ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيئات ثم هيئات»⁽²⁾.

وفي الحديث أن معاوية قال للإمام الحسن (عليه السلام): «أنا خير منك يا حسن، قال (عليه السلام): وكيف ذلك يا بن هند، قال: لأن الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك، قال هيئات هيئات، فشر ما علوت يا بن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجالان بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشى لله أن أقول أنا خير منك، فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل»⁽³⁾.

ص: 321

1- علل الشرائع: ص 151، ونهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

2- التوحيد: ص 66 ح 19 باب التوحيد ونفي التشبيه.

3- المناقب: ج 4 ص 22.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً الدنيا وما فيها: «يا دنيا يادنيا أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات غري غيري لا حاجة لي
فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وأملك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد»(1).

وقال (عليه السلام): «هيهات أن ينجو الظالم من أليم عذاب الله وعظيم سطواته»(2).

ص: 322

1- ارشاد القلوب: ص 218.

2- غرر الحكم: ص 457 ح 10442.

قولها (عليها السلام): (وكيف بكم) أي كيف صار الأمر بكم إلى ما صار، وكيف صرتم إلى هذه الحالة من العداة لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وغصب حقوقهم.

وبعبارة أخرى:

أي حال لكم في دنياكم وفي آخرتكم مع عملكم هذا الذي هو خلاف الحق.

وفي (كيف) معنى التعجب كما ذكره الأدباء(1)، وفي المقام هو إنكار توييخي.

قولها (عليها السلام): (وأنى تؤفكون) أي: كيف تصرفون عن الحق، وتزيغون عنه، وتتبعون الباطل، من إفكه كضربه بمعنى: صرفه عن الشيء وقلبه.

وقد ورد في القرآن الحكيم بالنسبة إلى البلاد التي قلبت ظهراً لبطن وبطناً لظهر بسبب عذاب الله سبحانه وتعالى، اسم (المؤتفكات) كما في قضية قوم لوط (عليه السلام).

قال سبحانه: «ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»(2).

ص: 323

1- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

2- سورة التوبة: 70.

وقال تعالى: «وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة»(1).

وفي تأويل هذه الآية المباركة:

أنها في أعداء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (2).

ويحتمل أن يكون معنى (أنى (3) توفكون) هو: أين يصرفكم الشيطان، أو تصرفكم أنفسكم عن الحق؟ وهو كلمة تعجب أيضاً يقصد بها الإنكار والتوبيخ.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أين تتيهون، ومن أين توتون، وأنى توفكون، وعلام تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، أين وهم أزمة الصدق وألسنة الحق»(4).

ص: 324

1- سورة الحاقة: 9.

2- راجع تأويل الآيات ص 689 سورة الحافة.

3- (أنى) تأتي للاستفهام عن المكان وعن الحال وبمعنى متى الاستفهامية، ف (أنى زيد) أي أين زيد، وكيف زيد، و(أنى القتال) أي متى القتال، والإمام المؤلف (قدس سره) احتمل في قولها (عليها السلام): (أنى توفكون) المعنيين الأوليين، ويحتمل الثالث أيضاً كما في قوله تعالى: «فأتوا حرثكم أنى شئتم» [سورة البقرة: 223].

4- غرر الحكم: ص 115 ح 2000 فصل في الأئمة.

جمع القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) وبمجموعة من القرائن الأخرى أن القرآن كان مجموعاً في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) كما هو اليوم وبنفس الترتيب من دون زيادة ولا نقيصة. قال تعالى: [إن علينا جمعه وقرآنه] (1). وإن قيل: بصحة الإسناد في ظرف عدم الجمع، إلا أنه خلاف المتفاهم عرفاً، خاصة بلحاظ (بين أظهركم) وبلحاظ الإطلاق الأزماني والأحوالي في الجمل اللاحقة (2). وقد فصلنا هذا البحث في كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) (3) و(متى جمع القرآن) (4).

عدم تحريف القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) عدم تحريف الكتاب، وإلا لما صح إطلاق (كتاب الله) على الموجود بين أظهرهم.

ولو قيل بتمامية الاستدلال في صورة القول بالتحريف بالنقص فقط دون الزيادة أجيب بأن الإطلاق ينفيهما (5) إضافة إلى ما للجمل اللاحقة من الدلالة الواضحة على عدم التحريف مطلقاً، إذ كيف يكون المحرّف (أموره ظاهرة

ص: 325

1- سورة القيامة: 17.

2- أي (أموره ظاهرة...) الخ.

3- ولأول مرة في تاريخ العالم: ج2 ص243-249.

4- يقع الكتاب في 80 صفحة من الحجم المتوسط، وطبع عدة مرات في بيروت والكويت.

5- أي ينفي القول بالتحريف بالنقص كما ينفي القول بالتحريف بالزيادة.

وأحكامه زاهرة...) خاصة مع لحاظ إفادة الجمع المضاف للعموم.

قال تعالى: «وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين»(1).

حجية الكتاب

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) ومن الجمل اللاحقة: حجية الكتاب، على خلاف ما ذهب إليه بعض الأخباريين. قال تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»(2).

وقال سبحانه: «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»(3).

ودلالة كلامها (عليها السلام) واضحة بل صريحة، فالمعنى: والحال أن كتاب الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الحكيم بينكم، وأنتم تقرؤونه ليل نهار، وهو الحكم والمرجع، فإلى أين تنصرفون، ولمن ولأي شيء ولما تتوجهون، (وكتاب الله بين أظهركم)؟ (أفحكم الجاهلية تبغون)؟

وقولها (عليها السلام): (بين أظهركم)، يقال: فلان بين أظهر القوم وبين ظهرانيهم، أي مقيم بينهم، محفوف من جوانبه بهم(4)، وكذلك يقال بالنسبة إلى الشيء، مثل: أن المدرسة بين أظهرهم، والمكتبة بين أظهرهم، وما أشبه ذلك.

ص: 326

1- سورة يونس: 37.

2- سورة الإسراء: 9.

3- سورة النمل: 6.

4- يقال (هو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم) أي وسطهم وفي معظمهم، راجع (المنجد).

القرآن كالشمس

مسألة: قولها (عليها السلام): (أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ) فإن القرآن الكريم - أوامره ونواهيه وحكمه ومواعظه وقصصه وغير ذلك - كلها ظاهرة كالشمس ويلزم العمل وفقها. قال تعالى: «ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون»⁽¹⁾.

وقال سبحانه: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»⁽²⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الذي يجب العمل بظاهره»⁽³⁾.

ولا يعمى عن أمور القرآن الظاهرة إلا من تلبد قلبه بحجب اللجاج والعناد وسحب الأهواء والشهوات، قال تعالى: «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً»⁽⁴⁾.

فيعرفها الإنسان العربي وليست من قبيل الألغاز، وهم ليسوا من غير العرب حتى لا يفهموا أحكام القرآن وأوامره وزواجره، وقد أمر القرآن باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) في كل ما يأمر وما ينهي «ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

ص: 327

1- سورة الزمر: 27.

2- سورة القمر: 17 و22 و32 و40.

3- فقه القرآن: ج 1 ص 207 باب الزيادات.

4- سورة الإسراء: 82.

فانتهاوا» (1)، وقد أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهناك آيات عديدة في هذا الباب كآية البلاغ (2) وآية الولاية (3) وآية إكمال الدين (4) وما أشبهه.

فالرسول (صلى الله عليه وآله) عين الخليفة بمتواتر الروايات، وبمشهد ومرأى الناس في غدير خم وغيره (5)، فكيف تصرفون وتعرضون عن هذا الظاهر من القرآن؟.

والظاهر أن الجمل اللاحقة من قبيل عطف الخاص على العام (6) لأهميته، وللتأكيد.

ويحتمل التغيرات كما سيأتي. والمراد بالظهور الأعم من الظهور ابتداءً أو ثانياً، بالمباشرة أو بالواسطة (7)، فلا يستشكل على ذلك بالمتشابه، أو يقال بانصراف الأمور إلى غيره بقرينة المقام (8) ويكون المراد على هذا (الأمور التي تحتاجون إليها لشؤون معاشكم ومعادكم) ومن أهمها أمر الخلافة.

ص: 328

-
- 1- سورة الحشر: 7.
 - 2- سورة المائدة: 67.
 - 3- سورة المائدة: 55.
 - 4- سورة المائدة: 3.
 - 5- راجع موسوعة (الغدير) للعلامة الأمينى (رحمة الله).
 - 6- العام هو (أموره ظاهرة) والخاص هو (أحكامه زاهرة... إلى آخر الجمل).
 - 7- أي عبر الثقل الآخر، ولذلك قال (صلى الله عليه وآله): (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي... انهما لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض) معاني الأخبار: ص 90 باب معنى الثقلين ح 2.
 - 8- أي باعتبار كونها (عليها السلام) في مقام الاحتجاج عليهم بوجود الحججة البيّنة وهي الكتاب، فإلى أين يصرفون مع ذلك؟.

الأحكام الزاهرة

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن أحكام القرآن زاهرة وأعلامه باهرة.

والزاهر عبارة عن: المتألئ المشرق، بمعنى أنّ أحكام القرآن كلها متألئة، عليها نور الحق والصدق، وهي (تزهر) كما تزهر الشمس، في أفق الأرواح والأفكار.

وكما أن أعمى العين لا يرى نور الشمس كذلك أعمى البصيرة لا يبصر نور القرآن، فهي (زاهرة) بينة لنفسها ومضيئة للساثرين، كالنور الظاهر بنفسه المظهر لغيره، ولو أتبعتم أحكامه لسرتم على المنهاج الواضح نحو حياة سعيدة في الدنيا وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، قال تعالى:

«ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»(1). وقال سبحانه: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»(2).

وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآله، وأدم بالقرآن صلاح ظاهرننا،

ص: 329

1- سورة طه: 124 - 126.

2- سورة الأعراف: 96.

.....
واحجب به خطرات الوسواس عن صحة ضمائرنا، واغسل به زيغ درن قلوبنا وعلائق أوزارنا، واجمع به منتشر أمورنا... واجبر بالقرآن خلطنا من عدم الإملاق، واسق إلينا به رغد العيش وخصب الأرزاق، وجنبنا به من الضرائب المدمومة ومداني مذام الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائبا طارداً، ولنا لما عندك بتحليل حاله وتحريم حرامه شاهداً»(1).

من العلامات القرآنية

وقولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، أعلام: جمع علم، أي: علاماته، كعلامات الطريق مثلاً، لكن علامات الطريق مادية وعلامات القرآن معنوية.

وقولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، أعلام: جمع علم، أي: علاماته، كعلامات الطريق مثلاً، لكن علامات الطريق مادية وعلامات القرآن معنوية.

ثم إن (2) القرآن الحكيم تحداهم في مواطن أربعة على أربع مستويات، متدرجاً من التحدي عن الإتيان بمثل القرآن إلى الإتيان بجزء من سورة فقط..

فقال مرة: «لا يأتون بمثله» (3)، أي: (114) سورة.

وثانية: «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» (4).

ص: 330

-
- 1- الإقبال: ص 269 من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند ختم القرآن.
 - 2- هذا بيان لمصداق من مصاديق قولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، ف (التحدي) مظهر من مظاهر العلامات الباهرة، أو أن أعلامه باهرة هو بيان آخر عن التحدي.
 - 3- سورة الإسراء: 88.
 - 4- سورة هود: 13.

وثالثة: «فأتوا بسورة مثله»(1)، وفي آية أخرى قال: «فأتوا بسورة من مثله»(2)، ولا يخفى الفرق بينهما لمكان (من).

ورابعة: «فليأتوا بحديث مثله»(3)، مما قد يشمل أقل من السورة أيضاً.

ثم من جانب آخر، رفع درجة التحدي ومستوى عدم إمكان ذلك بالقياس إلى الأشخاص والزمن.

فقال مرة: «فأتوا».

وأخرى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»(4).

وثالثة قال: «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا»(5)، أي أنهم ليس بمقدورهم ذلك إلى الأبد، كما ليس بمقدورهم الإتيان بأي محال آخر استحالة ذاتية أو وقوعية(6).

ص: 331

1- سورة يونس: 38.

2- سورة البقرة: 23.

3- سورة الطور: 34.

4- سورة الإسراء: 88.

5- سورة البقرة: 24.

6- وجه الاستحالة الذاتية أن المحدود يستحيل أن يحيط باللامحدود اللامتناهي وكذلك إحاطة المحدود الأضيق بالأوسع منه، ومدارك البشر مهما سعت فإنها أضيق من سعة وعمق دائرة مفاهيم ورموز وأسرار القرآن الكريم وسيذكر الإمام المصنف (قدس سره) وجهه، والاستحالة الوقوعية بناء على ما ذهب إليه البعض من (الصرف).

فهو في التنازل والترقي مثله مثل من يقول لمن يدعي البطولة: أحمل طناً، ثم يقول: مائة من (1)، ثم يقول: عشرة أمانان، ثم يقول: مناً واحداً، فإذا لم يفعل حتى الدرجة الأخيرة كان معناه أنه لاحظ له من البطولة.

وفي المقابل يقول: إن حملت أعطيك ديناراً، ثم يقول: عشرة دنانير، ثم يقول: مائة دينار، ثم يقول: ألف دينار، فيخفض مستوى التحدي ويرفع الثمن.

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي نزل من عند الله وبقي وسيبقى خالداً دون تحريف، وسرّ بقاءه أنه كتاب لخاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله) إلى آخر الأزمان، فهو كتاب الله عبر خاتم أنبيائه للبشرية إلى فناء الدنيا، بينما الكتب السماوية السابقة نزلت لفترة زمنية محددة، ثم «نسوا حظاً مما ذكروا به» (2) فالكتب الموجودة في أيديهم الآن لم تنزل من السماء، والكتب النازلة لم تبق، فلم يحفظها الله سبحانه غيباً وإعجازياً - كما حفظ القرآن - لأنها كانت مؤقتة لا دائمة كالقرآن الحكيم، فلم يستلزم قاعدة (اللطف) حفظها.

ومن الطبيعي أن لا يكون بمقدور البشر على أن يأتي بمثل القرآن، حتى إذا تعاضد وتعاون مع الجن وغيرهم، فإن الكتاب التشريعي كالكتاب التكويني، وحيث لا تستطيع المخلوقات بأجمعها حتى على خلق ذبابة، بل على خلق حبة

ص: 332

1- الطن هو ألف كيلو، والمن رطلان، والرطل (12) أوقية كما في لسان العرب، وفي المنجد: المن يساوي (280) مثقالاً عرفياً والمثقال العرفي يساوي درهماً ونصف.

2- سورة المائدة: 13.

حنطة حية تنمو لما فيها من الروح إذا أنبتت (1) كذلك في كتاب الله التشريعي. وعلامات القرآن تشير إلى مجموعة هائلة من الحقائق التكوينية و التشريعية والماورائية، من المبدأ الى المعاد، ومن الأحداث التاريخية إلى الإخبارات الغيبية، ومن السنن الاجتماعية التي تحكم الأسرة والمجتمع والحكومات، مروراً بالقضايا الحقوقية والسياسية والاقتصادية ... و انتهاء بحالات الإنسان وهو على بوابة العالم الآخر في آخر لحظاته من الدنيا.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تقنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به» (2).

وقال (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب» (3).

وقال (عليه السلام): «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن غنى» (4).

ص: 333

1- ربما يكون بمقدور العلماء أن يصنعوا حبة حنطة أو ذبابة تشبه الحقيقية في الشكل والأجزاء والخلايا وغيرها، إلا أن (بعث الروح) يبقى هو غير الممكن للبشرية إلا بإذن الله، ولو توفرت المقتضيات كلها كان الله هو الباعث للروح لا غير كما قال عز وجل حكاية عن عيسى (عليه السلام): «إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله» [سورة آل عمران: 49].

2- غرر الحكم: ص 110 ح 1962.

3- غرر الحكم: ص 111 ح 1973.

4- غرر الحكم: ص 111 ح 1989.

والباهرة - والمصدر: البهر والبهور - هي التي تبهر الإنسان وتثير إعجابه بحسنها أو نورها وضيائها، وهي تتضمن معنى الغلبة والتفوق(1) أيضاً.

ثم إن من جملة أعلام القرآن الباهرة التي أشارت (عليها السلام) إليها:

قوله تعالى: [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون](2).

ومن جملة علاماته الباهرة: إخباره الغيبي ب«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...»(3).

ص: 334

-
- 1- كما تقول: بهر القمر أي فاق ضوءه ضوء الكواكب، وبهر الرجل أي فاق أقرانه، وبهرت فلانة سائر النساء أي غلبتهن حسناً وجمالاً، وبهرت الشمس أي أضاءت.
 - 2- سورة المائدة: 55.
 - 3- سورة آل عمران: 144.

من النواهي الإلهية

مسألة: يحرم الإتيان بما نهى عنه القرآن الكريم من المحرمات.

قولها (عليها السلام): (وزواجه لائحة) المراد بالزواج: النواهي.

و(لائحة) بمعنى: ظاهرة، نعم هناك فرق بين الظاهر واللائح، فإن (اللائح) هو: الذي يظهر بعد الإختفاء، بينما (الظاهر) أعمّ من ذلك ومن غيره، وإذا قوبل بينهما كان من قبيل الفقير والمسكين، أو من قبيل الظرف والجار والمجرور، وفي اصطلاح الأدباء: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).

قال تعالى: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً»(1).

وقال عزوجل: «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون»(2). ومما قضى به الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) تعيين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) قال عزوجل: «يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك»(3).

ومن زواجه اللائحة قوله تعالى: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله»(4) وقال (صلى الله عليه وآله): (من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)(5)، إلى غير ذلك.

ص: 335

1- سورة الأحزاب: 36.

2- سورة القصص: 68.

3- سورة المائدة: 67.

4- سورة الأحزاب: 53.

5- المناقب: ج 3 ص 332 فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إيها، وكشف الغمة: ج 1 ص 466.

وأوامره واضحة(1)

ومن الأوامر الإلهية

مسألة: يجب امتثال الأوامر القرآنية التي فرضها الله سبحانه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أيها الناس انه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه، وانما هلك من هلك عندما عصاه وخالفه واتبع هواه، فلذلك يقول عز من قائل: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»(2)»(3).

وقال (عليه السلام): «عليكم بهذا القرآن، احلوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه وردوا متشابهه إلى عالمه، فانه شاهد عليكم وافضل ما توسلتم به»(4).

قولها (عليها السلام): (وأوامره واضحة) أي أن أوامر القرآن كلها واضحة غير مبهمّة، يعرفها الإنسان الذي يعرف اللغة العربية، قال تعالى: «تلك آيات القرآن وكتاب مبين»(5).

ص: 336

- 1- وفي بعض النسخ: (وكتاب الله بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلّائله، نيرة شرائعه، زواجره واضحة، وأوامره لائحة).
- 2- سورة النور: 63.
- 3- غرر الحكم: ص 110 ح 1961.
- 4- غرر الحكم: ص 111 ح 1986.
- 5- سورة النمل: 1.

ومن أوامره: قوله تعالى: «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» (1).

وقوله سبحانه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ» (2).

وقوله عز وجل: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ» (3) و...

فلماذا الإعراض عن أمر الله؟

ولماذا إيذاء آل بيت رسول الله؟

ولماذا حرمان ابنته الزهراء (عليها السلام) من الإرث؟ و...

ومن المحتمل أن تكون هذه الجمل والجمل السابقة عليها تختلف عن أولى الجمل (4) إذا فسرت (الأُمور) بالموضوعات - لا بمعنى مطلق الشيء - والأوامر مدرجة في دائرة الأحكام كما هو مبين.

من ميزات القانون الإلهي

مسألان: يجب أن يكون (القانون) ظاهر الأمور وزاهر الأحكام وباهر الأعلامولائح الزواجر وواضح الأوامر، باعتبار أن القانون هو دستور حياة الناس، فلو لم يتصف بذلك لزم نقض الغرض - ولو في الجملة - ويلزم العبث

ص: 337

1- سورة الإسراء: 26.

2- سورة الشورى: 23.

3- سورة النساء: 11.

4- وهي (أمور ظاهرة).

.....
وما أشبه.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المتصف بهذه الصفات في أعلى الدرجات - كما بين في محله (1) - فكان الواجب إتخاذه مصدر التشريع (2) لا الإنجيل والتوراة وما أشبه، ولا القوانين الغربية والشرقية المستوردة (3).

وما يستنبط من الكتاب والسنة ينبغي أن يكون كذلك فالرسالة العملية للمراجع العظام و(الدستور أو القانون الأساسي) - بناء على صحته (4) - ومختلف القوانين واللوائح التي تصدرها الدولة ينبغي أن تكون كذلك قدر المستطاع.

ص: 338

1- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون.

2- ومن الواضح أن (السنة) مفسرة للكتاب وليست قسيماً له.

3- راجع (الهدى إلى دين المصطفى) للإمام البلاغي، و(الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف (قدس سره) و...

4- راجع حول هذا المبحث كتاب (الفقه: القانون) و(إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف (قدس سره).

هجر القرآن وتركه

مسألة: يحرم ترك القرآن وهجره، فإن ترك أحكام القرآن الواجبة والمحرمة من أشد المحرمات مع الإسناد، وعلى حسب الدرجات بدونه (1).

أما ترك القرآن في أحكامه المستحبة والمكروهة وقصصه (2) وما أشبه ذلك فإذا كان مصداقاً لهجر القرآن كما قال سبحانه وتعالى: « وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» (3) كان محرماً أيضاً، وإلا فترك المستحب وفعل المكروه ليس من المحرمات كما قرر في الفقه.

وفي علل الشرائع: «فإن قال فلم أمروا بالقراءة في الصلاة، قيل لأن لا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً بل يكون محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل» (4).

ص: 339

1- توضيحه أنه: قد يترك الإنسان العمل بالقرآن كسلاً أو جبناً أو شبه ذلك فتكون الحرمة على حسب درجات تلك المحرمات من صغيرة وكبيرة، وقد يتركه إستخفافاً به واستهانة، أو لأن الحكم قد ورد في القرآن وشبه ذلك فيكون عندئذ تركه للواجب القرآني وفعله للمحرم القرآني، من أشد المحرمات وإن كان ذلك الحرام من الصغائر في حد ذاته، فالأشدية بلحاظ (الإسناد).

2- ترك القرآن في قصصه يتصور بترك تدوالها - في الكتب والخطابات وشبه ذلك - ونسيانها، أو بترك الإلتعاض بها أو ما أشبه.

3- سورة الفرقان: 30.

4- علل الشرائع: ص 260.

وفي زيارة الإمام الحسن (عليه السلام): «وأصبح كتاب الله بفقدك مهجوراً»⁽¹⁾.

وفي الأثر: «إنه يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه»⁽²⁾.

قولها (عليها السلام): (قد خلفتموه وراء ظهوركم)، أي: أنكم تركتم العمل بالقرآن مع العلم أنه بهذه الصفات التي ذكرناها من الوضوح والظهور وما إلى ذلك، كالذي يخلف شيئاً وراء ظهره، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وهو كناية عن الإعراض وترك العمل به، بل اللامبالاة وعدم الإعتناء، لأن الإنسان إذا قدر شيئاً وقَدَّسه جعله أمامه.

ومن الواضح أن التعبير ب (وقد خلفتموه وراء ظهوركم) أقوى وأبلغ من (تركتموه)، وهذا الكلام منها (صلوات الله عليها): عتاب وتحذير وكشف وفضح وإدانة كما لا يخفى.

اتباع من هجر القرآن

مسائل: يحرم إتباع تلك الثلة الذين هجروا القرآن وتركوا أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يجوز الدفاع عنهم كأشخاص وكمنهج ومبادئ، بل وحتى السكوت على جرائمهم والرضا بأفعالهم.

ص: 340

1- البلد الأمين: ص 288.

2- كمال الدين: ص 66.

فإنهم كما صرحت (عليها السلام) قد خلقوا كتاب الله وراء ظهورهم ورغبوا عنه وحكموا بغيره، فأضحوا مصداق قوله تعالى: «من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (1).

ولو أتبعهم متبع لأصبح كما قالت (عليها السلام) ممن خلف كتاب الله وراء ظهره، وصدق عليه قوله سبحانه: «بئس للظالمين بدلاً» (2).

والحق أحق أن يتبع، ومن أن يكون المرء مصداق «بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون» (3).

ومن أن يكون من «همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق» (4).

ص: 341

1- سورة آل عمران: 85.

2- سورة الكهف: 50.

3- سورة الزخرف: 22.

4- الإرشاد: ص 227.

أرغبة عنه تريدون؟ (1)

الرغبة عن القرآن

مسألة: تحرم الرغبة عن القرآن، قال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» (2).

ذلك أعم من الرغبة عنه نفسياً أو فكرياً أو سلوكياً، ووجه الحرمة في الرغبة عنه نفسياً أنه من قبيل أصول الدين المرتبطة بالقلب كما هي مرتبطة بالعمل، هذا إذا فسرت الرغبة عنه بالإنكار أو عدم عقد القلب على صحته والإيمان به، وإن فسرت بعدم المحبة لم تبعد الحرمة أيضاً إلا فيمن فرض عدم اختيارية ذلك له - وهو فرض نادر وبعيد - فتأمل.

والظاهر أن الجمع بين الآية السابقة (3) وبين قوله تعالى في سورة «يس»: «ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون» (4) اختلاف المواقف في القيامة.

ص: 342

1- وفي بعض النسخ: (تدبرون).

2- سورة طه: 124 - 126.

3- سورة طه: 124 - 126.

4- سورة يس: 66.

ففي موقف قد يكون العاصي أعمى وفي موقف قد يكون بصيراً، فإن يوم القيامة خمسون ألف سنة ومن الواضح تعدد المواقف في مثل هذه المدة الطويلة، بل حتى إذا كانت سنة واحدة، كما هو المشاهد في الدنيا، فكيف بالآخرة وهي كما ذكر.

قولها (عليها السلام): (أرغبة عنه تريدون)، أي: أتريدون الإعراض عن القرآن، فإن الرغبة إذا تعدت ب: (عن) كان معناها الإعراض والنفرة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم أحد لبعض القوم الذين فروا: «أترغبون بأنفسكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹⁾، وإذا تعدت ب(في) كان معناها الإقبال، فالمعنى: أنكم تريدون شيئاً آخر غير القرآن وديانته ومنهجه.

هذا وعدم تداول القرآن الكريم، وعدم تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وعدم مدارسته والتدبر فيه، وعدم وجود دروس تفسير في المدارس - من الابتدائية إلى الجامعة، وإلى جوار الدروس الحوزوية من المقدمات إلى الخارج - بالشكل الكافي كماً وكيفاً وغير ذلك، ربما يعد من مصاديق الرغبة عن القرآن - ولو في الجملة - أعاذنا الله من ذلك.

ص: 343

الحكم بغير القرآن

مسألة: يحرم الحكم بغير القرآن، كما هو متعارف الآن في البلاد الإسلامية من العمل بقوانين الغرب والشرق، سواء في الأحوال الشخصية أم القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحقوقية والدولية وشبهها، ومنها الآيات الكريمة التي تركها المسلمون: قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» (1).

وقال سبحانه: «لا إكراه في الدين» (2).

وقال تعالى: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» (3).

وقال عز وجل: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» (4).

وقال سبحانه: «إنما المؤمنون أخوة» (5).

وقال تعالى: «إن هذه أمتكم أمة واحدة» (6).

ص: 344

1- سورة الشورى: 38.

2- سورة البقرة: 256.

3- سورة المطففين: 26.

4- سورة النحل: 90.

5- سورة الحجرات: 10.

6- سورة الأنبياء: 92.

وقال عزوجل: «يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به»(1)، إلى غير ذلك.

قال تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (2).

وفي آية أخرى: «فأولئك هم الظالمون»(3).

وفي آية ثالثة: «فأولئك هم الكافرون» (4).

فإن الانحراف عن أحكام القرآن يؤدي الى الفشل والعطب والتقهقر في الدنيا والآخرة، وهذا ما نشاهده في الحال الحاضر في البلاد الإسلامية حيث أنهم مع كثرتهم ووفرة معادتهم وثروتهم يعيشون حالة الفقر والتخلف والتأخر المشين(5).

ويمكن أن يستنبط من قولها (عليها السلام): (وأنى توفكون وكتاب الله ...) - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - إن القرآن الكريم هو المرجع في كل شيء، أي أن فيه ما يصلح للرجوع إليه في كل قضية وحادث وواقعة ومشكل، قال تعالى:

ص: 345

1- سورة النساء: 60، وقد تحدث الإمام المؤلف (رحمة الله) عن هذه الآيات الشريفة وغيرها في الكثير من كتبه ومنها: (الصياغة الجديدة)، (الفقه: السياسة)، (الفقه: الاقتصاد)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: الحقوق)، (الفقه: القانون)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، ... ومن كتيباته في هذا الحقل: (هكذا حكم الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) ...

2- سورة المائدة: 47.

3- سورة المائدة: 45.

4- سورة المائدة: 44.

5- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف (رحمة الله).

.....
«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ووهدي ورحمة وبشرى للمسلمين»(1).

وما فعلوه من غصب الخلافة ومصادرة فدك وإيذاءهم أهل البيت (عليهم السلام) كان مخالفة للقرآن وتركاً له.

ولا نقصد أن القرآن يبين كل ذلك بالتصريح، بل كليات القرآن ومختلف القرائن الأخرى تدل على هذه الأمور، ولهذا استدلت (عليها الصلاة والسلام) بالنسبة الى إرثها بآيات إرث الأنبياء (عليهم السلام) وآيات إطلاق الإرث، ومن الواضح أنه ما من حكم شرعي إلا وقد ذكر في القرآن على نحو الجزئية أو الكلية، بالتصريح أو التلميح. فإن في القرآن الحكيم رموزاً وإشارات، وفيه معادلات، لو عرفها الإنسان لأطلع على كل شيء بنحو التفصيل.

وفي استفادة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أقل مدة الحمل من الجمع بين الآيتين(2)، مؤشر على ذلك.

وفي الحروف المقطعة مؤشر آخر. وفي تسلسل السور - لا- على حسب ترتيب النزول - والآيات وعددها والحروف وتقابلاتها ... مؤشر آخر(3).

ص: 346

1- سورة النحل: 89.

2- قال تعالى: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» سورة البقرة: 233، وقال سبحانه: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» سورة الأحقاف: 15.

3- إذا أمكن أن يكون رمز كمبيوتر واحد مفتاحاً لفصل أو باب أو علم كامل، وإذا كانت هندسة (الأهرام) وزواياها تتضمن مباحث كثيرة في علوم الفلك والرياضيات وغيرها، فكيف لا يتيسر لخالق الكون أن يضمن كتابه رموز كل شيء!

وإن كان لم يودع علم ذلك كله إلا عند أهل البيت (عليهم السلام) حسب الكثير من الروايات.

وكنموذج مما يمكن استفادة الأحكام منه حتى لما يتجدد على مر الزمان، قوله سبحانه وتعالى: «خلق لكم» (1).

وقوله سبحانه: «وأحل لكم ما وراء ذلكم» (2). وقوله عز وجل: «أوفوا بالعقود» (3).

إلى غيرها من الآيات المطلقة أو العامة.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إنّ القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بينه للناس، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن، إلا وقد أنزل الله تبارك وتعالى فيه) (4).

وقال (عليه السلام): (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال) (5).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

ص: 347

1- سورة البقرة: 29. وقد تطرق الإمام المؤلف (رحمة الله) في (الفقه: الاقتصاد) إلى جملة إستنباطات من هذه الآية الشريفة، ومنها حق

الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية، والحق في حيازة المباحات وأنه محدد بإطار دائرة (لكم) و...

2- سورة النساء: 24.

3- يشمل العقود المستحدثة كعقد التأمين وغيره مما جمع الشرائط، والآية في سورة المائدة: 1.

4- تفسير القمي: ج2 ص451 سورة الناس.

5- المحاسن: ص267-268 ح355.

(قد وُلدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كَفِّي، إنَّ الله يقول: فيه تبيان كل شيء (1) (2).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله بعث محمدا (صلى الله عليه وآله) نبياً فلا نبي بعده، وأنزل عليه الكتاب فختم به الكتب فلا كتاب بعده، أحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ثم أومئ بيده إلى صدره وقال: ونحن نعلمه) (3).

نعم إن الإسلام قرر الأدلة الأربعة، على ما ذكره الفقهاء، وهي الكتاب والسنة والإجماع والعقل، والمراد بالسنة: الأعم من فعلهم وقولهم وتقريرهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وكون السنة مخصصة للقرآن الكريم ومقيدة له، مما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (4). وقوله سبحانه: «اليوم أكملت لكم دينكم (5) وأتممت عليكم نعمتي

ص: 348

1- إشارة الى قوله تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» سورة النحل: 89.

2- بصائر الدرجات: ص 197.

3- كشف الغمة: ج 2 ص 197.

4- سورة الحشر: 7.

5- إذ إكمال الدين تم بتعيين خليفة رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله)، بحيث يرجع إليه القاصي والداني في كل مسألة ومعضلة، في الأصول والفروع، في الشؤون الفردية والاجتماعية، وفي شؤون الحكم الى غير ذلك.

ورضيت لكم الإسلام دينا» (1).

قولها (عليها السلام): (أم بغيره تحكمون)، أي: تحكمون بغير القرآن، ومن المعلوم أن غير القرآن هو الجاهلية والضلال، وأن القرآن حق وغير القرآن باطل، وفي هذا الكلام دلالة على وجوب الأخذ بالقرآن، كما يقتضي حرمة الحكم بغير ما في القرآن الحكيم، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي مع القرآن والقرآن مع علي» (2).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لانفارقه ولا يفارقنا» (3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما بيّن خلفائه من أمته وأن أولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم من بعده الحسن (عليه السلام) ومن بعده الحسين (عليه السلام) ثم تسعة من ولد الحسين (عليهم السلام): «القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي» (4).

ص: 349

1- سورة المائدة: 3.

2- كشف الغمة: ج 1 ص 148.

3- كمال الدين: ص 240، وقريب منه في بصائر الدرجات: ص 83.

4- كمال الدين: ص 277.

«بئس للظالمين بدلاً» (1)

بئس للظالمين

مسألة: يستفاد من إستنادها (عليها السلام) إلى الآية الشريفة: «بئس للظالمين» أن ما فعلوه من غضب الخلافة وإيذاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وخذلانهم لهما (عليهما السلام) ... جعلهم في عداد الظالمين، وقد قال تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» (2).

ويلزم الاعتقاد بذلك (3) على حسب دلالة متواتر الروايات الواردة في باب التبري وغيره، ولأنه من الاعتقاد بالأمر الأصولية، فإن كثيراً من شؤون الأصول الخمسة ترجع إليها وإن كان بعضها مما لا يُعلم بوجود الاعتقاد بجميع خصوصياتها وإن كان يحرم إنكارها، مثلاً خصوصيات العرش وخصوصيات الجنة والنار وما أشبهه، وبعض الخصوصيات المتعلقة بالمعصومين (عليهم السلام) من قبيل كناههم وعدد أولادهم وما أشبه ذلك، على تفصيل ذكره علماء الكلام مما هو خارج عن مبحثنا.

وفي استنادها (عليها السلام) إلى هذه الآية الشريفة دلالة أخرى عميقة، حيث إن

ص: 350

1- سورة الكهف: 50.

2- سورة البقرة: 124.

3- أي بما ذكر من ان ما فعلوه جعلهم في عداد الظالمين.

.....
كامل الآية هو «إلا- إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً» (1)، فليتدبر.

قولها (عليها السلام): «بئس للظالمين بدلاً»، أي: بئس ما إختاروه لأنفسهم بديلاً عن القرآن وأحكامه وديساتيره، حيث بدّلوا القرآن بغير القرآن واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وحكموا بالباطل والجور، إرضاءً وإشباعاً لشهواتهم الزائلة.. وقد قال سبحانه: «للظالمين» كناية عن أن الذي يستبدل القرآن بغير القرآن فهو من الظالمين أي أن الاستبدال هو ملاك الظلم وسبب اتصافهم بهذه الصفة وإن شمل اللفظ من كان متصفاً بها من قبل.

أقسام الظلم

مسألة: الظلم المحرم يشمل ظلم النفس وظلم الشعب وظلم الأجيال القادمة.

والقوم بغضبهم الخلافة وعزل آل الرسول (صلى الله عليه وآله) عنها وتغيير منهجه (صلى الله عليه وآله) قد ظلموا أنفسهم والناس وكل الأجيال القادمة على مر العصور، أسوأ الظلم وأشدّه.

وإستشهادها (عليها السلام) بالآية الشريفة، والإطلاق الازماني والاحوالي في

ص: 351

«للظالمين»، وشهادة الآثار الوضعية الخارجية العينية، دليل على ذلك، وقد ورد النهي الشديد عن الظلم:

قال (صلى الله عليه وآله): «وإياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة»⁽¹⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم»⁽²⁾.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة»⁽³⁾.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه لم يزل الله عز وجل معرضاً عنه، ماقتاً لأعماله التي يعملها من البر والخير، لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويرد المال الذي أخذه إلى صاحبه»⁽⁴⁾.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله تعالى عليه من يظلمه فان دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»⁽⁵⁾. نعم إن ما أبدلوا به كان بسس البدل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينياً وفي شتى الجهات الأخرى.

ص: 352

1- الخصال: ص 176 ح 235 باب الثلاثة.

2- الخصال: ص 355 باب السبعة ح 36.

3- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 272 باب عقاب من ظلم.

4- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 273.

5- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 274.

قال تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (1).

وليست الولايات والدواهي والفتن والمحن التي مرت بالمسلمين منذ ذلك اليوم وحتى الآن إلا وليدة ذلك الظلم الذي عُدَّ الحجر الأساس في تحريف مسار التاريخ عن منهج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي كان سيكفل للبشرية جمعاء السعادة لو طبق، الى منهج الظلم والاستبداد والجهل والأثرة والتخلف والانحطاط...

و(بس) تكشف عن حقيقة خارجية وتدلل على الأثر الوضعي الدنيوي كما تفصح عن واقع الحال في الآخرة أيضاً.

ص: 353

«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»

إشارة

«ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (1)

أصول الدين

مسألة: عدّ جماعة أصول الدين ثلاثة وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وأصول المذهب خمسة بإضافة العدل والإمامة، والمستفاد من استدلالها (صلوات الله عليها) بهذه الآية الشريفة «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً...» (2)، أن الإمامة من أصول الدين، ومنكرها قد ابتغى غير الإسلام ديناً في الموضوع لا الحكم، فتأمل، وعلى ذلك روايات كثيرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ان الولاية من بعدي لعلي والحكم حكمه، والقول قوله، لا- يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن» (3).

وعنهما (عليهما السلام): «في قولته تعالى: «ليخرجكم من الظلمات إلى النور» (4) يقول: من الكفر إلى الإيمان يعني إلى الولاية لعلي (عليه السلام)» (5).

ص: 354

1- سورة آل عمران: 85.

2- سورة آل عمران: 85.

3- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 348 المجلس 55 ح 7.

4- سورة الأحزاب: 43.

5- المناقب: ج 3 ص 80.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): («والذين كفروا» (1) أي بولاية علي (عليه السلام) «أولياؤهم الطاغوت» نزلت في أعدائه ومن تبعهم، أخرجوا الناس من النور، والنور ولاية علي (عليه السلام) فصاروا إلى الظلمة ولاية أعدائه» (2).

وفي قوله تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» (3) قال أبو الحسن الماضي (عليه السلام): «يريدون يطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم والله متمم نوره: والله متمم إمامة» (4).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها» (5) قال: «هي الولاية» (6).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً» (7) قال: «نزلت فيمن آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه، فعلي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين حيث قالوا له: بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثم كفروا حين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يقرؤا بالبيعة ثم ازدادوا

ص: 355

1- سورة البقرة: 257.

2- المناقب: ج 3 ص 81.

3- سورة التوبة: 32.

4- المناقب: ج 3 ص 82.

5- سورة الروم: 30.

6- تأويل الآيات: ص 427 سورة الروم.

7- سورة النساء: 137.

.....
كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهمفهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء»(1).

وعن أبي سعيد الخدري قال: «تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: «لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون»(2) ثم قال: أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعليّ الولاية بعدي، وأصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علياً بعدي..»(3).

لا يقال: إن كلامها (عليها السلام) عن القرآن وتركه وراء الظهر.

لأنه يقال: إن مصبّ كلامها (عليها السلام) هي خلافة الإمام علي (عليه السلام) واعتراضها عليهم بأن الإعراض عنه إعراض عن القرآن، وأنهم بذلك صاروا مصداق «بئس للظالمين بدلاً»(4)، و«ومن يتبغ غير الإسلام ديناً»(5).

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»(6) قال (عليه السلام): «يهدي إلى الولاية»(7).

وفي حديث آخر: «يهدي إلى الإمام»(8).

ص: 356

1- راجع تفسير العياشي: ج 1 ص 281 سورة النساء، ح 289.

2- سورة الحشر: 20.

3- تفسير فرات الكوفي: ص 477 ح 623 سورة الحشر.

4- سورة الكهف: 50.

5- سورة آل عمران: 85.

6- سورة الإسراء: 9.

7- تفسير العياشي: ج 2 ص 283.

8- تفسير العياشي: ج 2 ص 282.

وذلك يبين أيضاً من قولها (عليها السلام) (والرسول (صلى الله عليه وآله) لَمَّا يقبر) أو ليس نصب غير الإمام خليفة في السقيفة هو الذي كان قبل أن يقبر الرسول (صلى الله عليه وآله)؟

ومن قولها: (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة).

ويدل عليه أيضاً قولها: «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين».

ثم إن معنى (فلن يقبل منه) هل هو المطلق أو النسبي، أي قبولاً مطلقاً أم قبولاً كما يقبل عن المؤمنين، وبعبارة أخرى هل (القبول المطلق) هو المنفي أو (مطلق القبول)؟ قد يختلف باختلاف المصاديق.

ثم إن الكفار على ثلاثة أقسام أو أكثر: الذميون والمحايدون والمعاهدون، وهؤلاء يحقن دمهم ومالهم وعرضهم، وأما الكفار في القسم الرابع وهم المحاربون، فإنهم يحاربون حسب موازين الإسلام، كما قال سبحانه: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» (1).

هذا ويحتمل أن يكون المراد عدم القبول أخروياً ولا منافاة بينهما.

و(ابتغاء غير الإسلام ديناً) يشمل الأقوال والأعمال، سلباً وإيجاباً - فهذه أربع صور - :

بأن يقول ما لا يقوله الإسلام (2).

ص: 357

1- سورة التوبة: 36.

2- كقوله تعالى: «ولقد قالوا كلمة الكفر» سورة التوبة: 74.

أولا يقول ما يقوله الإسلام(1).

أو يعمل ما لا يريد الإسلام عمله(2). أو لا يعمل ما أراده(3)، فإن الإسلام عقيدة وقول وعمل، وعلى هذا فالأقسام ستة.

قال الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»(4).

وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال جبرئيل: قال الله تعالى: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني كان آمنا) وقال الإمام (عليه السلام): بشروطها وشروطها المعرفة الولاية والعمل بالأركان»(5).

ثم انه يجب الاعتقاد بمضمون هذه الآية الشريفة(6) كبرى، وبمصاديقها صغرى - في الجملة - ، ومنها ما قام به القوم من غضب الخلافة، وعلى ذلك دلت الأدلة الأربعة.

ص: 358

1- كعدم نطقه بالشهادتين.

2- كقوله: «وهموا بإخراج الرسول» [سورة التوبة: 13]، و«يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به» سورة النساء: 60.

3- كقوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» [سورة الشورى: 23] و«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» سورة النساء: 59.

4- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 226.

5- أعلام الدين: ص 356.

6- سورة آل عمران: 85.

الطريق إلى الله

مسألة: الآية صريحة في نفي ما ذهب إليه بعض المذاهب الباطلة(1)، من أن الأديان والمذاهب كلها طرق إلى الله تعالى وإن من تمسك بأي منها فهو ناج، أو أن القلب وسلامته هي المعيار لا العمل، أو أن هنالك طريقة تغاير الشريعة وما أشبه ذلك.

كما أن استدلالها (عليها السلام) بالآية في المقام نفي لصحة المذاهب الأخرى غير المذهب الجعفري الاثنا عشري، وهي عبارة أخرى عن الروايات الصحيحة التي تصرح ب «ستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين إحداها ناجية وسايرها هالكة»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون في النار»(3).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قول النبي (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وهم المتمسكون بولايتكم، لا يعملون برأيهم، أولئك ما عليهم من سبيل»(4).

ص: 359

1- كالبهائية، وكقسم من العرفاء القائلين بوحدة الوجود ووحدة الموجود وكبعض الصوفية ومن أشبهه.

2- المناقب: ج 3 ص 72.

3- الصراط المستقيم: ج 2 ص 96.

4- الصراط المستقيم: ج 2 ص 126.

وفي حديث آخر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) افترق قومه ثلاث فرق، فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وان أمتي ستفترق ثلاث فرق، فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الشاكون، وفرقة غلاة فيك فهم الجاحدون، وأنت يا علي وشيعتك ومحبو شيعتك في الجنة، وأعداؤك والغلاة في محبتك في النار»(1).

الخلافة والظلم

مسائل: لا يصلح من يكون ظالماً، أو في حكم غير المسلمين، أو من يكون من الخاسرين في الآخرة، لخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولا يجوز إستخلافه، ولا تكون له الشرعية، ولا لأقواله وأفعاله الحجية، ويلزم الاعتقاد بما ذكر وقد قال سبحانه جواباً لإبراهيم (عليه السلام): «لا ينال عهدي الظالمين»(2).

مسائل: لا يصلح من يكون ظالماً، أو في حكم غير المسلمين، أو من يكون من الخاسرين في الآخرة، لخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولا يجوز إستخلافه، ولا تكون له الشرعية، ولا لأقواله وأفعاله الحجية، ويلزم الاعتقاد بما ذكر وقد قال سبحانه جواباً لإبراهيم (عليه السلام): «لا ينال عهدي الظالمين»(3).

لا يقال: هل سأل إبراهيم (عليه السلام) من ربه (العهد) للظالمين أو العادلين، فإن سأل للظالمين فهو مستبعد منه (عليه السلام) وإن سأل للعادلين فلم يكن هذا الجواب جواباً له؟

لأنه يقال: إن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) طلب العهد في الجملة، وإنما فصل الله سبحانه وتعالى ونوه إلى أنهم بين عادل وظالم، لتنبية الناس على هذه

ص: 360

1- مائة منقبة: ص 80 المنقبة 48.

2- سورة البقرة: 124.

3- سورة البقرة: 124.

الحقيقة (كبرى) وإلى أنه لا يليق بالخلافة من كان ظالماً (صغرى)، وتفصيل البحث في علم الكلام. قولها (عليها السلام): «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (1).

فإن الذي يبتغي غير الإسلام ديناً وطريقة في حياته، سواء عقيدة أو عملاً لن يقبل منه في الدنيا في الجملة (2)، ويسبب له ذلك انحطاطاً وانحرافاً وذنكاً في معاشه وفي سائر مجالات حياته الدنيا.

ولن يقبل منه في الآخرة أيضاً، قال تعالى: «وهو في الآخرة من الخاسرين» (3).

وقال سبحانه: «الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» (4)، لأن الدنيا مزرعة الآخرة (5)، فقسم من الناس يزرعون ما ينفعهم هناك، وقسم من الناس يزرعون ما لا يضر ولا ينفع (6)، وقسم من الناس يزرعون ما يضرهم هناك.

ص: 361

1- سورة آل عمران: 85.

2- قوله (رحمة الله) في الجملة: إشارة إلى ما سبق في المسألة السابقة.

3- سورة آل عمران: 85

4- سورة الزمر: 15.

5- الإرشاد: ص 89 ب 22، تنبيه الخواطر: ج 1 ص 92.

6- ككثير من الناس الذين يصرفون أوقاتهم في السهرات (إن لم تتضمن محرماً كالغيبة والتهمة والنميمة وغيرها وإلا كانت السهرة محرمة).

فأهل الباطل يخسرون رأس المال والأرباح المفترضة(1)، بل إنهم يحتطبون أوزاراً ويحملون أثقالاً ويشرون سعيراً، بينما الذكي الفطن هو من يحافظ على رأس ماله ويربح فوق ذلك (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (2).

نسأل الله عزوجل أن يجعلنا من المتمسكين بولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (عليهم السلام).

ص: 362

-
- 1- رأس المال هو العمر، والقدرات التي منحها الله للإنسان ليستخدمها في عمارة آخرته هي (كالذكاء والصحة وماء الوجه)، والأرباح المفترضة: «رضوان من الله» [سورة التوبة: 72]، و«جنة عرضها السماوات والأرض» [سورة آل عمران: 133].
- 2- أعلام الدين: ص 268.

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها

إشارة

ثم لم تلبثوا(1) إلا ريث(2) أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها

ومكروا ومكر الله

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) حرمة ما فعله القوم حيث لم يلبثوا إلا ريث سكون نفرتها وسلس قيادتها.

ويحتمل في قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا...) أن يكون إنشاء كما يحتمل أن يكون إخباراً، فعلى الأول - على تأمل فيه - فإن هذا يتضمن تهديداً لهم وعلى ما فعلوه بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنه سيعود - بشناره وضرره - على أنفسهم، وذلك نتيجة أعمالهم المنحرفة ونتيجة إعراضهم عن أحكام القرآن ورسائل الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قال سبحانه: [ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله (3)].

وقال تعالى: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»(4).

وقال سبحانه: «يخادعون الله وهو خادعهم»(5).

وقال تعالى: «ويمكرون ويمكر الله»(6).

ص: 363

- 1- وفي بعض النسخ: (ثم لم تبرحوا ريثاً)، وفي بعضها: (هذا ولم تريثوا حتها إلا ريث) وفي بعضها: (ثم لم تريثوا اختها).
- 2- أي مقدار.
- 3- سورة فاطر: 43.
- 4- سورة آل عمران: 54.
- 5- سورة النساء: 142.
- 6- سورة الأنفال: 30.

.....
وقال سبحانه: «قل الله أسرع مكرًا»(1).

لا يقال: إن... (2) يريد الماكرين فلا يحيط المكر السيئ. لأنه يقال: هذا على حسب اقتضاء طبيعة الأشياء وقد ذكرنا فيما سبق أن القضايا غالباً طبيعية.

هذا أولاً.

وثانياً: أنا إذا لاحظنا أن الدنيا والآخرة كوجهي الشيء الواحد وأن الآخرة امتداد للدنيا بوجه كما فصلناه في بعض كتبنا(3)، فلا إشكال في أن المكر يعود إلى الماكر سواء في الدنيا أو في الآخرة.

وأما أن الله سبحانه وتعالى أسرع مكرًا، فلأنه سبحانه يعلم مسبقاً بمكرهم ومخططاتهم ولذلك فإنه يهيأ أسباب المكر لهم، ويكون مكره أسرع من مكرهم(4) والمكر عبارة عن معالجة الأمور بنحو خفي حتى يوقع غيره فيما يريد الفرار منه(5).

ص: 364

1- سورة يونس: 21.

2- في المخطوطة ههنا كلمة أو كلمات غير واضحة، ولعل المراد: لا يقال: إننا نلاحظ كثيراً من الماكرين لا يحيط بهم مكرهم السيئ ولا يرون العاقبة السيئة للمكر، فأجاب المصنف: أولاً: بأن هذه القضايا غالبية وهي بنحو المقتضي لا العلة التامة. وثانياً: لنا أن نلتزم بأن هذه القضايا دائمية، وأن المكر السيئ يحيق بأهله إما في الدنيا أو في الآخرة.

3- راجع موسوعة الفقه: المدخل، كتاب العقائد، و(التفسير الموضوعي للقرآن) للإمام المؤلف (قدس سره).

4- الذي يبدو أن الإمام المصنف (رحمة الله) فسر (أسرع مكرًا) ب (أسرع في إعداد مقدمات ووسائل المكر) لا الأسرع في إنفاذ المكر نفسه.

5- أي حتى يوقع الطرف الآخر في المصيدة وفي المحذور الذي فر منه.

الحيلة من أهل الباطل

مسألة: الواجب أن لا يغتر المؤمنون من سكنون أهل الباطل وهدوئهم ودعتهم الظاهرية، إذ ربما يكونون قد بيتوا شراً مستطيراً.

ومعنى ذلك الأخذ بلوازم الحيلة والحذر، وليس ذلك يعني مصادرة حرياتهم المكفولة شرعاً أو التضيق عليهم ومعاملتهم كمجرمين، إذ لا قصاص قبل الجناية، ولا يؤخذ بالظنة أو التهمة في الشريعة السمحة السهلة.

نعم من دأب الظالمين والمستبدين القصاص قبل الجناية بل ومن غير قصد، والأخذ بالظنة وما أشبه.

وقد كتب الإمام الحسين (عليه السلام) جواباً لكتاب معاوية:

«ابشر يا معاوية بقصاص واستعد للحساب واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة وقتلك أولياءه بالتهمة ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى الغربية والوحشة»⁽¹⁾.

ثم إن هذه الجملة، من كلامها (صلوات الله عليها) تعد إحدى أدق الدراسات وأجمل التعابير في الأدب التصويري عن طبيعة المنحرفين في المجتمع ونفسياتهم، فهم يتبعون خطوات الشيطان في المراوغة، والتظاهر، والتستر، والمكر، واتباع سياسة الكر والفر، وسياسة الخطوة خطوة، وسياسة خطوة إلى الخلف وخطوتان إلى الأمام.

ص: 365

أقسام المكر

مسألة: المكر على قسمين:

فمنه: مكر صحيح محمود هو مقتضى العدل والعقل (1) واللفظ، وهو ما كان من باب مقابلة المكر بالمكر، وفي حدوده الشرعية، أي ما كان في مواجهة مكر وحيلة وتضليل وتدليس وظلم الطغاة والمنحرفين والضلال.

ومنه: مكر فاسد مذموم، وهو الابتداء بالمكر مما يعد ظلماً وتحايلاً على الحق لصالح جبهة الضلال والظلام، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فاني سمعت جبرئيل يقول ان المكر والخديعة في النار» (2). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المكر سجية اللئام» (3).

وقال (عليه السلام): «إياك والمكر فان المكر لخلق ذميم» (4).

وقال (عليه السلام): «المكر والخديعة والخيانة في النار» (5).

وقال الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): (ولا تمكر بي في حيلتك) (6) أي لا تمكر بي في علاجك للأمور.

ص: 366

1- غير خفي أن العدل في الله عز وجل وفي الخلق، والعقل في غيره جل وعلا.

2- الأماي للشيخ الصدوق: ص 270 المجلس 46.

3- غرر الحكم: ص 29 ح 6481.

4- غرر الحكم: ص 291 ح 6486.

5- الجعفریات: 171.

6- الإقبال: ص 67 و 148.

ومن المحتمل أن قولها (عليها الصلاة والسلام): (لم تلبثوا إخباراً لا إنشاءً أي لما سكنت نفرة الخلافة - تشبيهاً لها بالفرس الجموح أو الناقة الهائجة بالنسبة لهم - واسلست السلطة لكم قيادتها، وثبتم على الحكم وانهزتموها فرصة سانحة وأخرتم من عينه الله خليفة لرسوله (صلى الله عليه وآله)).

قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها). ريث بمعنى: قدر، وقد يضاف عليها (ما) فيقال: (ريثما) أي: قدر ما، فقد لبثتم هادئين - ظاهرياً - بانتظار ساعة الصفر وهي (عندما تسكن نفرتها ويسلس قيادها).

قولها (عليها السلام): (ويسلس قيادها)، بمعنى: سهولة القيادة والانتقاد.

ومعنى الجملتين (1) أن الخلافة كانت حين عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه

الصلاة والسلام) كالفرس الجامح الصعب بالنسبة لكم، لا ينقاد لأحد منكم وأشباهكم، ولا تكون قيادته أمراً سهلاً، إنها كانت كذلك بسبب حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقوته وخشية الأعداء منه، فلم تتمكنوا أن تأخذوها كما تشاءون، لكن لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانشغل الإمام علي (عليه السلام) بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) - إضافة إلى أن وصيته (صلى الله عليه وآله) قد قيده (2) - صارت الخلافة كفرس ذلول فلانشوز لها عنكم، وتمكنت من قيادها بسهولة، ولذا ركبتموها وأخذتم بزمامها، ولم يكن زهدكم عن الخلافة في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا بقدر و بانتظار أن تأتي الخلافة بهاتين الحالتين: حالة السكون وحالة السلاسة، فكان الأمر تكتيكاً منكم وبحثاً عن الفرص وترصباً للدوائر.

ص: 367

1- بناء على كونهما إخباراً لا إنشاءً.

2- أي وصيته (صلى الله عليه وآله) للإمام (عليه السلام) بان لا يشهر سيفه وبأن يصبر على غضب حقه رعاية للإسلام. راجع بحار الأنوار: ج 28 ص 300 ب 4 ح 48.

الإعانة على الإثم

مسألة: يستفاد من إطلاق خطابها(1) (عليها السلام) وتوجيهه للمجموع، شموله لمن قاد المؤامرة ولمن أعان عليها، بل ربما أمكن القول بشموله لمن سكت أيضاً، فإنه نوع معونة عقلاً أو عرفاً، كما ورد في الساكت عن الغيبة، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الساكت شريك المغتاب»(2).

باعتبار أن سكوت جمع كبير من الناس عن الظلم يعد من العلل المعدة لوقوعه وتحققه فتأمل.

فكما أن اقتراف الإثم والظلم والغصب محرم كذلك الإعانة عليها محرم أيضاً. قال تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»(5).

ص: 368

- 1- أي في قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا) و(ثم أخذتم تورون).
- 2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 119 باب الغيبة.
- 3- سورة المائدة: 2.
- 4- الأماي للشيخ الصدوق: ص 426 المجلس 66.
- 5- الخرائج والجرائح: ص 1058.

وقال (صلى الله عليه وآله): «من دل جائراً على جور كان قرين هامان في جهنم»(1).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «من أعان ظالماً فهو ظالم»(2).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل اللهساخط عليه حتى ينزع من معونته»(3).

وقال (عليه السلام): «لا ينجو من أعان علينا، ولا يعان من أسلمنا»(4).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحاً من درّ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من نار»(5).

التفكيك بين الظلم والظالم

مسألة: من المحرمات الإعانة على (ذات الظلم والعدوان) كما تحرم إعانة الظالم على ظلمه، والفرق:

إنه قد يكون هناك ظلم صادر عن فاعل مكلف مختار جامع لسائر الشرائط، فهاهنا قد اجتمع الظلم والظالم.

ص: 369

1- الأماي للشيخ الصدوق: ص 426 المجلس 66.

2- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 2 ص 235.

3- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص 247 باب عقاب من ظلم.

4- تحف العقول: ص 121، وتفسير الفرات: ص 366 ح 499 سورة الزمر.

5- كشف اليقين: ص 234 المبحث السابع.

وقد يكون هنالك ظلم دون أن يوجد ظالم كما لو صدر الظلم أو الجرم أو العدوان عن غير المكلف بوجه من الوجوه، كما لو ضرب المضطر أو المجهور أو المجنون أو الغافل الساهي، إنساناً، وكما في تعدي الحيوان على الإنسان، فإن أعان شخص ذلك الضارب المضطر أو المجنون أو... كان معيناً للظلم وان لم يكن معيناً للظالم لفرض الانفكاك، وقد تطرقوا إلى شبه هذا المبحث في باب التجري والقبح الفاعلي والفعلي.

وكون ظاهر العناوين: القصدية لا يضر بعد وجود القرينة هاهنا(1) فتأمل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته، أو قاتلهم، أو أعان عليهم، أو سبهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم»(2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما نزلت هذه الآية: «يوم ندعو كل أناس بإمامهم»(3) قال المسلمون: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أأنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة

ص: 370

1- الظاهر أن المراد: ما ذكره الفقهاء من أن أي فعل يسند إلى المكلف (كالظلم والبيع والعقد والايقاع) ظاهره انه فعله قاصداً له ف: (باع) أي باع قاصداً للبيع، و(ظلم) كذلك، اذن الظلم يعني الظلم قاصداً له، فهناك تلازم بين الظلم والظالم، فأجاب بأن الظهور يتمسك به مع عدم وجود قرينه على الخلاف، والفرض أنه (رحمة الله) قد صرح ب (الظلم لا عن قصد) عندما قسم النوع وفكك، فليدقق جيداً.

2- روضة الواعظين: ص 273.

3- سورة الإسراء: 71.

.....
على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال واشياعهم، ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ»(1).

الرضا بفعل الظالم

مسألة: يحرم الرضا بفعل الظالم، وذلك فيما إذا كان الظلم في أمر يتعلق بأصول الدين.

وأما إذا كان الظلم في فروع الدين فالمشهور بينهم عدم الحرمة كما إذا اغتصب إنسان مال إنسان وكان المغتصب منه إنساناً عادياً - لا مثل السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) - فان رضي شخص آخر بهذا الغصب (العادي) فلا يعلم بكونه فاعلاً للحرام وان كان ذلك من رذائل الأخلاق ومما يكشف عن سوء السريرة كالحسد مثلاً ما لم يظهر، وقد ذكروا هذا المبحث أيضاً في باب التجري في الأصول وعلم الكلام.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء فيه»(2). ومثله باختلاف يسير في تحف العقول(3).

ص: 371

1- بصائر الدرجات: ص33.

2- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 1 ص 17.

3- تحف العقول: ص 216 وفيه: «شركاء ثلاثة».

وقال (عليه السلام): «إياك ومصاحبة أهل الفسوق فان الراضي بفعل قوم كالداخل معهم»(1).

وقال (عليه السلام): «لكل داخل في باطل إثم إن إثم الرضا به وإثم العمل به»(2).

تقوية شوكة الظالمين

مسألة: تحرم تقوية شوكة الظالمين.

وذلك كالمشي في ركاب الظالم حيث يكون شوكة له وإن لم يكن الظالم في حال الظلم.

وكالاشتراك في المؤتمرات والمجالس التي يعقدها الظالم وشبه ذلك.

فإن المستفاد من الروايات حرمة ذلك في الجملة، بل لعله يعد من الركون أيضاً، ولو في بعض المصاديق، قال سبحانه: «ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار»(3). بل ورد في الحديث الشريف: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»(4).

وورد: «من قر صاحب بدعة فقد أعان على الإسلام»(5).

ص: 372

1- غرر الحكم: ص 433 ح 9885.

2- غرر الحكم: ص 331 ح 7633.

3- سورة هود: 113.

4- المناقب: ج 4 ص 251.

5- الصوارم المهركة: 16.

وقال (صلى الله عليه وآله): «من مشى مع ظالم ليعينه فقد خرج من الإسلام، ومن أعان ظالماً ليطل حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام) في حديث وجوه معاش العباد: «وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالي الجائر، وولاية ولاته، الرئيس منهم، وأتباع الوالي فمن دونه من ولاية الولاة إلى أذنانهم باباً من أبواب الولاية على من هو وال عليه، والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام محرّم، معذب من فعل ذلك على قليل من فعله أو كثير، لأنّ كلّ شيء من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر. وذلك أنّ في ولاية الوالي الجائر دوس الحق⁽²⁾ كلّّه، وإحياء الباطل كلّّه، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد، وتبديل سنّة الله وشرائعه، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلاّ بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الديمومية»⁽³⁾.

قولها (عليها السلام): (ثم أخذتم) أي: بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، و(ثم) تستخدم للدلالة على الفصل الزمني كما تستخدم للدلالة على الترتيب الرتبي.

قولها (عليها السلام): (تورون وقديتها) أي: تشعلون وقود النار..

والوقود هو العلة المادية للنار حدوثاً وبقاءً، فبه توجد النار وبه تبقى، قال سبحانه:

ص: 373

1- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج2 ص233.

2- داسه: أي وطأه برجله وتحت أقدامه.

3- تحف العقول: حديث وجوه معاش العباد، عن الإمام الصادق (عليه السلام).

.....
«قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة»(1) فنار الآخرة على خلاف النيران المتعارفة في الدنيا التي توقد بسبب الحطب والفحم والغاز وما أشبه ذلك.

ومن وقود الفتنة كان إثارة الأحقاد البدرية والحنينية والخيرية، والحقد والحسد المتمركز على أمير المؤمنين (عليه السلام) لكونه قاتل جمع كثير منهم في حروبهم ضد الرسول (صلى الله عليه وآله) ولاختصاصه بالفضائل الجمة دون غيره.

ومن وقود الفتنة كان أيضاً الأهواء والشهوات وحب السلطة والرئاسة والجاه والمال، ذلك أن قادة المؤامرة أخذوا يذكرون هذه العوامل في صدور الناس كي يعينوهم على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وليتسلموا السلطة ويصفو لهم الجو.

وقد يكون كناية عن أنكم أخذتم بأزمة الخلافة لأنفسكم وتوقدون نارها لمصالحكم حتى تستفيدوا من الخلافة، فالإنسان الذي ينقلب على الحق ويصادر حقاً أقره الله لغيره لا محالة يكون هدفه الاستفادة منها في أغراضه وأهدافه الشخصية التي يملئها عليه الشيطان والهوى والنفس، ولعل لذلك كان عطفها (عليها السلام) ب (وتستجيون لهاتف الشيطان الغوي).

ما يؤدي إلى الغضب

مسألة: كما يحرم أصل الغضب، يحرم أيضاً كل ما يؤدي إلى استحكامه وتجذره وثباته ودوامه وتوسّعه.

ص: 374

وهذا ما كُتبت (عليها السلام) عنهنقولها: (وتهيجون جمرتها)، والجمر عبارة عن: الفحم الذي يسجر ناراً ويشتعل، فانهم كان يهيجون جمره الخلافة للاستفادة منها في مآربهم.

وهي (صلوات الله عليها) مرة شبهت الخلافة بالفرس أو البعير أو ما أشبه ذلك حيث يركبه الإنسان للوصول إلى هدفه، ومرة شبهها بالنار التي كان ينبغي أن ينتفع منها الإنسان في قبسه وسائر مآربه.

ولعل التشبيه ب (تورون وقدها..) بلحاظ المقام، باعتبار أن عملهم باغتصاب الخلافة كان كالنار المحرقة التي « لا تبقي ولا تذر»(1).

ولا يخفى لطف التعبير ب (تورون وقدها) تنظيراً لغصبتهم الخلافة ب «النار التي وقودها الناس والحجارة»(2).

وربما تستبطن عبارة (وتهيجون جمرتها) فيما تستبطن الدلالة الكمية والكيفية في محاولاتهم، فإنهم كانوا يرومون تكريس سلطتهم وتجزير ملوكيتهم وتوسعة سلطانهم فكانوا حثيثي السعي لكسب المزيد من الأنصار ولكسر شوكة الأخصار، ومن ذلك كان إصرارهم الشديد على أخذ البيعة من الكل بلا استثناء، وكانت هذه معصية أخرى منضمة إلى معصية أصل غصب الخلافة كما لا يخفى.

ص: 375

1- سورة المدثر: 28.

2- سورة البقرة: 24.

الاستجابة لهتاف الشيطان

مسألة: إجابة هتاف الشيطان بما هو هو يتبع حكم متعلقه، وباعتبارها منه مسنداً إليه ان عاد إلى مكابرة الله والعناد معه موجب للكفر، وإلا فمحرم في الجملة، فتأمل.

قال تعالى: «انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون»⁽¹⁾.

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) بعد أن بايعه الناس: «وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم فانه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفتنان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم»⁽²⁾.

والشيطان يهتف بالحرام والمكروه وترك الأولى، مثل أن ينام بين الطلوعين، استجابة لهتاف الشيطانفانه من المكروه لا من المحرم.

واستجابتهم لهتاف الشيطان الذي أشارت إليه (صلوات الله عليها) كانت من المحرم بل من أشد درجاته الحرمة لكونهم نقضوا أكبر دعامة وأهم عمود للدين وهو الولاية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد ورد: (بني الإسلام على

ص: 376

1- سورة الأعراف: 30.

2- الأمالي للشيخ المفيد: ص 349 المجلس 41.

.....
خمس على الصلاة... ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية (1).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، قال قلت: فأَي ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضلهن لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن» (2).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «في قوله عز وجل: «أرأيت الذي يكذب بالدين» (3) قال: بالولاية» (4). وقال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «المخالف على علي بن أبي طالب بعدي كافر، والمشرك به مشرك، والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق.. لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته» (5).

وقال (صلى الله عليه و آله): «والذي بعثني بالحق نبياً إن الله لا يقبل من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب وهو تعالى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النار» (6).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «في قوله تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين» (7)، قال: فالإيمان في بطن

ص: 377

-
- 1- بحار الأنوار: ج 65 ص 329 ب 27 ح 1.
 - 2- تفسير العياشي: ج 1 ص 191 سورة آل عمران: ح 109.
 - 3- سورة الماعون: 1.
 - 4- تأويل الآيات: 820.
 - 5- الأمالي للشيخ الصدوق: ص 11 المجلس 3 ح 6.
 - 6- كشف الغمة: ج 1 ص 380.
 - 7- سورة المائدة: 5.

القرآن علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ف «من يكفر» كفر بولايته، «فقد حبط عمله وهو في الآخرة منالخاصرين» (1).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بولايته - أي ولاية علي (عليه السلام) - صارت أمتي مرحومة» (2).

التحذير من مساوئ الشيطان

مسألة: من اللازم ذكر مساوئ الشيطان وانه يغوي ويضل، فان ذلك يوجب تفريق الناس من حوله وعدم الاستجابة إليه.

وبالعكس من ذلك يلزم بيان صفات الصالحين والمصلحين، حيث أنه بين مستحب وواجب، فيما إذا سبب التفاف الناس حولهم التفافاً وجوبياً أو التفافاً استجابياً، فتأمل.

وذلك كله في طرفيه السلبي والإيجابي يعد من مصاديق التولي والتبري و(عمل بالأركان) (3) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو مقدمة لها. وربما عد من مصاديق «فقاتلوا أئمة الكفر» (4) و«جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم» (5).

ص: 378

1- تفسير الفرات: ص 121 ح 129 سورة المائدة.

2- بشارة المصطفى: ص 198.

3- الخصال: ص 609، وعميون أخبار الرضا (عليه السلام): ج 1 ص 226 باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في الإيمان وأنه معرفة بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

4- سورة التوبة: 12.

5- سورة التحريم: 9.

قولها (عليها السلام): (تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي):

الهِتَاف - بالكسر - بمعنى: الصياح، وهتف به: أي دعاه، فان الشيطان دعاهم إلى نقض عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر الخلافة فاستجابوا له.

والغوي بمعنى: الضال، وذكر هذه الصفة بالذات تذكير بأجلى صفاته مما يناسب المقام، إذ كيف يستجيب الإنسان لهتاف ضال؟ فيضل هو كما ضل شيطانه ويستحق ما استحقه من اللعنة والإبعاد عن رحمة الله والعقاب.

وقد حذر القرآن الكريم عن الشيطان واتباعه:

قال سبحانه: «ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين»(1).

وقال تعالى: «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم»(2).

وقال سبحانه: «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين»(3).

وقال عز وجل: «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً»(4).

وقال تعالى: «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً»(5).

ص: 379

1- سورة الزخرف: 62.

2- سورة البقرة: 268.

3- سورة آل عمران: 175.

4- سورة النساء: 60.

5- سورة النساء: 119.

وقال سبحانه: «وما يعدهم الشيطان إلا غروراً»(1). وقال تعالى: «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء»(2).

وقال عز وجل: «يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة»(3). وقال سبحانه: «يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً»(4).

استجابتهم المطلقة للشيطان

مسألة: قولها (عليها السلام) (تستجيون) يدل على أن استجابتهم لهتاف الشيطان الغوي كان حالة مستمرة ومنهجاً متواصلاً على مر الأيام، ويلزم الاعتقاد بذلك.

حيث أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، وبقرينة السياق أيضاً.

وحيث أن حذف المتعلق يفيد العموم(5) ولقرائن مقامية أخرى يكشف أن استجابتهم لم تتحدد في قضية واحدة، بل كانت هي الأصل في شتى الجوانب، وكان من مصاديقها غصب الخلافة وغضب فدك واتهام المؤمنين بالردة، وأخذ الزكاة عن الناس بالقوة، وقتل الأبرياء والتعدي على الأعراض (كما في قضية

ص: 380

1- سورة النساء: 120.

2- سورة المائدة: 91.

3- سورة الأعراف: 27.

4- سورة مريم: 44.

5- أي في (تستجيون).

مالك بن نويرة والتعدي على زوجته (1)، ومصادرة حريات الناس، والجبر عليا لبيعة، وتحريف كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله)، مضافاً إلى إيذائه للزهراء (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها... (2).

ص: 381

1- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 1 ص 179، وشرح النهج: ج 17 ص 202. وفي كتاب الفضائل ص 76: تحت عنوان خبر مالك بن نويرة قال: «فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب الناس، فنظر إليه وقال: أخو تميم، قالوا: نعم، قال: فما فعل وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أمرني بولايته - يعني علياً (عليه السلام) - ؟، قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد خنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) جالس، فقال أبو بكر: اخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا - يلكران عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وأنشأ يقول: أطعنا رسول الله ما كان بيننا *** فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر إذا مات بكر قام عمر مقامه *** فتلك وبيت الله قاصمة الظهر يدب ويغشاه العشار كأنما *** يجاهد جمماً أو يقوم على قبر فلو قام فينا من قريش عصابة *** أقمنا ولكن القيام على جمر قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت مالك على رؤوس الأشهاد، ولست آمن ان يفتق علينا فتقاً لا يلتئم فاقتله. فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعدّ بألف، فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق، ثم عذر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله واعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو...» والحديث طويل.

2- راجع التهميش في الصفحات 247-289 من هذا الكتاب.

مقتضى الأصل في هتاف الشيطان

مسألة: الأصل في كل دعوة وهتاف للشيطان: الغواية والضلال والإضلال، وهذا في مقابل أن الأصل في المسلم الصحة، وفي غيره أيضاً في الجملة، كما فصلناه في الفقه، وربما يقال إنه في قبال عدم وجود أصل في غير المسلم بقول مطلق، فتأمل (1).

وإنما كان كذلك لأنه مقتضى كونه عدواً، ولزوم اتخاذه عدواً، كما قال تعالى: «يا بني آدم ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير» (2). وان ذلك هو ما بنى عليه أمره، حيث قال: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين» (3).

وقال تعالى: «قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين» (4). وقد آلى على نفسه أن لا ينصح شخصاً أبداً كما في قضيته مع أحد الأنبياء (عليهم السلام).

وأما أن هذا النداء الباطني الداعي لأمر ما، هل هو من هتاف الشيطان أو لا، فيعرف بملاحظة موافقته للأهواء والشهوات، ومخالفته للكتاب والسنة والعقل.

ص: 382

1- (بقول مطلق) متعلق بالمقيد لا القيد.

2- سورة فاطر: 6.

3- سورة ص: 82.

4- سورة الحجر: 39.

إطفاء نور الدين

مسألة: يحرم إطفاء أنوار الدين، فإن الدين له نور يهتدي الإنسان بسببه إلى المقاصد الصحيحة، وذلك من تشبيه المعنويات بالماديات.

أو يقال: هو حقيقة، فإن النور له مصداقان: نور في الماديات لعالم الأجساد، ونور في المعنويات لعالم الأرواح، فإن النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، والدين ظاهر بنفسه - لكونه فطرياً منكشفاً للعقول والأرواح دون واسطة (1) - ومظهر لغيره كما هو واضح، فإذا أطفئ ذلك النور أدى إلى ظلام دامس يخيم على الناس، ويسبب عدم وصولهم إلى الهدف من الخلقة، قال عز وجل: «وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون» (2).

وعن أبي الحسن الثاني (عليه السلام) قال: «لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس على إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام)» (3).

وقال تعالى: «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» (4).

ص: 383

1- قال تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» سورة الروم: 30.

2- سورة الذاريات: 56.

3- تفسير العياشي: ج 1 ص 372 ح 75، سورة الأنعام.

4- سورة التوبة: 32.

وقال سبحانه في آية أخرى: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون»(1).

الدين جلي واضح

مسألة: يستحب بيان أن هذا الدين هو الجلي الواضح المشرق كالشمس في رابعة النهار، فإن الدين ببراهينها الساطعة وأدلتها القوية شيء جلي واضح لا خفاء فيه، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك وعن آياته ب(المبين) أي الواضح الجلي. قال تعالى: «تلك آيات الكتاب المبين»(2).

وقال سبحانه: «إنما على رسولنا البلاغ المبين»(3).

وقال عز وجل: «فتوكل على الله إنك على الحق المبين»(4).

وعن ابن عباس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أنا والله الإمام المبين(5) أبين الحق من الباطل، وورثته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)»(6).

وأما احتياج الدين في بعض مسائله رغم كونه جلياً إلى البيان، فذلك من باب (ويشيروا لهم دفائن العقول)(7) فالخلل في القابل لا الفاعل، مضافاً إلى أنه

ص: 384

1- سورة الصف: 8.

2- سورة يوسف: 1.

3- سورة المائدة: 92.

4- سورة النمل: 79.

5- إشارة إلى قوله تعالى: «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» سورة يس: 12.

6- تفسير القمي: ج 2 ص 212 سورة يس.

7- نهج البلاغة: الخطبة 1.

.....
قد يقال بأن الجلي الواضح من الكلي المشكك، فتأمل.

هل للدين أنوار؟

مسألة: الدين واحد إلا أن له أنواراً واشراقات وتجليات متعددة، ولذلك عبرت (صلوات الله عليها) ب (أنوار الدين) جمعاً. فإن للدين أنواراً يهتدي الإنسان بسبب تلك الأنوار إلى طرق المعاش والمعاد والاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها، فالتعدد بلحاظ المتعلق (والمرشد إليه) أو بلحاظ الأفراد - كل فرد فرد - أو بلحاظ المراتب أو بلحاظ أن للصلاة نوراً وللصوم نوراً وللحج نوراً وهكذا، وكلها يجمعها جامع الدين، ولا مانعة جمع هاهنا بين الأربعة.

ولنا أن نقول: المستفاد من قولها (صلوات الله عليها): (أنوار الدين الجلي) - حيث عبرت بأنوار الدين وليس ب: (نور الدين) - أن هنالك أنواراً تضيء الطريق وتفتح الظلمات وهذه الأنوار تتجسد في كلمات وأشخاص وأحداث وأعمال.. فالكلمات: كالقرآن الكريم وأقوال الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) وآله المنتجبين (عليهم السلام). والأشخاص: كالمعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وحواريهم والعلماء على مدى العصور.

والأحداث: كحادثة الغدير (1) والمباهلة (2) والمؤاخاة (3) ورد الشمس (4).

ص: 385

-
- 1- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص 2 المجلس 1 ح 2، وللتفصيل راجع (الغدير) للعلامة الأميني (رحمة الله).
 - 2- راجع تفسير العياشي: ج 1 ص 177 سورة آل عمران ح 58.
 - 3- راجع كشف الغمة: ج 1 ص 326 - 329.
 - 4- راجع المناقب: ج 2 ص 318 فصل في طاعة الجمادات له. وكشف الغمة: ج 1 ص 282.

والأعمال: كصلاة الليل، والتوجه لزيارة مرقد الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأولياء الله الصالحين، والبكاء والطمم والتطبير على سيد شهداء أهل الجنة (عليه السلام).

وقد حاول الأعداء طمس كل هذه الأنوار:

فالقرآن: عبر تحريف أسباب النزول والتأويل المناقض لحقائق التنزيل.

وكلمات المعصومين (عليهم السلام): عبر إحراقها أو تمزيقها أو إلقائها في الأنهار حيث قالوا: (حسبنا كتاب الله) (1)، أو التصرف فيها زيادة أو نقصاناً، أو تغييرها تأويلاً وتحويلاً.

والأشخاص: عبر قتلهم وتشريدهم وسجنهم ومحاصرتهم وتشويه سمعتهم وتلفيق التهم ضدهم كما قال: «ما منا إلا -مقتول أو مسموم» (2).

والأحداث: عبر إسدال ستار التجاهل عليها وطمرها أو التشويش عليها.

والأعمال: عبر صرف الناس عنها تارة باسم أنها بدعة، وأخرى باسم الأهم والمهم، وثالثة بعنوان انها مضيعة للوقت، ورابعة عبر توفير البدائل الأخرى.

وبعض هذه الأنوار وان كان مستحجاً في نفسه إلا أن محاولة إطفائه كلياً والقضاء عليه كظاهرة، يعد محرماً، وأحياؤه بهذا اللحاظ يعد واجباً، كما لا يخفى.

ص: 386

1- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 2 ص 55، وج 6 ص 51، ونهج الحق: ص 273 المطلب الثاني في المطاعن التي نقلها السنة عن عمر بن الخطاب.

2- بحار الأنوار: ج 27 ص 216 ب 9 ح 18.

وإهمال (1) سنن النبي الصفي (صلى الله عليه وآله)

إلغاء سننه (صلى الله عليه وآله) محرم

مسألة: سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) بين واجبة ومستحبة، والواجبة يحرم تركها، أما المستحبة فتركها غير محرم بما هو ترك، لكن لو انطبق عليه عنوان (الإهمال) المذكور في كلامها (عليها السلام) فربما أمكن القول بالحرمة أيضاً.

وأما (إهماد) سننه (كما في نسخة أخرى) فحتى إهماد المستحب منها محرم، كمن يتعمد لا لمجرد ترك صلاة الليل بل يحاول طمسها وامحائها وإهمادها، والإهماد هو إطفاء النار والنور كلياً.

وكما أن تعليق الحكمة على الوصف مشعر بالعلية، كذلك إثبات الحكم - أو ما يشبهه - لموضوع متصف بوصف موحٍ بالمدخلية، فإهمال أو إهماد السنن، مذموم لأنها سنن (النبي) (صلى الله عليه وآله) وهو المنبئ من الله، و(الصفي) وهو من اصطفاه الله تعالى فإذا كان الشخص مصطفى لله - ويلحظ الإطلاق الأحوالي والازماني - كانت سننه مصطفاه لله دون شك أو ريب، وكان إهمالها أو إهمادها إهمالاً لسنة الله وانتهاكاً لحريم الخالق جل وعلا.

قال تعالى: «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (2).

وقال سبحانه: «ولن تجد لسنة الله تحويلاً» (3).

ص: 387

1- وفي بعض النسخ: (وإهماد) ويكون بمعنى الإطفاء بالكلية.

2- سورة الأحزاب: 62.

3- سورة فاطر: 43.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب: المغير لكتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمبدل سنة رسول الله والمستحل من عترتي ما حرم الله..»(1) الحديث.

ولا يخفى أن التبديل نوع من الإهمال أو الإهماد كما هو واضح.

وعن زرارة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام، فقال: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره، وقال: قال علي (عليه السلام): ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة»(2).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «ان الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله (صلى الله عليه وآله) وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً»(3).

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداة: ... وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد وهتكوا حجابهم فأخذوا من فاطمة (عليها السلام) فذك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهموا بإحراق بيتها وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)»(4).

ص: 388

1- الخصال: ص 350، لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبعة ح 25.

2- الكافي: ج 1 ص 58 ح 19.

3- الكافي: ج 1 ص 59 ح 2.

4- الخصال: ص 607 خصال من شرائع الدين.

.....
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف سنة رسول الله فاتركوه»(1).

ومن هنا أيضاً يعلم عدم صحة قولهم (حسبنا كتاب الله)(2) فإن سنته (صلى الله عليه وآله) المتمثلة به (صلى الله عليه وآله) وبأهل بيته (عليهم السلام) لا يجوز إهمالها أو إهمادها كما سبق.

إلغاء السنن يوجب الفسق

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن من أهدم سنن الرسول وأطفأها أو أهملها في الجملة، ظالم فاسق، وبأن من فعل ذلك لا يمكن أن ينال الخلافة، فإنه: «لا ينال عهدي الظالمين»(3).

قولها (صلوات الله عليها): (وإهماد سنن النبي الصفي)، الإهماد بمعنى: الإطفاء فإنه إذا أطفأت النار يقال: أهملها، وهم قد أطفئوا سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخلافة، وإنما عبرت (صلوات الله وسلامه عليها) بالسنن لأن في إطفاء خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إطفاء لغير واحد من سنته (صلى الله عليه وآله) لأن الخلافة جماع الخير والشر، وهي المحور والمنطلق، ومنها ان انحرفت تبدأ بالفتنة واليه تعود الخطيئة.

وربما يكون المقصود ما هو الظاهر من إلغائهم مجموعة من سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) وإهمادها من غضب الخلافة، وغضب فذك، ومنع الارث، وغير ذلك.

ص: 389

1- مشكاة الأنوار: ص152.

2- بحار الأنوار: ج22 ص472 ب1 ح21، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج2 ص55 ب26.

3- سورة البقرة: 124.

تشرّبون (1) حسواً في ارتغاء

هل المكر محرم؟

مسألة: هل الذين يشربون حسواً في ارتغاء، يرتكبون إثمين: إثم الغصب وإثم المكر والمخادعة، أم إثمًا واحداً؟

ربما يقال: بأن ما يستفاد من لحن الآيات والروايات مذمومية المكر في حد ذاته، قال تعالى: «ومكروا ومكر الله» (2).

وقال سبحانه: «يخادعون الله» (3).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس» (4). وقال (صلى الله عليه وآله): «ليس منا من ماكر مسلماً» (5).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر» (6).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة مائلاً شذقه حتى يدخل النار» (7).

ص: 390

1- وفي بعض النسخ: (تسرّون).

2- سورة آل عمران: 54.

3- سورة البقرة: 9، وسورة النساء: 142.

4- الكافي: ج 2 ص 336 ح 1.

5- الكافي: ج 2 ص 337 ح 3.

6- الكافي: ج 2 ص 337 ح 4.

7- الكافي: ج 2 ص 337 ح 5.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة، ألا وأن الغدر والفجور والخيانة في النار»(1).

وربما يستفاد ذلك أيضاً من روايات (التدليس) (2) وغيرها.

وكذا من إدراك العقل لقبحه أو حكمه به، لكن قد يقال بطريقته والذم من باب مقدميته ولا تلازم بين القبح الذاتي - على تقديره - وبين الحرمة.

قولها (صلى الله عليه وآله) - على بعض النسخ - : (تسرون حسواً في إرتغاء).

الإسراء: ضد الإعلان.

والحسو، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين بمعنى: شرب المايح شيئاً بعد شيء.

والإرتغاء: شرب الرغوة وهو الزبد على اللبن، وهذا من أمثال العرب، يقال ذلك لمن: يظهر أمراً ويريد غيره، فكأنه يظهر انه يريد تذوق الزبد حتى يرى صلاحه وفساده، لكنه يريد أن يشرب من خلال هذا التذوق اللبن جرعة بعد جرعة.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تقصد من هذا المثل أن الغاصبين أسرعوا إلى السقيفة وهم يدعون أن ذلك لأجل الوقوف أمام الفتنة، لكنهم أرادوا غير ذلك وهو غصب الخلافة من أهلها، وكذلك ادّعوا أن غصبهم فدك كان لأجل المصلحة العامة! والحال أنه كان لأجل تجريد ذوي الحق من العامل الاقتصادي

ص: 391

1- الكافي: ج 2 ص 338 ح 6.

2- راجع موسوعة الفقه: ج 93 كتاب (المحرمات).

.....
والمقدرة المالية، وهم بذلك كانوا ممن تسلح بالغاية لتبرير الوسيلة، مع أنه تعالى قال: «إنما يتقبل الله من المتقين»⁽¹⁾ ومع أن الغاية في حد ذاتها كانت خادعة مضللة كاذبة.

حسن الحذر والاحتياط

مسألة: ينبغي توخي الحذر والاحتياط في التعامل مع الشؤون الخطيرة، خاصة إذا فسد الزمان حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: (إذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر)⁽²⁾.

وفي كل الصور فإن المحتمل إذا كان خطيراً وإن كان الاحتمال ضعيفاً يلزم الفحص والاحتياط، ولو عمل بهذه القاعدة الهامة، عامة الناس الذين ساهموا في تكريس سلطة (الذين شربوا حسوا في إرتغاء) - مع قطع النظر عن تمامية الحججة عليهم وإبلاغ الرسول (صلى الله عليه و آله) لهم بمحض الحق - لما حدثت المآسي التي حدثت من صدر التاريخ بتموجاتها حتى يومنا هذا.

ومن ذلك يعرف أنه يلزم الفحص والاحتياط عند سماع ما يدعيه أدياء السلام أو المحبة والوثام، دولاً كانوا أم أحزاباً أم شخصيات.

فالفحص في الشبهة الموضوعية في أمثال تلك الصور لازم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الأصول والفقهاء.

ص: 392

1- سورة المائدة: 27.

2- بحار الأنوار: ج 72 ص 197 ب 62 ح 18 عن نهج البلاغة.

حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام)

مسألة: يحرم إرادة الشر بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإعانة عليهم.

وقد وردت روايات في حرمة الإعانة على المؤمن فكيف بهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم أساس الإيمان.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي» (1).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله» (2). وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي» (3). وقال (صلى الله عليه وآله): «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة» (4).

هذا وقد كان الغاصبون للخلافة يدعون أنهم يريدون بذلك الإصلاح، بجمع كلمة المسلمين، ودفع الفتنة، وهذا النوع من الناس كثير في المجتمع، إذ الذين يسعون إلى تحقيق أهدافهم الشخصية تحت غطاء إصلاحي كثير، كما

ص: 393

1- الكافي: ج 2 ص 368 ح 3.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 94 ب 2 ح 5157.

3- الكافي: ج 2 ص 600 ح 4.

4- بحار الأنوار: ج 4 ص 3 ب 1 ح 4.

قال فرعون: «إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد» (1) وإنما كان هدفه في الواقع: محاولة تكريس سلطته وإرادة بقاء ملكه وذلك مصداق «يلبسون الحق بالباطل»، قال تعالى: «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» (2)، وقال سبحانه: «يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» (3).

وهكذا حال كثير من الظالمين على طول التاريخ، قال عز وجل: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (4) وقال تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (5) إلى غير ذلك من الشواهد والأمثال.

قولها (عليها السلام): (وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء).

الخمر: على وزن فرس، يقال: توارى الصيد في خمر الوادي أو خمر الغابة، ومنه قولهم: دخل فلان في خمار الناس أي ما يواريه ويستتره منه، وأصله من الخمر فان معنى الخمر هو الستر، يقال للمسكر: الخمر، لأنه يستر العقل.

والضراء: على وزن براء، الشجر الملتف في الوادي ونحوه، يقال لمن خذل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، والمراد: إنهم يمشون في

ص: 394

1- سورة غافر: 26.

2- سورة البقرة: 42.

3- سورة آل عمران: 71.

4- سورة البقرة: 146، وسورة الأنعام: 20.

5- سورة البقرة: 89.

.....
اغتصاب الخلافة وفدك مثل المشي في الخمر والضراء، لأنهم يخفون مقاصدهم الواقعية ويظهرون شيئاً آخر وذلك لخداع الناس.

من هم الأهل

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وتمشون لأهله وولده) المقصود من أهل بيته (صلى الله عليه وآله) وربما يستفاد تعيين وتوضيح المراد من قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (1) وأنهم: فاطمة وبعلاها وبنوها (عليهم السلام) وليست الآية شاملة للأزواج، فإن السعي المضاد في الخمرة والضراء كان خاصاً بهم (عليهم السلام) دون الأزواج أو العباس (عليه السلام) أو من أشبهه، وذلك حسب المتفاهم العرفي وتفسير بعض كلامهم بالبعض الآخر، فلا يرد أن وجود قرينة على تعيين المراد في مورد - حالية كانت أم مقالية - لا يقتضي إرادة ذلك المعنى منه في مورد آخر، إضافة إلى أن القرائن على انحصار المقصود من «أهل البيت» في الآية المباركة عليهمؤلاء الأطهار (عليهم السلام) قطعياً (2).

قال إسماعيل بن عبد الخالق: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول وأنا اسمع: ... ما يقول أهل البصرة في هذه الآية «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» (3)؟

قلت: جعلت فداك إنهم يقولون إنها لأقارب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ص: 395

1- سورة الأحزاب: 33.

2- فليراجع (الغدير) للعلامة الأميني و(المراجعات) للسيد شرف الدين و(احقاق الحق) وغيرها.

3- سورة الشورى: 23.

فقال (عليه السلام): كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (عليهم السلام)«(1).

الأسباط أبناء

مسألة: كلامها (عليها السلام) هاهنا، دليل آخر على كون الأسباط أبناء، وأن الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا وجه بعد تصريح الآيات والروايات - ومنها تصريحها (عليها السلام) هاهنا - لما قال الشاعر:

بنوهن أبناء الرجال الأبعد

بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا

هذا مع قطع النظر عن كون كلام الشاعر لا حجية له في حد ذاته، ومع قطع النظر عن عدم وضوح دلالة على المدعى.

قال تعالى في آية المباهلة: «وأبناءنا وأبناءكم»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن ابني هذين - الحسن والحسين (عليهما السلام) - ريحانتي من الدنيا»(3). وقال (صلى الله عليه وآله) مشيراً للحسن (عليه السلام): «إن ابني هذا سيد»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي مع فاطمة ابنتي»(5).

ص: 396

1- الكافي: ج 8 ص 93 ح 66.

2- سورة آل عمران: 61.

3- بحار الأنوار: ج 43 ص 275 ب 12 ح 42.

4- بحار الأنوار: ج 43 ص 298 ب 12 ح 62.

5- بحار الأنوار: ج 23 ص 144 ب 7 ح 98.

وجوب الصبر في الجملة

مسألة: الصبر على الطاعة الواجبة واجب، وهكذا عن المعصية، وعلى المصائب مستحب، وربما وجب، وعلى حسب شدة مرارته يكون الأجر، وعلى حسب درجات ما يصبر عليه أيضاً.

وصبرها (عليها السلام) وبعلمها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المشار إليه في كلامها هاهنا كان صبراً على الطاعة، إذ سكوتهم (عليهم السلام) بالمقدار الذي عملوه كان تكليفاً، حفاظاً على الإسلام والمسلمين، وهكذا صبرهم على المصيبة وما أقساها من مصيبة بل ما أمضاها من مصائب ورزايا.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «الصبر رأس الإيمان»⁽²⁾.

وقال (عليه السلام): «الصبر منا لإيمان بمنزلة الرأس من البدن»⁽³⁾.

وقال (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»⁽⁴⁾ الحديث.

ص: 397

1- الكافي: ج 2 ص 60 ح 1.

2- الكافي: ج 2 ص 87 ح 2.

3- الكافي: ج 2 ص 87 ح 2.

4- الكافي: ج 2 ص 91 ح 15.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر»(1).

وقال (عليه السلام): «اعلم أن النصر مع الصبر»(2).

إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يجب إحياء ظلامه السيدة الزهراء (عليها السلام) حتى تكون على مر الأيام غضة طرية لا يعفي عليها الزمن كمصيبة سيد الشهداء (عليه السلام).

وقد اخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بظلامتها قبل أن تقع، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها وويل لمن آذى خليلها وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم اني منهم بريء وهم مني براء، ثم سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضم فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين»(3).

وقال (صلى الله عليه وآله) لابنته (عليها السلام): «وأنت تظلمين وعن حقك تدفعين وأنت أول أهل بيتي لحوقاً بي»(4).

وقد قال جبرئيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً

ص: 398

1- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 386 ب 2 ح 5834.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 4 ص 412 ب 2 ح 5900.

3- بحار الأنوار: ج 22 ص 485 ب 1 ح 31.

4- بحار الأنوار: ج 36 ص 264 ب 41 ح 85.

بك بعد أن تظلم ويؤخذ حقها وتمنع ارثها ويظلم بعلمها ويكسر ضلعها» الحديث (1). وفي الحديث الشريف عن ابن عباس، قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن (عليه السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله) ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه الأيمن.

ثم أقبل الحسين (عليه السلام) فلما رآه (صلى الله عليه وآله) بكى، ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليسرى. ثم أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى (صلى الله عليه وآله) ثم قال: الي يا بنية، فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله) ثم قال: الي يا أخي، فما زال يدينه حتى أجلسه الى جنبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء الا بكيت، أو ما تسرّ برؤيته؟ فقال (صلى الله عليه وآله): والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، اني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزوجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم.

أما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي

ص: 399

وأمتي، في حياتي وبعد موتي، محبه محبي ومبغضه مبغضني، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة منها ملعونة، وإني بكيت حين أقبل لأنني ذكرت غدر الأمة به حتى إنه ليُزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته.

واما ابنتي فاطمة: فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله ظهر نورها لملائكة السماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي انظروا الى أمتي فاطمة سيدة نساء إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، اشهدكم اني قد آمنت شيعتها من النار.

وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بهابعدني، كأنني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصب حقها، ومنعت ارثها، وكسر جنبها، واسقطت جنبينها وهي تنادي يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروية باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقى أخرى، وتستوحش اذا جنبها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد ان كانت في أيام أبيها عزيزة...

فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروية مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غضبها، وذل من أذلها، وخذل في نارك من ضرب جنبها حتى ألت ولدها، فتقول

الملائكة عند ذلك: أمين.. الحديث(1).

لا يقال: ذلك تاريخ قد انقضى.

لأنه يقال: التاريخ هو الذي يصنع المستقبل، والحاضر تاريخ المستقبل، ومن لا تاريخ له لا جذور له، ولذلك ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم قصة هابيلوقاييل(2)، وغيرها من القصص.

قال سبحانه: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»(3).

ولذلك كله سجلت (عليها السلام) ظلامتها بقولها: (ونصبر منكم على مثل خز المدى ووخز السنان في الحشا).

ولذلك كان (نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح وهمه لأمرنا عبادة)(4).

ولذلك ورد: (من أبكى أو بكى أو تباكى وجبت له الجنة)(5).

وإذا كان من فلسفة الآخرة الاقتصاص من الظالم مع ان ظلمه تاريخ، والثواب على الطاعة والطاعة تاريخ، كما لا يخفى.

ص: 401

1- الأمالي للشيخ الصدوق: ص112 المجلس 24 الحديث 2.

2- سورة المائدة: 27، قال تعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين».

3- سورة يوسف: 111.

4- الكافي: ج2 ص226 ح16.

5- راجع بحار الأنوار: ج44 ص288 ب34 ح27، وفيه عنهم (عليهم السلام): «من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة».

وإذا كان (فرعون) آية لمن استكبر وطغى - بنص الكتاب(1) - خلدها الباري عزوجل في كتابه كرمز لقوى الشر.

وإذا كانت قصصهم عبرة لأولي الألباب(2).

وإذا جعل الله عزوجل نبيه عيسى (عليه السلام) آية للناس(3).

وإذا أنجى الله سبحانه نوحاً (عليه السلام) وأصحاب السفينة وجعلها آية للعالمين(4).

وإذا ترك سفينته لتكون آية للمدكرين(5).

وإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) يطلب من رب الأرباب [واجعل لي لسان صدق في الآخرين](6) حتى يتحدث عنه - بكل خير - وهو في دائرة الماضي، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه»(7).

وإذا كان العقلاء على مر الأزمان يعتنون بتاريخهم بشتى الصور..

وإذا كانت كتب التاريخ تملأ المكتبات في كل الحضارات..

ص: 402

1- قال تعالى: «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية» [سورة يونس: 92].

2- اشارة إلى قوله تعالى: [لقد كانت في قصصهم عبرة لأولي الألباب] [سورة يوسف: 111].

3- اشارة إلى قوله سبحانه: [قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس] [سورة مريم: 21].

4- اشارة إلى قوله تعالى: [فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين] [سورة العنكبوت: 15].

5- اشارة إلى قوله سبحانه: [ولقد تركناها آية فهل من مدكر] [سورة القمر: 15].

6- سورة الشعراء: 84.

7- سفينة البحار: ج2 ص641 مادة (ورخ) ط القديمة.

.....
وإذا.. وإذا ...

فالدعوة إلى إلغاء التاريخ، تعد عند العقلاء سفاهة وجهلاً أن لم تعد مخططاً خبيثاً لقطع الأمة عن جذورها ليسهل للمستعمر ابتلاعها و...

وإذا كان كل ذلك كذلك، فلماذا نسمع همسات من هنا وأصوات من هنالك تنادي بطمس أهم ملامح التاريخ وأهم منعطف تاريخي وأهم محور في معادلة الصراع الكبرى بين قوى الجاهلية والإيمان، حيث تقول الآية القرآنية الشريفة: «أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»(1)؟

مما يستحب للمظلوم

مسألة: يستحب للمظلوم التحدث عن (صبره) والجهر بصموده كما ذكرت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذلك، فانه بيان للحق بهذا الأسلوب، بالإضافة إلى أنه يكون بذلك أسوة وقدوة لسائر الناس، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا)(2).

فإن الإنسان الذي يعترض العظم حلقه لا يتمكن من الأكل ولا من الشرب ولا حتى من النوم ولا مزاوله أعماله اليومية، براحة أو بشكل طبيعي.

وكذلك الإنسان الذي في عينه قذى، لا يتمكن من فتح عينه ولا من إغماضها، فهو في ألم مستمر وفي أذى متواصل، وكلامه (عليه السلام) إشارة لعظيم ما

ص: 403

1- سورة آل عمران: 144.

2- نهج البلاغة: الخطبة 3.

تجرعه من الظلم.

وقال (عليه السلام): «أغضيت على القذى وتجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم وعالم للقلب من حز الشفار»(1).

وقال (عليه السلام): «إن الله عزوجل امتحنني بعد وفاة نبيه (صلى الله عليه وآله) في سبعة مواطن فوجدني فيهن من غير تركية لنفسى بمتته ونعمته صبورا...»(2).

المظلوم والرأي العام

مسألة: يستحب للمظلوم أن يشرح ما جرى عليه من الظلم، وما تركه الظلم عليه من آثار جسدية أو نفسية، شخصية أو نوعية، فإن ذلك يوجب التنفر من الظالم، بالإضافة إلى أنه يدفع الناس للاقتداء بصبره واستقامته - كما سبق - ، وبذلك يكون له أجران، أجر التنفير من الظالم وأجر الأسوة، فيكون داخلاً في ملاك (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)(3).

وبذلك يعرف أن ما يقوم به المظلومون من عرض ما صار بهم، كأثار مظلوميتهم - كأثر التعذيب في سجون الطغاة وغيره - على منظمات حقوق الإنسان وعلى الملاء العام وعبر الوسائل الإعلامية، هو مما يؤجر عليه الإنسان لأنه من طرق النهي عن المنكر، وقد يكون ذلك نوعاً من التأسى بالسيدة الزهراء

ص: 404

1- بحار الأنوار: ج33 ص 569 ب30 ح722.

2- بحار الأنوار: ج38 ص 172 ب62 ح1.

3- مستدرک الوسائل: ج12 ص 230 ب15 ح13962.

.....
(عليها السلام) وسائر أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «ما من مؤمن يعين مظلوماً إلا كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام»⁽¹⁾.

وقال (عليه السلام): «من قدر على أن يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم لا ينهى ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه»⁽²⁾، وما ذكرناه مما يوجب ردع الظالم كما لا يخفى.

صبر القائد

مسألة: الصبر - الواجب منه والمستحب - كسائر الحقائق التشكيكية له مراتب، وكما يجب الصبر على من هو في موقع القيادة، كما قالت (ونصبر منكم)، يجب على القاعدة والعامّة الصبر أيضاً، إلا أن الفرق في المراتب إذ الصبر في القائد أكد وأشد وأولى.

ثم إن صبرها (عليها الصلاة والسلام) كان واجباً - كما سبق - لأجل المحافظة على كلمة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إذ من الواضح أن الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) لو كان يجرّد السيف في وجوه الغاصبين لكانت تضعف شوكة المسلمين ويستغلّ الفرس والروم الفرصة لشن هجوم كاسح على المسلمين، مضافاً إلى أنهم كانوا يشوهون موقف الإمام (عليه السلام).

ص: 405

1- مستدرك الوسائل: ج 12 ص 389 ب 22 ح 14373.

2- مستدرك الوسائل: ج 12 ص 184 ب 1 ح 13834 عن السيد المسيح (عليه السلام).

لا يقال: بأن كلمة التوحيد كانت موجودة.

لأنه يقال: من الواضح أن المسيحيين يقولون بألهة ثلاثة والمجوس يقولون بالهين اثنين، وكلاهما على خلاف كلمة التوحيد.

أسلوب مواجهة الطغاة

مسألة: كما يستفاد المصداق من الكلي(1)، يمكن أن يستفاد الكلي من المصداق أحياناً(2) وكلامها (صلوات الله عليها) هاهنا: (ونصبر منكم) وان كان ذكراً للمصداق إلا أنه يستفاد منه الكلي في أشباه تلك المواطن.

وذلك هو ما نذهب إليه في أمثال هذه الأزمنة حيث نلتزم بضرورة سلوك طريقة (اللاعنف والسلم) في مواجهة الحكومات الجائرة.

وكما كان حمل السلاح بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ضد الذين انقلبوا عليه منهياً عنه لمخاطره الأكبر، كذلك نرى النهي عن حمل السلاح ضد الحكومات في هذا الزمن وضرورة الالتزام بالمواجهة السلمية، من إضرابات ومظاهرات ونحوها، فإن ذلك أحمد عاقبة، وتجربة غاندي(3) في الهند من شواهد ذلك، وتفصيل

ص: 406

1- أي كما يستفاد حكم المصداق من الكلي.

2- وذلك بتتقيح المناط - عندما يكشف الجامع - ومن المصاديق ما عبر عنه المناطقة بالاستقراء المعلل.

3- موهانداس كرامشاند (1869-1948م) فيلسوف ومجاهد هندي، يعتبر من دعاة السلام المشهورين في العالم، ولد في بور بندر، اشتهر بلقب (المهاتما) أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الاستعمار البريطاني وذلك بالطرق السلمية والمقاومة السلبية بعيداً عن العنف، وكان قد تعلم كثيراً من أساليبه الناجحة من سياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) أدت جهوده إلى استقلال الهند عام 1947، اغتاله برهماني متعصب.

.....
الحديث في محله (1).

بيان مظلوميتهم

مسألة: يستحب - وقد يجب - بيان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) للعالم، تأسياً بهم (عليهم السلام) حيث ذكروا ذلك، مضافاً إلى أنه من إحياء أمرهم وفضح أعدائهم. قولها (صلوات الله عليها): (ونصبر منكم على مثل حز المدى).

المدى: جمع مدية وهي السكين والشفرة ونحوهما، يعني: إن صبرنا ليس بالصبر الهين، وأن ما صدر (منكم) أمر فادح عظيم وظلم فاحش كبير، فصبرنا على ما صدر منكم تجاهنا كصبر الإنسان الذي يقطع بالمدية وهو صابر كاظم للغیظ. وكلامها (عليها السلام) إشارة إلى عظم الخطب عليهم وشدته، والتمثيل في كلامها (عليها السلام) تمثيل للأقوى بالأضعف والأعلى بالأدنى وهو من مصاديق البلاغة كما ذكر في محله (2) إذ إن صبرهم (عليهم السلام) في مواجهة ذلك الظلم الفاحش كان أمر وأصعب وأقسى من صبر من يحز بالمدية كما وكيفاً (3) كما لا يخفى.

ص: 407

1- للتفصيل راجع (السيبل إلى إنهاض المسلمين)، و(الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرجاء والسلام) و(اللاعنف في الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) و(الفقه: النظافة) للإمام المؤلف (رحمة الله).
2- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (رحمة الله).

3- فإن الحز بالمدية عادة لحظات، والمصائب التي تواترت عليهم كانت شهوراً طويلة واستمرت لسنوات، ثم ان عمق الألم بالحز بالمدية لا تقارن بعمق الألم يا حدى تلك المصائب العظيمة، ك: (جر) ولي الله الأعظم في الكون وحجته الكبرى بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالحبال أو كما قال العلامة آية الله الشيخ الأصفهاني (رحمة الله) في قصيدة له: أتضرم النار بباب دارها *** وآية النور على منارها وقال أيضاً: لكن كسر الضلع ليس ينجبر *** الا بصمصام عزيز مقتدر إذ رض تلك الأضلع الزكية *** رزية لا مثلها رزية ومن نبوع الدم من ثديها *** يعرف عظم ما جرى عليها وجاوزوا الحد بلطم الخد *** شلت يد الطغيان والتعدي وقال أيضاً: ولا تزيل حمرة العين سوى *** بيض السيوف يوم ينشر اللوا وللسياط رنة صداها *** في مسمع الدهر فما أشجاها والأثر الباقي كمثل الدمج *** في عضد الزهراء أقوى الحجج ومن سواد متنها اسود الفضا *** يا ساعد الله الإمام المرتضى ووكز نعل السيف في جنبها *** أتى بكل ما أتى عليها ولست أدري خبر المسمار *** سل صدرها خزانة الأسرار وفي جنين المجد ما يدمي الحشا *** وهل لهم إخفاء أمر قد فشا والباب والجدار والدماء *** شهود صدق ما به خفاء لقد جنى الجاني على جنبها *** فاندكت الجبال من جنبها أهكذا يصنع بابنة النبي *** حرصاً على الملك فيا للعجب أتمنع المكروبة المقروحة *** عن البكا خوفاً عن الفضيحة تالله ينبغي لها تبكي دما *** مادامت الأرض ودارت السما لفقد عزها أيها السامي *** ولاهتضامها وذل الحامي

وهناك جهة أخرى أيضاً، فإن صبر العاجز أهون من صبر القادر، وصبر القادر على الرد والتحدي - وكانوا (عليهم السلام) كذلك - أصعب وأمر من صبر غيره، فإن القادر يصبر صبرين: صبراً على الألم، وصبراً على عدم الرد، وقل وندر من يصبر وهو قادر على الرد(1).

الساكت على الظلم

مسألة: الساكت على الظلم شريك فيه - كما سبق - وذلك يستفاد من قولها: (منكم) (2) فهم جميعاً في ظلم أهل البيت (عليهم السلام) شركاء.

قولها (عليها السلام): (ووخز السنان في الحشى)، الحشى: داخل الإنسان، والوخز عبارة عن: الطعن.

يعني: إننا نصبر على ما صدر منكم كصبر إنسان يطعن بالرمح أو الخنجر، ويغرز في داخله، فإن الأمر - كما ذكر - صعب جداً وهو بحاجة إلى درجة مثالية من الصبر حتى يتحملة.

ص: 409

-
- 1- ولنتصور شخصاً يكيل لك الضربات بكل قوة وأنت قادر على الدفاع ببساطة ولكن تحجم عن الدفاع ويستمر هو في الضرب متجبراً...!
 - 2- نظراً للتعميم في (نصبر منكم) وعدم تخصيصه بالأقلية الذين باشروا الظلم.

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟

إشارة

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟!.

تطويق الباطل

مسألة: من اللازم تطويق الباطل من جميع جوانبه ظاهراً وباطناً، صورة ومحتوى، بما يفنده ويبطله ويمحقه، كما صنعت (صلوات الله عليها) حيث قالت: (وأنتم الآن تزعمون) فلم تكتف بالاستدلال على المطلب بل أطرت دعوى الخصم بإطار (الزعم) الدال على كونه خلافاً للحقيقة.

وذلك أقوى في الرد وأبلغ في الحجة وأدعى للنهي عن المنكر، ومن مصاديق «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» (1).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الحق سيف على أهل الباطل» (2).

وقال (عليه السلام): «لا- يجتمع الحق والباطل» (3). وقال (عليه السلام): «ثلاث فيهن النجاة: لزوم الحق وتجنب الباطل وركوب الجدد» (4).

وقال (عليه السلام): «من ركب الباطل أهلكه مركبه» (5).

ص: 410

1- سورة الأنبياء: 18.

2- غرر الحكم: ص 68 ح 921.

3- غرر الحكم: ص 68 ح 941.

4- غرر الحكم: ص 69 ح 973.

5- غرر الحكم: ص 71 ح 1033.

وقال (عليه السلام): «نحن أقمنا عمود الحق وهزمتنا جيوش الباطل»(1).

قولها (عليها السلام): (الآن) فيه إشارة إلى أن هذه الدعوى منهم كانت وليدة يومها ولم يقل أحد منهم بها زمن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكفى بهذه الكلمة رداً عليهم، وإلا- فلماذا لم يطرحوا هذه القضية في حياته (صلى الله عليه وآله) وعند مرضه ليحضوا بتأكيده؟!.

متى يجوز النقل بالمضمون

مسألة: يجوز تضمين الحديث بآيات من الذكر الحكيم مع تغيير في الضمائر أو شبهها بما يناسب الخطاب شرط أن لا تكون بدعوى ان ذلك هو نص الكتاب أو في مقام يوهم ذلك، وهذا من مصاديق النقل بالمضمون كما صنعت (عليها السلام) حيث قالت: (أفحكم الجاهلية تبغون)(2).

الحكم بفسقهم

مسألة: يستفاد من تضمينها (عليها السلام) هذه الآية في خطبتها، حكمها بفسقهم تبعاً للقرآن الكريم من قبل، حيث قال تعالى: [وان كثير من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون](3). كما يُظهر استنادها (عليها السلام) للآية بعض صفاتهم الأخرى من إتباعهم الأهواء ومحاولتهم الفتنة وتوليهم وإعراضهم عن الحق، إذ قال تعالى:

ص: 411

1- غرر الحكم: ص 120 ح 2096.

2- والآية هي «أفحكم الجاهلية يبغون» [سورة المائدة: 50.].

3- سورة المائدة: 49، 50.

.....

«وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»(1). وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»(2) أي: «كفر بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهم العاصون لله ولرسوله»(3).

كما ورد في قوله تعالى: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون»(4) أن أبي قحافة أول من منع آل محمد (صلى الله عليه وآله) حقهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم وهكذا كان الذين جاءوا من بعده(5).

أحكام الله لا تتبدل

مسألة: كما أن من مصاديق استدلالها (صلى الله عليه وآله) بالآية الشريفة: «أفحكم الجاهلية يبغون»(6) الرد على دعوى أن لا إرث لأبناء الأنبياء، كذلك من

ص: 412

1- سورة المائدة: 49-50.

2- سورة النور: 55.

3- راجع المناقب: ج 3 ص 63

4- سورة المائدة: 47.

5- راجع تفسير العياشي: ج 1 ص 325 ح 130 سورة المائدة.

6- سورة المائدة: 50.

.....

مصاديق الآية الشريفة(1) دعوى التساوي في الإرث بين الرجال والنساء هذا الزمن بدعوى أن الزمن قد تغير وأن المرأة أضحت هي التي تعيل وما أشبه ذلك من أنماط التعليل، ولعل في قولها (عليها السلام) (الآن) إشارة إلى هذا الجانب من الدعاوى التي تحكم بتغيير أحكام الله متعلقة بأن الزمن قد تغير وان (الآن) غير (ما كان).

قال تعالى: «لا تبديل لكلمات الله»(2).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدور وان حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة»(3).

لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام)

مسألة: يحرم القول بأن لا إرث لها (عليها السلام) فإنه من مصاديق (قال الله وأقول)، وحكم بغير ما أنزل الله، وتكذيب لآل الله.

وكذلك يحرم القول بكل ما يخالف الإسلام أصولاً وفروعاً، مع اختلاف درجات الحرمة قوة وضعفاً، بلحاظ المتعلق والمنسوب إليه والملابسات وما أشبهه.

ص: 413

1- أي الحكم بالجاهلية.

2- سورة يونس: 64.

3- بصائر الدرجات: ص 148

ابتغاء حكم الجاهلية

مسألة: يحرم (ابتغاء حكم الجاهلية) بصورة عامة، والتحریم في خصوص حكمها (عليها السلام) في الإرث نظراً لانطباق عناوين أخرى محرمة عليه (1) أشد.

وابتغاء حكم الجاهلية له ثلاثة مصاديق:

1: العمل وفق حكم الجاهلية. 2: القول بحكم الجاهلية.

3: الاعتقاد بحكم الجاهلية فيما يضر فيه الاعتقاد على خلاف الحق.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك» وذلك في قصة خالد حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» (2).

وفي حديث سنن الإمام الصادق (عليه السلام): «أفيعتد بشيء من أمر الجاهلية؟ فقال (عليه السلام): إن أهل الجاهلية ضيعوا كل شيء من دون إبراهيم (عليه السلام) إلا الختان والتزويج والحج فانهم تمسكوا بها ولم يضيعوها» (3).

ص: 414

1- ككونه تكذيباً لسيدة النساء (عليها السلام)، وإيذاء لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، وتضييقاً على آل البيت (عليهم السلام) بحرمانهم من مصدر اقتصادي كبير كان يصب على أيديهم لصالح الدين والفقراء وغير ذلك.

2- الأماي للشيخ الصدوق: ص 173 المجلس 32 ح 7.

3- علل الشرائع: ص 414.

قال تعالى: «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»(1).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية أودم أو مال فهو تحت قدمي هاتين ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى»(2).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أيها الناس إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، إن العرب ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق فمن تكلم به فهو عربي، ألا أنكم من آدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم»(3).

ثم إن حكم الجاهلية أعم من الحكم الذي كان موجوداً في الجاهلية وخالف الإسلام، وما لم يكن بحكم الإسلام وان لم يكن حكماً موجوداً في الجاهلية، ومن مصاديقه أنواع البدع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة»(4).

وقال (صلى الله عليه وآله): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»(5).

هذا وقد ابتدعوا صلاة التراويح وقال فيها: «بدعة ونعمة البدعة»(6).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس ان النافلة بالليل في رمضان جماعة بدعة... فإن قليلاً من سنة خير من كثير في بدعة، ألا أن كل بدعة ضلالة وكل

ص: 415

1- سورة الأحزاب: 33.

2- تفسير القمي: ج 1 ص 171 سورة المائدة.

3- تفسير القمي: ج 2 ص 322 سورة الحجرات.

4- علل الشرائع: ص 492.

5- كشف الغمة: ج 2 ص 134.

6- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 12 ص 258 ب 223.

.....
ضلالة سبيلها إلى النار»(1).

لا أحد أحسن من الله حكماً

مسألة: ينبغي بيان انه ليس أحد أحسن من الله تعالى حكماً، فانه العالم بجميع خصوصيات الإنسان وغيره.

(أحسن) وإن كان من باب أفعل التفضيل إلا أن المراد به هنا المصدر وهو (الحسن)، إذ من الواضح أن حكم غير الله لا حسن فيه حتى يقابله حكم الله الأحسن، بل حكم الله - الذي تجلى في الإسلام - هو الحسن بلا منازع.

وذلك مثل «أولى لك فأولى * ثم أوليلك فأولى»(2) ومثل «أذلك خير نزلاً»(3) وأمثالهما من الآيات والروايات والتعابير البلاغية.

إن قلت: حكم العقل أيضاً حسن(4).

قلت: حكم العقل شعبة من شعب حكم الله، إذ العقل حجة الله الباطنية كما أن الأنبياء (عليهم السلام) حجة الله الظاهرة(5)، ولذا قيل: العقل نبي من باطن

ص: 416

1- الصراط المستقيم: ج 3 ص 26.

2- سورة القيامة: 34-35.

3- سورة الصافات: 62.

4- كحكمه بقبح الظلم وحسن العدل والإحسان و...

5- قال الإمام الصادق (عليه السلام): «يا هشام ان لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأئمة (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» [تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج 2 ص 25، وتحف العقول: ص 383 .]

.....
والنبي عقل من خارج، وورد أن أول ما خلق الله العقل وقال له: بك أثيب وبك أعاقب(1) هذا لوقيل بان للعقل حكماً، وإلا فعلى القول بأنه مدرك لا غير فالإشكال منتف موضوعاً.

وليس المراد من القوم الجماعة فحسب، بل هو تعبير بلاغي يشمل كل فرد فرد أيضاً، كما انه ليس المراد به خصوص الرجال بل يشمل النساء أيضاً.

لا حسن في غير حكم الله

مسألة: يحرم القول، بان غير حكم الله حسن استناداً إلى أدلة استحسانية يؤدي إليها العقل القاصر، كالقول بان الشطرنج رياضة فكرية، وان الغناء محفز نفساني، وان الرقص رياضة جسمانية، وهكذا وهلم جرا.

والمفاضلة بين حكمه تعالى وحكم غيره لاستنتاج أن حكم الغير حسن وحكمه أحسن أيضاً فيه إشكال.

وقولها (عليها الصلاة والسلام): (وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

فإن عدم إرث البنات من الآباء كان حكماً جاهلياً(2)، والله سبحانه وتعالى نسف ذلك الحكم بحكمه: [للذكر مثل حظ الأنثيين](3) فالإناث

ص: 417

1- مستطرفات السرائر: ص 621.

2- راجع فقه القرآن: ج 2 ص 352.

3- سورة النساء: 11.

يرثن أيضاً، إلا أن للأثني نصف ما للذكر من الإرث.

كما أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبي الصغير ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً.

وكانوا لا يعطون الميراث إلا لمن يقاتل.

وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً..

فلما أنزل الله فرائض الموارث وصبروا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنذره ذلك لعله يدعه أو يغيره، فأتوه فقالوا: يا رسول الله للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها! ويعطى الصبي الصغير الميراث! وليس أحد منهما يركب الفرس ولا يجوز الغنيمة ولا يقاتل العدو؟!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بذلك أمرت [\(1\)](#).

كما أن الموارث كانت عند بعضهم على الأخوة لا على الرحم، وكانوا يورثون الحليف والموالي الذين اعتقوهم، ثم نزل بعد ذلك «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» [\(2\)](#).

قولها (عليها السلام): (أفلا تعلمون) أي: أفلا تعلمون بأن الله سبحانه وتعالى جعل للبنات الإرث، كما جعل ذلك للذكور، نعم لو كان له ولد واحد أو بنت واحدة فانه - أو إنها - يرث الإرث كله ولا يشترك معه - أو معها - من ليس في طبقتة أو طبقتها.

ص: 418

1- تفسير القمي: ج 1 ص 154 سورة النساء.

2- راجع تفسير القمي: ج 1 ص 137 سورة الأنفال.

لا يقال: لماذا لم تتعرض الزهراء (عليها السلام) في الاحتجاج إلى أن فدك نحلة لها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع العلم أنها قد كانت نحلة لها بالفعل؟

لأنه يقال: هذه الخطبة كانت بعد بأسها عن قبول القوم (النحلة)، إذ كانت الخطبة كما ذكر جماعة من المحققين بعد ما رفضوا شهادة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ومن شهد معه على أنها نحلة لها فتمسكت بحديث الميراث لأنه من ضروريات الدين، مما صرح به في القرآن الحكيم. وهذا من إلزام الخصم بما لا مفر له منه، وهو من الحكمة إذ كان يراد لهذه الخطبة أن تكون قوية مفعمة لا تترك ثغرة يمكن الغمز منها وعبرها وبها. فحيث أنكر القوم بأن فدكاً نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) وصبوا كلامهم على أنه لو كان لها فهو من باب الإرث، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) (1) لذلك صبت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كلامها حول إثبات الإرث لها، حتى أنهم إذا أنكروا النحلة وجب أن يعترفوا بأن فدك إرث لها فلا وجه لاغتصابها منها.

لا يقال: إذا كانت فدك إرثاً ورثت منها مع الزهراء (عليها الصلاة والسلام) زوجاته (صلى الله عليه وآله) أيضاً فلم تكن لها وحدها؟

لأنه يقال: هذا الجواب من قبيل الاستدلال بمسلمات الطرف مما يسمى بالجدل بالاصطلاح المنطقي (2) وحتى إذا فرض أن لزوجات معها شيء منها

ص: 419

1- حيث افتراه القوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

2- إذ الطرف وهو أبو بكر ومن حوله، كزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) كانوا مدعينين بعدم حق لزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) في فدك.

- على تقدير كونه إرثاً - فالقسم الأكبر من فذك يكون للزهاء (عليها الصلاة والسلام) دون شك فلماذا تمنع عنها بالكامل (1)؟

وعلي أي حال، ففذك لها إما نحلة أو إرث - بكاملها أو بمعظمها - فلا وجه ولا مسوغ لمنعها كلاً عنها (صلوات الله عليها).

(أفلا تعلمون): استفهام إنكاري.

(يوقنون): أي بالله، أو بهذه الحقيقة، أو بالمآل، أو بجمعها.

(اليقين) كاشف عن الواقع ولا يطلق على الجهل المركب، فالموقن هو الذي يعلم أن حكم الله هو الحكم الأحسن.

والعلم في (أفلا- تعلمون) يراد بهالمطابق للواقع وإطلاقه على الجهل المركب مجاز، ومن استخدام العالم الحقيقي كأهل البيت (عليهم السلام) كلمة العلم يستكشف أن مطابقه هو (الحق) دون ريب أو شك.

ص: 420

1- خاصة إذا لاحظنا أن الزوجة - كما هو المعروف بين الفقهاء - لا ترث من الأرض لا من عينها ولا من قيمتها، وإن ورثت من قيمة الأبنية والأشجار، قال الإمام المؤلف (رحمة الله) في (المسائل الإسلامية) ص 612 ط 38: (المسألة 3240: لا ترث الزوجة من الأرض، لا من عينها ولا من قيمتها، ولا ترث من عين الآلات والأبنية والأشجار ولكن ترث من قيمتها).

من أساليب الدعوة

مسألة: من أساليب الدعوة ومن طرق الحرب الإعلامية ومن وسائل النهي عن المنكر دغدغة وجدان الظالم وتذكيره بالحقيقة الصارخة من جهة، ومن جهة أخرى كشف القناع للشعب عن أن المعتدي يعرف الحقيقة بصورة كاملة ومع ذلك يجحدها ويتخذها ظهيرياً.

ولعل من هذين المنطلقين كان قولها (عليها السلام): (بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أنى ابنته) فهي تشير إلى أنهم أضحوا مصداق قوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»⁽¹⁾ وذلك مما يسبب التحريض ضد الظالم أكثر فأكثر وهو واجب في الجملة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ص: 421

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الثالث من فقه الزهراء (عليها السلام)

وقد اشتمل على القسم الثاني من الخطبة الشريفة

وسياتي بعده المجلد الرابع (وهو القسم الثالث) من الخطبة

ويبدأ بقولها (عليها السلام): (أيها المسلمون، أغلب على إرثي)

ص: 422

- مقدمة المؤلف..... 5
- نداء الناس... 7
- من أحكام النداء.... 10
- التعريف بالنفس..... 13
- لماذا (وأبي محمد)؟ 19
- التأكيد والتكرار..... 22
- عصمتها (عليها السلام)..... 24
- حرمة القول بالغلط..... 25
- لماذا رسول من أنفسكم؟... 27
- من مواصفات القائد..... 28
- الحرص على الرعية..... 29
- بين الرأفة والرحمة.... 31
- التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله) 33
- الانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) 35
- أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)..... 36
- ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام). 38
- الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله) 41

تبليغ الرسالة..... 44

الإنداز أبدأ..... 47

الميل عن طريقة المشركين.... 50

التشبه بالكفار..... 51

التركيز على أئمة الكفر..... 52

منهج التصدي للأعداء.... 53

استعراض قوة الإسلام..... 54

الدعوة بالحكمة..... 56

القضاء على الأصنام..... 58

القضاء على أئمة الضلال... 59

تخليد ذكرى القائد..... 60

مواصلة المعركة..... 62

الحقيقة الكاملة.... 63

إسناد زعماء الدين..... 67

إسكات أصوات الشياطين.... 68

القضاء على النفاق..... 71

أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)..... 36

ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام). 38

الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله) 41

تبليغ الرسالة..... 44

الإنداز أبدأ..... 47

- 50 الميل عن طريقة المشركين.....
- 51 التشبه بالكفار.....
- 52 التركيز على أئمة الكفر.....
- 53 منهج التصدي للأعداء....
- 54 استعراض قوة الإسلام.....
- 56 الدعوة بالحكمة.....
- 58 القضاء على الأصنام.....
- 59 القضاء على أئمة الضلال... ..
- 60 تخليد ذكرى القائد.....
- 62 مواصلة المعركة.....
- 63 الحقيقة الكاملة....
- 67 إسناد زعماء الدين.....
- 68 إسكات أصوات الشياطين....
- 71 القضاء على النفاق.....
- 73 حل مراكز قوى الأعداء.....
- 74 وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلاص.....
- 76 التقوى والزهد من المقومات.....
- 79 تذكر النعم السابقة....
- 84 حرمة إذلال المؤمن نفسه... ..
- 88 العزة في كل شؤون الحياة....
- 89 الإرشاد لمواطن الضعف.....

- كراهة شرب الطرق... 91
- كراهة أكل القد والورق... 93
- الذلة النفسية والسياسية... 95
- انتهاج منهج الجاهليين... 98
- ضمانات للمستقبل..... 101
- حرمة الاختطاف والعنف.... 106
- إنقاذ المسلمين.... 110
- الإنقاذ يكون من الله وبالعامل بمناهجه.... 111
- التنبيه على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله) 116
- المخرج من المشاكل.... 119
- بهم الرجال وذؤبانهم.... 123
- مذمومة الصفات السبعية... 125
- المعارضة: علماء وجهلة..... 126
- استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله) 129
- حرمة إشعال الحروب.... 131
- وجوب إطفاء الحرب..... 132
- أصالة السلم.... 135
- الحروب الدفاعية..... 136
- إسناد الأفعال لله.... 138
- إعداد العدة.... 142
- المبادرة... 143

ترصد الفتن..... 144

الموقف المناسب.... 147

الأدب التصويري..... 148

ص: 425

151 التهلكة

153 وجوب التضحية

154 بين التخصص والتنويع

155 التصدي بسرعة

156 التضحية بالمهم

157 التركيز على مركز الفساد

157 التضحية حتى بالأحب

158 انتخاب الكفؤ

161 ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) ...

163 الشهادة الثالثة في الأذان

165 التراجع

166 الأقل والأكثر الإرتباطيان

167 إذلال الكفار

169 إذلال رؤوس الفتن

170 اخماد لهب النيران

171 علم التاريخ

174 الكد حسن أم قبيح؟

177 الكد في ذات الله

178 وجه الاستدلال على الخلافة

180 أصالة الأسوة

من صفات القائد..... 182

القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) 185

ذكر الفضائل..... 188

ص: 426

- 188 مقتضى السيادة المطلقة.....
- 191 الإخبار في مقام الإنشاء.....
- 192 على أهبة الاستعداد.....
- 193 النصيحة لله.....
- 198 الجد والكدح.....
- 201 هل الرفاهية مذمومة؟.....
- 202 مواساة الشعب للقائد.....
- 212 تربص الدوائر بالمؤمنين.....
- 215 التجسس والتحسس والتوكف.....
- 218 الإحجام عن المعركة.....
- 219 من حقوق المعارضة.....
- 221 الفرار من الزحف.....
- 224 الإرشاد للنواقص.....
- 225 معاتبة القائد والامة.....
- 227 تكاملية الدنيا والآخرة.....
- 229 الإحياء والإماتة بيد الله.....
- 230 أقسام النفاق.....
- 232 إظهار النفاق محرم.....
- 237 المحافظة على نضارة الدين.....
- 240 تستر أهل الضلالة.....
- 241 لزوم الحذر.....

الفاعل والساكت الراضى..... 241

من أساليب المبطلين 243

دراسة سنن الحياة..... 244

ص: 427

- الشیطان فی مسرح القلوب... 246
- مواصفات المعارضین للإمام (علیه السلام) 247
- فسح المجال لقوی الشر... 249
- مکامن الشیطان..... 251
- الاستجابة للشیطان..... 255
- الثبات علی العقيدة..... 257
- أرضية الاستجابة... 257
- الاغترار الفکري والعاطفي... 259
- التراجع عن الدین..... 261
- هل الأصحاب کالنجوم؟..... 263
- الأصل: النهضة أم التحفظ؟... 267
- من أسلحة الشیطان..... 270
- الشیطان وسياسة الخطوة خطوة... 271
- التصرف فی ملک الغير... 273
- مصادرة الحقوق..... 275
- جواز الکناية..... 278
- حرمة نقض العهد... 279
- وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)... 282
- التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام) 284
- المسارعة للشر..... 289
- تبریر المعصية..... 292

مثالث المعصية..... 293

السقوط في الفتن..... 296

مصادر شيعية في قصة حرق الباب و... .. 297

ص: 428

مصادر سننية في قصة حرق الباب و..... 305

الكفر موضوعا وحكما 313

نافذة نحو العالم الآخر..... 317

جمع القرآن..... 325

عدم تحريف القرآن..... 325

حجية الكتاب.... 326

القرآن كالشمس..... 327

الأحكام الزاهرة.... 329

من العلامات القرآنية.... 330

من النواهي الإلهية.... 335

ومن الأوامر الإلهية.... 336

من مميزات القانون الإلهي... 337

هجر القرآن وتركه..... 339

اتباع من هجر القرآن.... 340

الرغبة عن القرآن..... 342

الحكم بغير القرآن.... 344

أقسام الظلم.... 351

أصول الدين..... 354

الطريق إلى الله..... 359

الخلافة والظلم..... 360

الحيطة من أهل الباطل... 365

أقسام المكر.... 366

الإعانة على الإثم..... 368

التفكيك بين الظلم والظالم..... 369

ص: 429

- الرضا بفعل الظالم.... 371
- تقوية شوكة الظالمين.... 372
- ما يؤدي إلى الغضب.... 374
- الاستجابة لهتاف الشيطان.... 376
- التحذير من مساوئ الشيطان..... 378
- مقتضى الأصل في هتاف الشيطان... 382
- إطفاء نور الدين..... 383
- الدين جلي واضح.... 384
- هل للدين أنوار؟..... 385
- إلغاء سننه (صلى
- الله عليه و آله) محرم 387
- هل المكرم محرم؟.... 390
- حسن الحذر والاحتياط..... 392
- حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام)... 393
- من هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه و آله) 395
- الأسباط أبناء..... 396
- وجوب الصبر في الجملة... 397
- إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام)..... 398
- مما يستحب للمظلوم.... 403
- المظلوم والرأي العام... 404
- صبر القائد..... 405

أسلوب مواجهة الطغاة... 406

الساكت على الظلم..... 409

تطويق الباطل..... 410

متى يجوز النقل بالمضمون... 411

ص: 430

الحكم بفسقهم..... 411

أحكام الله لا تتبدل..... 412

لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام) 413

ابتغاء حكم الجاهلية.... 414

لا أحد أحسن من الله حكماً... 416

لا حسن في غير حكم الله 417

من أساليب الدعوة..... 421

الفهرس..... 423

ص: 431

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩